ٱلْجَوَاهِرُ ٱلذَّهَبِيَّةُ

مِنْ سِيرَةِ
ٱلْإِمَامِ ٱلدِّرِينِيِّ وَجُهُودِهِ ٱلْعِلْمِيَّةِ

إعداد

محمد حمادة الشافعي

قَدَّمَ لَهُ

فَضِيلَةُ ٱلْعَالِمِ ٱلْجَلِيلِ

أ.د. عبد العزيز المرشدي

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

****

للتواصل مع الكاتب





تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز المرشدي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإنَّ التاريخ الإسلامي مليء برجال عظماء، على جميع الأصعدة وفي كافة التخصصات، ونحن في زمنٍ أحوج ما نكون فيه إلى إبراز نماذج تقتدي بها الأجيال الجديدة.

وإنَّ من العلماء الربانيين والدعاة الروحانيين سيدي عبدالعزيز الدريني، الذي تربُطنا به صلة جوار؛ حيث قريتنا المجاورة لمسقط رأسه ديرين.

وكنا منذ نعومة أظفارنا نذهب في ذكرى مولده كل عام، ثم ما لبثتُ أن قرأتُ عن الرجل بحكم تخصصي؛ فإذا أنا أمام عالم مدقق في شتى العلوم الإسلامية والعربية، تجدهُ في كل فنٍ بحرًا لا يُدرَك له قَرار، وله من الكرامات ما يتحاكى بها السائرون.

يكفيه أنه فسر القرآن الكريم نظمًا في أربعين يومًا، ومع ذلك تراهُ متواضعًا حيث سأله أحدهم هل لك كرامة يا إمام؟ فقال: نعم، (يكفي أنه لم يخسف بيَ الأرض).!

وكنتُ عزمتُ منذ سنوات أن أكتبَ عن الإمام الدريني، لكن شاء اللهُ أن يسبقني الباحث الشاب المدقق المجتهد محمد حمادة الشافعي، فإذا هو قد أتى

على كلِّ ما كنتُ زورتهُ في نفسي، وزاد واعتمد مصادرَ لم أصل إليها، معتمدًا منهجًا علميًا وأسلوبًا أدبيًّا، على الرغم من أنَّ تخصصهُ علمي تجريبي.!

وأنا على يقين أنَّ هذا الكتاب سوف يكون بداية لسلسلة سرد لسيرة عظماء أثروا الحياة العلمية على مدار التاريخ الإسلامي.

أسألُ اللهَ أنْ يوفقهُ لما يحب ويرضى، وأن يأخذ بناصيته للبر والتقوى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ.د. عبد العزيز المرشدي

أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين - المنصورة

وكيل كلية الدراسات الإسلامية بدمياط – سابقا

مقدمة

بسم الله الذي كتب لعلماءِ الصادقين البقاء، في دنيا الناس أحياءٌ وفي الآخرة لهم خير الجزاء، والصلاةُ والسلامُ على مَنْ أخبر بأنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء، وأنهم أمانٌ للأمة إذ عمَّ الوباءُ وتصدَّر الجُهلاءُ، ما داموا سائرين على المنهج السديد متمسكين بالمحجة البيضاء، وبعد.

فهذه دراسةٌ وجيزةٌ عن أحد علماء الإسلام الشوامخ، الذين لم تسعهم الشُهرة في هذا الزمان العجيب، أُقدِّمها بين يدي القرَّاء خاصة منهم الشباب؛ لعلهم يجدون فيها المثال والقدوة؛ فينتفعون وينفعون.

وشخصيتنا في هذا الكتاب هو أحد أعلام القرن السابع الهجري، الذي كان يتسم بالموسوعية والغزارة في شتى العلوم والفنون.

هو ابن قرية «درين»، تلك القرية الطيبة التي تجاور قريتي «كفر الحصة»، وهما من أعمال مدينة نبروه محافظة الدقهلية.

ولقد كنتُ أترددُ على هذه القرية «درين» منذ نعومة أظفاري؛ إذ بها بيت جدي لأمي وأخوالي[1]، وكنتُ دائما أذهب للصلاة في مسجد «سيدي عبد العزيز الدريني»[2]؛ لأنه كان يجاور بيت جدي - رحمة الله عليه - حتى أصبح لهذا المسجد مكانة في قلبي ووجدَاني، أشعرُ بالسكينة كلما دخلته، أشُمُّ فيه نسيمَ ذكريات طفولتي مع جدي وأبناء الخال.

(1) عائلة الحاج عبد الرازق محمد عبد الرازق.

(2) هكذا يُشتهر بين أبناء قرية درين بلفظ «سيدي عبد العزيز الدريني».

وبالرغم من كثرة تَردَادي عليه منذ الطفولة لم أكن أعلم شيئًا عن هذا الاسم «الشيخ عبد العزيز الدريني» الراقد في مقامه الشريف الملاصق للمسجد والذي يتوافد عليه الزوَّار من كل مكان خاصة في الجمعة والأعياد.

وظللتُ أعتادُ المسجدَ على جهلي بصاحبهِ الذي تسمَّى باسمه، حتى جاء اليوم الذي شاء الله لي فيه المعرفة، عندما كنت أصلي الجمعة في المسجد الكبير بقريتي «كفر الحصة»، وكان يخطبنا فيها أحد أعلام الأزهر الشريف وشمس من شموس القرية «**أ. د. عبد العزيز المرشدي**» وكان ذلك في ذكرى عاشوراء.

وبطبيعة الحال تكلم الدكتورعن يوم عاشوراء وعمَّا حدث فيه مع سيدنا موسى، ثم تعرض لحادثة كربلاء واستشهاد سيدنا الحسين في هذا اليوم، ثم اختتم خطبته بالحديث عن أحد أعلام قرية درين المجاورة لنا، والذي قد أطلَّ على الحياة في يوم عاشوراء وهو «الشيخ عبد العزيز الدريني»، ثم طوَّف بنا عن بعض سيرته العطرة وعن مؤلفاته وعن مكانته العلمية.

فكنتُ لأول مرة أسمع هذه المعلومات وأعرفها، وكنتُ يومها فتًى صغيرًا في المرحلة الإعدادية، فنزلتْ هذه المعلومات على صدري نزولَ الغيث على الأرض المتعطشة للري، ومن يومها تغيَّر حالي مع المسجد الدريني، فأصبحتُ لا أذهب إليه إلا وحتمًا أتوجه للضريح وأدعو لصاحبه مستشعرًا بأنني أقفُ أمام رجلٍ عالمٍ وليس درويشًا.

وفي يوم ما وأنا في المسجد؛ لَمحتْ عيناي لوحاتٍ (برواز) مُعلَّقةً على جدار المسجد بجوار الضريح، فاقتربتُ منها فإذا هي سيرة ذاتية حاملة بعض المعلومات حول الشيخ عبد العزيز الدريني مكتوبة بخط اليد.

قرأتُ هذه المعلومات وحفظتها وضممتها إلى المعلومات التي قد سمعتها قبل ذلك من الدكتورعبد العزيز المرشدي.

ولم يكن أبدًا في مُخيِّلتي أن أُقدّم دراسةً عن هذه الشخصية في يوم ما، حتى أَلقى اللهُ بهذه الفكرة في قلبي وعقلي منذ فترة وأنا أصلي في جامع الدريني.

ومن يومها وأنا مستمر في البحث عن هذه الشخصية الدرينية، ليلًا نهارًا، أبحثُ في أمهات الكتب، وأتتبع المصادر، وأجمع كلمة من هنا وسطرًا من هناك، حتى أتمَّ اللهُ عليَّ النعمة وفتح عليَّ من بركاته، وهداني إلى الوصول للمصادر والمراجع التي أشارت للإمام الدريني؛ حتى خرج هذا الكتاب الذي هو من أعز الكتب التي قمتُ بإعدادها في نفسي، وهو محض فضل من الله ومعونته، فلولا الله ما اهتدينا ولا قرأنا ولا كتبنا.

في هذا الكتاب البسيط نتعرف على الإمام عبد العزيز الدريني، وإمامته في العلم والمعرفة، وكيف كان حاله مع أقرانه من العلماء، وبما شهدوا له، وكم تتلمذ على يديه من علماء كبار، وكم استفادت الأمة من عطائه الفكري.

نعيش بين صفحات هذا الكتاب مع مجموعة كبيرة من المؤلفات العلمية الثمينة النادرة، نرتشفُ من رحيقها وهداها ونقتبسُ من عطائها وسناها.

ونسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا وينفع شباب الأمة بهذا الكتاب؛ وأن يوقظنا من غفلتنا وأن يرزقنا الاقتداء بالعلماء الصالحين الصادقين، كما أسأله سبحانه أن يُشفِّع فينا نبيَّهُ الكريم ﷺ بحق حُبنا واهتمامنا لأحد علمائه وورثته.

اللهم إن أحيا غيرنا ذكر الفاسدين؛ فَأَحْيِ بنا ذكر الصالحين.

وصلى الله وسلَّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

محمد حمادة الشافعي

بويحث في تاريخ الحضارة الإسلامية

الفصل الأول: تعريف بالإمام الدريني

اسمه ونسبه ولقبه

اسمه ونسبه(3)

هو الشيخ أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدميري الدَّهري الدريني.

(3) استقينا هذه الترجمة من المصادر الآتية: تاريخ بغداد لابن رافع السلامي ص 80. & طبقات الشافعية للسبكي (8/ 200) & الضوء اللامع للسخاوي (9/ 167). & الوافي بالوفيات للصفدي (19/ 200). & الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 361) & الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (3/ 263). & طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (4/ 80).& مجموع الفتاوى لابن تيمية (27/ 485). & تاريخ الإسلام للذهبي (51/ 332). & ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، تأليف: عفيف الدين المطري العبادي، ص 99. & طبقات الشافعية للإسنوي (1/ 269). & تذكرة النبيه لابن حبيب الحلبي (1/ 130). & طبقات الأولياء لابن الملقن ص 447. وكذاك العقد المذهب له ص 381. & عقد الجمان للعيني (3/ 292). & المنهل الصافي لابن تغري بردي (7/ 269). & حسن المحاضرة للسيوطي (1/ 421). & الإتقان للسيوطي أيضا (1/ 70). & الكواكب الدرية للمناوي (2/ 444). & شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي (7/ 785). & سلوة الأحزان للمشتولي صفحة 53. & طبقات المفسرين للأدنه وي الرومي ص257. & جامع كرامات الأولياء للنبهاني (2/ 173). & الأعلام (4/ 13). & معجم المؤلفين لعمر كحالة (5/ 241). & معجم المفسرين لعادل نويهض (1/ 285). & بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، ص 590. & رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد ... وغير ذلك.

ينتهي نسبه إلى الإمام حسن الأنور بن الإمام زيد الأبلج بن سيدنا الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.[4]

لقبه

كان لسيدي عبد العزيز الدريني أكثر من لقب، اشتهر به بين الناس، فكان **يُلقب بـ «الدريني»** نسبة للقرية التي عاش فيها، والتي تسمى «درين» أو «ديرين»، وهي الآن من قرى مركز «نبروه» محافظة الدقهلية [5].

كذلك كان يُعرف أيضًا بـ «الدميري»؛ وذلك نسبة لقرية «دميرة» - وهي من قرى مدينة طلخا محافظة الدقهلية – حيث ينتمي إليها

(4) وجدت هذا النسب في مقدمة الطبعة الأولى لكتاب (المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى) للدريني، والذي طبعه الشيخ محمد بهاء الدين الدريني على نفقته عام 1330هـ بالمطبعة الجمالية بمصر، ولقد أطلعني على تلك النسخة القديمة حفيده الأستاذ سليم بهاء سليم محمد بهاء الدين الدريني – وهو من نسل الشيخ عبد العزيز الدريني والمقيم بقرية درين - كما أطلعني على شهادة تتضمن شجرة نسب العائلة الدرينية للإمام الحسن الأنور.

(5) كانت هذه القرية «درين» في زمن الشيخ عبد العزيز تابعة لمدينة «سمنود» محافظة الغربية، وظلت من أعمال مديرية الغربية، إلى أن جاءت التقسيمات الإدارية الجديدة للمدن، وتم فصلها عن الغربية وضمها الى مركز «طلخا» التابعة لمحافظة الدقهلية فى عام 1955م، ثم بعد ذلك وبعد أن تحولت «نبروه» من قرية إلى مدينة فى 3 فبراير من عام 1991م، تم إلحاق «درين» والقرى المجاورة إليها، وبهذا أصبحت «درين» إحدى قرى مدينة نبروه التابعة لمحافظة الدقهلية.

لذلك عندما تقرأ في سيرة الشيخ عبد العزيز الدريني تجد أنهم ينسبونه لمحافظة الغربية، وذلك محمول على التقسيم الإداري القديم.

أصل عائلته، وبالرغم من أن هذه العائلة لم تستقر فيها مدة طويلة ثم رحلت إلى درين، إلاَّ أنهم اشتهروا بها.

عُرف أيضًا بأبي محمد القزويني، كما أشار إلى ذلك المؤرخ الكبير ابن رافع السُلامي في كتابه (تاريخ بغداد) عندما ترجم لسيدي عبد العزيز الدريني قائلًا: «عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري أبو محمد **المعروف بالقزويني**، نظم التنبيه للشيخ أبي إسحق والوجيز للغزالي وغير ذلك...».(6)

كذلك كان من ألقابه: ضياء الدين - أبو الضياء – عز الدين ...(7)

ولعل السبب في كثرة ألقابه أنه كان كثير التَرحال، وكان إذا نزل ببلد نُسب إليها.(8)

ولعل هذا ما أشار إليه **الحافظ تاج الدين السبكي في قوله**: «وَكَانَ الشَّيْخ عبد الْعَزِيز مترددا فِي الرِّيف والنواحي من ديار مصر لَيْسَ لَهُ مُسْتَقر».(9)

***

(6) تاريخ بغداد لابن رافع السلامي ص 80.

(7) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، ص 589.

(8) أخبرني بذلك الأستاذ سليم بهاء سليم محمد بهاء الدين الدريني – وهو من نسل الشيخ عبد العزيز الدريني والمقيم بقرية درين.

(9) طبقات الشافعية (8/ 199).

مولده ونشأته

ولد سيدي عبد العزيز الدريني بقرية درين[10] في عام 612 هـ، وقيل 613هـ، في أواخر عصر الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب، والذي تولى سلطنة مصر من سنة (596هـ) حتى سنة (615هـ)، وبها نشأ النشأة الصالحة.

حفظ القرآن منذ صغره في كتاتيب قرية درين، وكان هذا شأن كل الأطفال في هذه الفترة، أنهم يبدأون حياتهم بحفظ القرآن الكريم، وكانت الكتاتيب في القرية قديمًا لا تقتصر على تحفيظ القرآن فقط، بل كانت تُعلِّم الأطفال أساسيات القراءة والكتابة والحساب.

تعلم الشيخ في الكُتَّاب ثم بدأ ينتقل من شيخ لآخر بالقرى المجاورة له، وتعلم على يد العلماء الأكابر، حتى صار واحدًا منهم.

درس على الإمام سلطان العلماء «**العز بن عبد السلام**»، وقد درس أيضًا على يد شيخ مشايخ الإسلام بالديار المصرية **أبوالفتح بن أبي الغنائم** الرَّسعنيّ الواسطي، وغيرهما، وكان كثير الأسفار في قرى مصر، ودرس على علماء كُثُر، كما سنذكر في هذا الكتاب إن شاء الله.

***

(10) كل الذين ترجموا للدريني ذكروا أنه قد ولد بقرية درين.

عِلْمُهُ

♦ **كان رضي الله عنه عالمًا كبيرًا، ومفسرًا وشاعرًا وأديبًا**. وكان شافعي المذهب، صوفي المشرب، رفاعي الطريقة.

وصفهُ الامام تاج الدين السبكي بأنه: "الشيخ الزاهد، القدوة، ذو الأحوال المذكورة، والكرامات المشهورة، والمصنفات الكثيرة، والنظم الشائع"[(11)].

وقال الحافظ **العيني**: «الشيخ الفاضل عبد العزيز الديرينى، كان فاضلا، عالمًا بالنحو واللغة والأصولين، وله فى كل فن فضل....».[(12)]

وقال عنه **العبَّادي في ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين**: «العلامة الأوحد، الإمام القدوة الزاهد، الفقيه، أحد المشايخ المشهورين، والأئمة المذكورين، في التفسير وعلومه، والعربية والتصريف والمعاني والبيان واللغة والعروض، إمامٌ في مذهب الإمامين الشافعي والمالكي، خبيرٌ بهما .... إمام فى طريق التصوف، مشتغل في إشارات الصوفية، زاهد عابد منقطع، دمث الأخلاق متواضع، عُرض عليه القضاء فامتنع زهدًا، ولم يباشره بعدُ

---

(11) طبقات الشافعية للسبكي (8/ 200).

(12) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (3/ 292).

قط إلى أن مات، وكان له مع هذه العلوم براعة وبلاغة في النظم والنثر، وله مصنفات في فنون عديدة نظمًا ونثرًا ....».[13]

- **كان من العلماء الموسوعيين** الذين تميزوا ونبغوا وأنتجوا في العديد من العلوم المختلفة والمعارف المتنوعة كما سنرى في مؤلفاته.

- **كان من العلماء الزهاد الربانيين**، وفي هذا يقول **أبو حيَّان الصوفي**: كان متقشّفًا، مخشوشنا، من أهل العلم، يتبرّك به الناس.

قال **السبكي**: وهذا من أبي حيان كثير، لولا أن هذا الشيخ ذو قدم راسخ بالتقوى لما شهد له أبو حيّان بهذه الشهادة؛ فإنه كان قليل التّزكية للمتصلّحين.

- **كان خطَّاطًا بارعًا**، وكان الناس يضربون المَثل بخطه وبقلمه، بل كانوا يُقلِّدونه، وفي ذلك يقول **الإمام السخاوي** في ترجمة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَليّ الشَّمْس بن الشّرف الْجَوْجَرِيّ ما نصه: "وتميز فِي الْفضل وجود الْخط وَكَانَ يذكر أَن شَيْخه فِي الْكِتَابَة مِثَال خطّ سَيِّدي عبد الْعَزِيز الديريني"[14].

- **كان من العلماء الأشاعرة**، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو مذهب السواد الأعظم من العلماء عبر التاريخ. يقول

---

(13) ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، تأليف: عفيف الدين المطري العبادي، ص 99.

(14) الضوء اللامع للسخاوي (9/ 167).

السبكي في الطبقات: "وَكَانَ يعرف علم الْكَلَام على مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ".

- **لم يكتف بتأليف الكتب فقط، بل راح يؤلف الرجال**، فكان مُربيًا للقلوب والنفوس، وكانت له حلقات التربية والسلوك يحضرها المريدون من كل العالم الإسلامي.

***

أساتذته

الأستاذ هو الركن الأساس في عملية التعليم؛ وكما يقول التربويون: أركان العلم خمسة: (الأستاذ - الطالب - الكتاب - المنهج - البيئة العلمية).

وبدون الأستاذ يحدث خلل في المنظومة التعليمية، وعلى هذا يتخرج الطالب هزيلا ضعيفا في المستوى العلمي، حتى وإن حفظ آلآف الكتب والمتون.

لذلك يقول أهل العلم: (مَنْ كان شيخه كتابه، كان خطأه أكثر من صوابه).

أدرك الوالدان هذه الحقيقة؛ فبعثوا بسيدي عبد العزيز منذ طفولته إلى الأساتيذ المشهورين بالعلم والصلاح؛ فأخذ الدريني العلم من مصادره، وعن رجاله، حتى صار نجمًا ساطعًا بين العلماء.

تعلم سيدي عبد العزيز الدريني العلوم المختلفة على يد علماء كُثُرٍ، ربما يفوق عددهم المائتين.

ومن الداعي للانبهار في شخصية سيدي عبد العزيز أنه لم ينسَ أساتذته أبدًا، بل تكلَّم عنهم جميعًا، وذكر أفضالهم عليه، وشكرهم ودعا لهم، وكتب

في ذلك قصيدة كبيرة مطولة، يُعدِّد فيها أفضال أساتذته عليه، ويذكرُ محاسنهم ومناقبهم.

وهذه القصيدة معروفة بـ «الأرجوزة الوجيزة»، والتي يقول في مطلعها:

وهــــذه أرجـــوزةٌ وجيـــزةٌ ضَـــمَنَتُها المقاصـــد العزيـــزة

بـــذكر مَـــنْ بـــالعلم والصـــلاحْ بـــــدا عليـــــه عـــــالمٌ ولاحْ

مِمـــن صـــحبتُ لرجـــاء النفـــعِ ولاجتمـــاع الشـــملِ يـــوم الجمـــعِ

مشـــــايخٌ أئمـــــةٌ أبـــــرار وأخـــــوةٌ أحبـــــةٌ أخيـــــار

***

<u>**وفي آخرها يقول:**</u>

فهــــؤلاء كلهــــم أبــــرار أئمــــــة لــــــديننا أخيــــار

أعطــاهم العلــم فهــم فــي سِــترِ فــالنجمُ لا يظهــر وقــت الظُهــرِ

لأن نــــور علمهــــم كالشــــمسِ وزهــــدهم مســــتتر فــــي طَمْــسِ

وفضلهم يُغني الورى عن شـاهدِ ولـــيس يخفيـــه ســـوى معانِـــدِ

وإنمـــا يحتـــاجُ للكرامـــهْ مـــن لـــم يكـــن لفضـــله علامـــةْ

وهـا أنـا ذا أذكـر أهـل المعرفـهْ ذي الصـــدق والـــدلائل المُشَـــرِّفة

لأنهــم عاشــوا بِـــأُنس الـــربِّ سِــرًّا وذاقـوا مــن شــراب الحــبِّ

فهـم جلـوسُ فـي نعـيم الحضـرةِ وُجُـوهِهمُ فـي نضـرةٍ مـن نظـرةِ

وكــــلُّ مَـــنْ والاهُ ربُّ العـــزَّهْ فهـــو الـــذي يُعِـــزُّ مَـــنْ أعـــزَّهْ

***

وبين مطلع القصيدة وآخرها ذكر عددًا كبيرًا من أساتذته وشيوخه، ممن صحبهم وتعلم منهم، وهم كُثُر، نكتفي بذكر بعضهم مثل:

(1) الإمام أبي الفتح بن أبي الغنائم الرسعني

يقول عنه الديريني:

وشـيخنا الشـيخ أبـو الفـتح الأسـدْ لنـــا بـــه إلـــى الرفـــاعي الســـندْ

لـــــه كرامـــــات وفضـــــل بـــــادٍ كَثرتُهـــا جَلَّـــت عـــن التَّعـــدادِ

صَـــحِبتُهُ نحـــو ثلاثـــة عشـــرا مـــن الســـنين إذ وجـــدتُ الســـرَّا

(2) الإمام أبو الفتح الواسطي

ذكره الديريني في أرجوزة أخرى تعرف باللامية:

شـيخي أبـو الفـتح الـولي الواسـطي　　منــه إلـى أهـل الـرواق توصـلي

تلميـــذُ أحمـــد، ســـيدي أنفاســـهُ　　عنــه شـفاها دون حجـب فيْصَـلِ

بايعتــه عُمــراً علــى شــرط الوفــا　　عقـدا علـى التحقيـق غيـر مُبـدَّلِ

وقطعــتُ فــي أيامــه زمــنَ الصــبا　　حتــى قضــى علــى موثقــه وَلــي

(3) **الإمام العز بن عبد السلام**

يقول الديريني:

والشــيخ عــز الــدين تــاج العُلمــا　　بــدر الزمــان إذا قــام العُلمــا

لاحــت لنــا مــن نحــوه المســرَّهْ　　طــوبى لعــين نظرتــه مــرَّهْ

(4) **الإمام سراج الدين عبد الله**

صَحِبَهُ الديريني سبعة أعوام ووصفه بقوله:

مــنهم ســراج الــدين عبــد اللهِ　　كنــا بفضــل علمــه نُبَــاهي

صَـــحِبتُهُ ســـبعَ ســـنينَ أوَّلا　　وكنـــتُ فـــي خدمتـــه مفضَّـــلا

عنـــي مـــن الله علـــيَّ فضـــلًا　　مــا كنــتُ فــي القَـدْرِ لـذاك أهـلًا

وكــان بحــرًا فــي علــوم النظــرِ　　والفقــه والتحريــر ذا تحــري

(5) الإمام تاج الدين بن بهرام

قال عنه الديريني:

وتـاج الـدين بـن بهـرام البـدل كـان إمـامي فـي العلـوم والعمـلِ

أوصـافهُ فـي فضـلهِ مـأثورةٌ وكـم لـه مـن كرامـة مشـهورةٌ

صَـحِبتُهُ خمسًـا وعشـرين سـنهْ حتـى قطعـتُ مـن زمـاني أحْسَـنهْ

(6) الإمام أبو بكر زين الدين المحلِّي

يقول الديريني:

والشـيخ زيـن الـدين بالمحلـهْ أعنـي أبـا بكـر، فمـا أجلَّـهْ

وعلمـهُ وزهـدهُ معـروفٌ وشـكرهُ بـين الـورى موصـوفُ

قـد نِلْـتُ منـه دعـوةً مجابـهْ وصَـحِبَهُ لـي معهـا قرابـهْ

(7) الإمام مجد الدين محمد بن عبد الصمد الأنصاري

وقد سمع الديريني منه الموطأ، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، ومسند أحمد، كما أجاز له رواية عامة بكل ما يرويه، وكتب له ذلك بخطه في أواخر ربيع الأول 640 هـ. وهذا ما سجله الديريني بخطه في نهاية منظومته التيسير في التفسير، في إحدى نسخها.[15]

(15) انظر: مخطوط التيسير في التفسير، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير: 80)، (ل 114-117) & نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 40.

ويقول الديريني عنه في الأرجوزة الوجيزة:

والشـيخ مجـد الـدين ذو الفنـونِ هـو ابـن عبـد الصـمد الأمـينِ

محمـد المنتسـب الأنصـاري كـالبحر فـي معرفـة الآثـارِ

رَويـتُ عنـه كـل مـا يرويـه مـن سـائر العلـوم أو يليـهِ

(8) الشيخ عبد الوهاب بن خلف الدميري

هو قَاضِي الْقُضَاة بالديار المصرية تَاج الدّين أَبُو مُحَمَّد المشهور بابْن بنت الْأَعَز، ولد سنة 614 هـ وَتُوفِّي سنة 656هـ. وَكَانَ إِمَامًا فَاضلا متبحرًا تولى العديد من المناصب الجليلة كنظر الدَّوَاوِين والوزارة وَالْقَضَاء.(16)

قال عنه الديريني في الأرجوزة:

وشـيخنا عبـد الوهـاب بـن خلـف كـان شـبيهًا فـي السلوك بالسلف

لـه علـومٌ جمَّـةٌ وزُهـدُ وخشـيةٌ وورعٌ وقصـدُ

(9) الإمام الشرف بن تغلب

يقول الديريني:

وقـد صَـحِبتُ الشـرف بـن تغلـبْ ونلـت منـة جـدواه أي مطلـبْ

أفـادني فـي مـدةٍ قليلـهْ فوائـد عظيمـة جليلـهْ

(16) الوافي بالوفيات (19/ 200).

(10) الشيخ إبراهيم بن وليد

يقول الديريني:

والعـــــالمُ الصــــالحُ إبــــراهيمُ   بــــن وليـــد، فضـــلهُ عمـــيمُ

عــاش سـليمًا فــي جميـع الـرزقِ   مســـــتغنيًا بــــالله لا بــــالخلقِ

ذو الخُلــق المستحســنِ الرضــيِّ   والمنظـــر المســـتعظم البهـــيِ

عمَّــــرَ فــــي نزاهـــة وطاعـــهْ   وعفـــــةِ تتبعُهــــا قناعـــــهْ

وحــجَّ عــامين ثــم زار المصـطفى   ثــم الخليــل، ذو العهــود والوفــا

فمــــات عنــــدما أتـــى الخلـــيلا   فحــــاز ثَـــمَّ مغنمًـــا جلـــيلا

(11) الإمام حسن الأنباري

وقــد صــحبتُ حســن الأنبــاري   ذو الصــدق والأحــوال والأنــوارِ

والزهـــد والعبـــارة الفصـــيحهْ   والكشــف والفراســة الصــريحهْ

والنطـــق فـــي الحكـــم والبيـــانِ   نُطـــق المـــراد العـــالم الربـــاني

قــد نلــتُ مــن صــحبته مرامــا   فــي الخيــر نحــو أربعــين عامــا

(12) الشيخ يعقوب الدكالي

وقــد صــحبتُ شــيخنا الــدكالي   يعقــوب فــي عمــر البقــي الحــالي

عشـرين عامـاً كـان لـي فـي رُؤيتـهْ   معنـى لُقيـا البحـرِ عنـد صَـدْمتِهْ

قَـــبْضٌ وَوَجْـــدٌ بعـــده طَـــراحُ   وكـــان بِلتـــاَج الارتيـــاحُ

(13) الشيخ عبد الله الصوفي

ويبدو أنه كان من المشايخ القريبة إلى قلب الديريني، وذلك نلاحظه في مدحه له، إذا يقول فيه:

الشـــيخ عبـــد الله ذو الأحـــوالِ   والصـــدق حقًـــا والمقـــام العـــالي

وكـــان فـــي رؤيتـــه ولحظـــهِ   مـــا يمـــلأ القلـــوب قبـــل لفظـــهِ

فـــإن بـــدت ألفاظـــه الخفيـــهْ   فيـــا لهـــا مـــن حالـــة ســـنيهْ

وإن بـــدا بـــالنطق فـــي الحقـــائق   دقـــق حتـــى تعجـــم الـــدقائق

وإن ســـمعتَ لفظـــه فـــي العلـــم   جـــاء بفـــتحٍ فـــاقَ أهـــلَ الفهـــمِ

صَـــحِبتُهُ نحـــو الثلاثـــين سَـــنَهْ   كأنهـــا مـــن طيبهـــا كانـــت سِـــنَهْ

***

- **وغير ذلك كثير جدًا ذكرهم الديريني في الأرجوزة الوجيزة فقال:**

وقـــد صـــحبتُ الســـادةَ الكبـــارا   أصـــحابه المشـــايخ الأخيـــارا

الشـــيخ تـــاج الـــدين، والســـراجا   اثنـــان أيضًـــا مقـــامهم بِلتَاجَـــا

ثـــم أخـــاه فـــي الســـلوك والســـكنْ   ذا الهمة العليا الرضـى أبـا الحسـن

ثـــم القليبيـــي أبـــا المعـــالي عبـد السـلام الصـادق الأحـوالِ

ذا الـــنفس الطـــاهر والمحَافـــل في الخير كم أحيا بها من غافل

ثـــم أخـــاه البَـــر إبراهيمـــا كـــان محبـــاً صـــادقاً كريمَـــا

لـــه مقـــامٌ راسـخٌ فـــي الصـــدقِ فـــي كـل حـالٍ صـادعٍ بـالحقِ

والشيخ ضرغام المسيري الرضـى قـد كـان ضـرغامًا وسـيفًا منتضـى

ثـــم أبـــا بكـــر وقـــد تقـــدَّما ولـــم يـــزل فـــي فضـــله مُقـــدَّما

والعـــارف الـــدقّاق ذو الوفـــاء والخُلُـــق المرضـــيِّ والحيـــاءِ

فهـــــــؤلاء أنجـــــــمُ دراري أنـــوارهم مضـــيئة للســـاري

لـم يبـق فـي السـتين والسـتمائهْ فـي النـاس مـن أصـحابه إلا فئـهْ

قليلـــــةُ قـــــد غلبـــــت كثيـــــرهُ وأظهـرت بـين الأنـام نـورهُ

وإننـــــي، لفعلتـــــي، أقلهـــــم وقـــد تقضـــى مـــنهم أجلُّهـــم

وقــد صــحبتُ حســن الأنبــاري ذو الصــدق والأحــوال والأنــوارِ

والزهـــد والعبـــارة الفصـــيحهْ والكشـــف والفراســـة الصـــريحهْ

والنطـــق فـــي الحكـــم والبيـــانِ نُطـــق المـــراد العـــالم الربـــاني

قــد نلــتُ مــن صــحبته مرامَــا فــي الخيــر نحــو أربعــين عامًــا

كـــذا ابـــن عمـــه أبـــو علـــي ذو همـــــة ومقصـــــدٍ جَلِـــــيْ

عُبَيْــد فـــي (ديصـــة) ذو الفتـــوهْ والزهـــد والحيـــاء والمـــروهْ

وقــد صــحبتُ شــيخنا الــدكالي يعقــوب فــي عمــر البقــي الحــالي

عشرين عامــاً كــان لــي فــي رُؤيتــهْ معنــى لُقيــا البحــرِ عنــد صَــدْمتِهْ

قَـــبْضٌ وَوَجْـــدٌ بعـــده طَـــراحُ وكـــــان بِلتـــــاَج الارتيـــــاحُ

والشــيخ قاســم، الــذي اجتهــادُهْ مشــهورٌ، وقــد بــدا لنــا اجتهــادُهْ

تلميــذ يعقــوب العظــيم القــدرِ قــد كــان فــي عمــري لجبــر الكســرِ

وقــد صــحبتُ العــارِفَ الصَّــدِّيقا عبــد الــرحيم، مشــفقاً صَــدِيقا

وكـــان ذا زهـــد وعلـــمٍ وعمـــلْ صــحبتُه عشــرين عامــاً فــي مَهَــل

والشـــيخ يحيـــى الصـــالح الســـنيًّا والشــيخ مــرزوق الفتــى البراســيًّا

والشيخ مــرزوق الرضــى السِــكَيًّا ثـــم الصـــقلي قاســـم الرِضـــيًّا

ثـــم كبيـــراً وأبـــا ماضـــي معـــا خـــادم الرمـــل الـــذي ينْتَفِعـــا

ثـــم المليجـــي علـــيُّ الصـــادق ونجلـــــه التـــــاج واثـــــقْ

والعـــــارف المحقـــق الــــدقاقا تســـبيحه علــــى الرجــــال فاقــــا

هـو الـولي المرتضـى أبـو الحسـن أخلاقـهُ تجلـو عـن القلـب الحَـزَنْ

قــد صــحبتُ الصــادق الغربــاوي فكــان فــوق مــا يقــول الــراوي

وقــد صــحبتُ الأفطــع المجاهــداَ محمــداً وقــد كــان فــرداً واحــداْ

صــــحبتهُ بــــالحرم الشـــريفِ ووصـــفه يَجِـلُّ عـــن تصـــنيفي

والشــيخ نصــر جاءنــا بالقــاهرهْ وقـــد بـــدأنا بكشـــوف ظـــاهرهْ

وبعـــدها رأيتـــه علـــى الصـــفا حتـــى إذا أضـــمرتُ لقيـــاهُ اختفـــى

وواحـــــدا رأيتـــــه بعرفـــــهْ ســـوا إليهـــا نظـــرة مختطفـــهْ

ونلـــــتُ مـــــا يفـــوق ظنــــي ثـــم اختفـــى بـــلا حجـــاب عنـــي

وثانيـــة رأيتـــه فـــي وقـــتِ مخـــتلس الـــذكر بحســـن صـــمتِ

حتـــى إذا أخبــرتهم عنـــه احتجـــب فاعجـــب لأمـــر خـــارق ولا عجـــب

***

- **بل في نهاية الأرجوزة يقوم الديريني بالشكر والثناء على كل مَنْ تعلَّم منه، وكل مَنْ كان سببًا في تزكية قلبه وتأديب سلوكه، فيدعو لهم جميعًا، فيقول:**

وكـــلُّ شـــيخ نلـــتُ منـــه علمـــا وأدبًـــا، فهـــو إمـــامي حتمـــا

وكـــلُّ شـــيخ زرتـــهُ للبركـــهْ فقـد وجـدتُ ريـح تلـك الحركـهْ

وقـــد عُـــدتُ مـــنهُم جماعـــهْ اشـــتهروا بالفضـــل والبراعـــهْ

ومـا سـلكتُ عـن سـواهم صـدًّا ولـم أصِـق[17] حَصْـرَ الجميـع عـدًّا

فأســـألُ اللهَ لهـــم رضـــاهُ فإنـــه مـــن ارتضـــى ارتضـــاهُ

وأن يحقـــق الـــذي قصـــدتُهُ بـــذكرهم فـــي نيـــلِ مـــا أمليتـــهُ

وأن يُميتَنـــي علـــى الإيمـــانِ فـــذاك رأس المـــال والأمـــانِ

وآنَ أنْ أذكـــرَ قومًـــا درجـــوا ومـن مضـيق شـحهم قـد خرجـوا

قـد كـان لـي بأُنْسِـهم سُـلْوانُ ومـا نسـيت ذكـرهم إذ بـانوا

وقـــد بقيـــتُ بعـــدهم فريـــدَا مُخلَّفًـــا عـــن رفقتـــي وحيـــدَا

أقطـــعُ الأوقـــاتَ بالرجـــاءِ لتَحضُـــر الوفـــاةُ بالوفـــاءِ

وفـــي الزمـــان مـــنهم بقيـــهْ قليلـــةُ صـــالحة مرضـــيهْ

فقـــل لهـــم إذا أقـــاموا بعـــدنا يـدعو لنـا، فقـد دعونـا جُهـدَنَا

---

(17) ذكرها ابن الملقن هكذا، ولعله خطأ مطبعي والصواب (أطق).

والحمـــــد لله العظـــــيم القـــــادرِ	المُــــنعمِ البَــــرِّ الــــرحيمِ الغــــافرِ
ثــم الصــلاةُ والســلامُ الســرمدي	علـــى النبـــي المصـــطفى محمـــدِ
ونســـألُ اللهَ قبـــولَ المعـــــذرهْ	والعفـــو عنـــا وجميـــع المغفـــرهْ

***

تلاميذه

يقول الإمام عبد الوهاب الشعراني وهو يتكلم عن مكانة الشيخ الديريني:

«وصحبهُ جماعة كثيرة من العلماء وانتفعوا بصحبته».[18]

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أنَّ الشيخ الديريني - رحمه الله - كان له تلاميذ ومريدون تصحبه وتتعلم منه، وهو أمر طَبَعِي وبَدَهِي خاصة وأنَّ الشيخ قد نال شهرة علمية كبيرة في زمانه، وكان نجمهُ ساطعًا بين أقرانه من العلماء.

لكن للأسف لم تذكر كتب التراجم شيئًا عن هؤلاء التلاميذ، اللهم إلا اثنين من تلاميذه وهما:

1) شهَاب الدّين أَحْمد بن مَنْصُور الْمَعْرُوف بِابْن الجباس.[19]

(18) الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 361)، مكتبة الثقافة الدينية.

(19) الوافي بالوفيات (18/ 284).

وهو أَحْمد بن مَنْصُور بن أسطوراس الدمياطي يعرف بِابْن الجبّاس، قَرَأَ الْقرَاءَات ولَهُ نظم كثير، وَكَانَ خطيب الورّادة الَّتِي فِي رمل مصر، من مواليد 653 هـ.[20]

2) عثمان بن محمد بن يوسف السنباطي.

هو عُثْمَان بن مُحَمَّد بن يُوسُف السنباطي الْكَاتِب الْحَنَفِيّ سمع من الْحَافِظ الدمياطي وَحدث عَنهُ وَحدث عَن الشَّيْخ عبد الْعَزِيز الديريني، وكَانَ شرِيف النَّفس متقللًا من الدُّنْيَا.[21]

لكن الإمام الديريني قد أشار إلى أسماء بعض تلاميذه!!، وذلك في نص الإجازة التي كتبها بخط يده في نهاية إحدى نسخ منظومته التيسير في التفسير، حيث قال:

(بلغ السماع لجميع هذا الكتاب المعروف بالتيسير في علم التفسير من لفظ مصنفه ... أبي محمد عبدالعزيز بن أحمد بن سعيد نفع الله ببركاته وتقبل صالح دعواته، فسمعها القضاة الأجلاء، والعلماء الفقهاء الفضلاء، والسادة النبلاء: زين الدين أبو الفتح منصور بن عرفات، الحاكم بالأعمال الدمنهورية، وأخوه الفقيه الأجل العالم جمال الدين أبو محمد، وولده القاضي الأجل شرف الدين محمد، والفقيه الأجل الأمين زين الدين أبو بكر بن أبي القاسم الذي عُرف بابن مشرف، والفقيه الأجل كمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن منصور الكتاني، وأجاز الشيخ المذكور أعلاه لمن سمى فيه

(20) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (8/ 122).

(21) انظر ترجمته في الدرر الكامنة (3/ 263).

جميع إجازاته ومسموعاته ومصنفاته ومقولاته ومنقولاته، وذلك في العشر الأول من ربيع الآخر سنة 674هـ، وقد أجزت السادة الفقهاء المذكورين برواية جميع ما أرويه وما صنفته). ثم ذكر جملة من مصنفاته.[22]

***

اهتمام العلماء وطلبة العلم بمؤلفات الدريني

لقد اهتم طلاب العلم ومشايخه بمؤلفات الإمام الدريني، لدرجة أنهم كانوا يدرسونها كمقرر رسمي في رحلتهم التعليمية، وعندما نتصفح كتاب (**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**) نجد أن الإمام السخاوي ذكر مؤلفات الشيخ عبد العزيز الدريني كثيرًا أثناء ترجمته للعلماء، مشيرًا إلى أنَّ هذه المؤلفات كانت من المراجع الأساسية التي كان لا بد أن يعود إليها طلاب العلم في بداية رحلتهم العلمية.

وهذه بعض الأمثلة التى ذكرها الإمام السخاوي:

1- ذكر السخاوي في ترجمته للصالح برهَان الدّين النينـي أنه حفظ في صغره أرجوزة «الْفرق بَين الضَّاد والطاء» لعبد العزيز الدريني [23].

---

(22) انظر: مخطوط التيسير في التفسير، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير : 80)، (ل: 116-117) & نقلا عن رسالة الدكتوراة ص 46.

(23) الضوء اللامع (1/ 121).

2- فـــي ترجمـــة: أَحْمـــد بـــن عبـــد الـــرَّحْمَنِ بـــن عمـــر شـــهَاب الـــدّين الْبِسَـــاطِيّ، قـــال الســـخاوي: "وحفـــظ تَفْسِـــير الشَّـــيْخ عبـــد الْعَزِيـــز الديريني....."[24].

3- في ترجمة: حسن بن عَلـيّ بـن أبـي بكـر بـن صَـلَاح الـدّين بـن الشَّـيْخ نصـر الْبَـدْر النمـراوي، قـال السـخاوي: "وقـرأ رائيـة الشَّـيْخ عبـد الْعَزِيز الديريني فِي مرسوم الْخط"[25].

4- فـي ترجمـة: خلـف بـن مُحَمَّـد بـن مُحَمَّـد بـن عَلـيّ الـزين أَبُـو مُحَمَّـد المشالي، قال السخاوي: "وحفظ تَفْسِير الديريني المنظوم"[26].

5- فـي ترجمـة: يحيـى بـن مُوسَـى بـن مُحَمَّـد بـن مُوسَـى بـن عَلـيّ بـن زكـي العساسـي السـمنودي، قـال السـخاوي: " ولـد بمنيـة عسـاس سـنة ثَمَـانِينَ وَسَـبْعمائة تَقْرِيبًـا وَحفـظ بهَـا الملحـة والنحـو والقريبـة للعز الديريني وَهِي سِتّمائَة بَيت وَخَمْسَة وَثَمَانُونَ بَيْتًا"[27].

6- كـذلك ذكـر ابـن قاضـي شـهبة عنـد ترجمتـه لــ (أَحْمـد بـن عبـد الـرَّحْمَنْ بـن عـوض الطنبـذي) أنـه تتلمـذ علـى كتـب الـدريني، فقـال

---

(24) المصدر السابق (1/ 332).

(25) المصدر السابق (3/ 108).

(26) المصدر السابق (3/ 185).

(27) المصدر السابق (10/ 262).

مـا نصـه: "وحفـظ مَـا ينيـف علـى خَمْسَـة عشـر ألـف بَيـت فِـي عـدَّة عُلُوم مِنْهَا تَفْسِير الشَّيْخ عبد الْعَزِيز الديريني"[28].

***

(28) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (4/ 80).

ثناء العلماء عليه

إنَّني من عادتي عندما أريدُ أن أبحثَ عن مكانة عالمٍ من العلماء كي أتأكد من تَضَلُّعِه ورساخته في هذا العلم؛ أتَّبِعُ مسلكين: إما مؤلفاته ورصيده المعرفي والعلمي الذي تركهُ، وإما نظرة العلماء الكبار له؛ لأنني أرى أنَّ من أسطع البراهين على مكانة الرجل العلمية هي شهادة العلماء الصادقين له بالعلم.

لأجل ذلك، فهذه مجموعة من أراء أهل العلم والتأريخ[29] حول مكانة إمامنا الدريني العلمية، استخلصتُها من كتابات أهلها بعد عَناء شديد؛ لنرقب عن كثب وقُرب القدرَ العالي لهذا الإمام الكبير.

(1) قال عنه **ابنُ سيد الناس**: «كان شيخاً صالحاً من أهل العلم، والفضل، والصلاح».[30]

وذكر **الإمام الذهبي** أن ابن سيّد النّاس قد جالس الديريني وأرّخ له، ولقيه بجامع دمنهور ووصفه بالعلم والفهم والصّلاح.[31]

---

(29) أهل التأريخ = المؤرخون.

(30) كتاب «أبو الفتح اليعمري: حياته وآثاره وتحقيق أجوبته» تأليف: الأستاذ محمد الراوندي (2/ 275).

(31) تاريخ الإسلام (51/ 332).

(2) ذكـره **شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة** فـي كتابـه الفتـاوى، واستشـهد بمقالـه، وقَرَنَـهُ بكبـار العلمـاء المشـهورين، ملقبًـا لـه بالشـيخ، وهـذا إن دل فإنما يدل على علو كعبه وجلال قدره.[32]

وأخبرنـا بعـض مشـايخنا - ممـن أثـق فـيهم - أن **شـيخ الإسـلام ابـن تيمية قال:** «وعبد العزيز الدريني ثقة عندنا».[33]

(3) قـال عنـه **الإمـام الـذهبي فـي تـاريخ الإسـلام**: «شـيخٌ، زاهـد، مشهورٌ، مقصودٌ بالزّيارة».[34]

(4) وصـفه المـؤرخ الكبيـر **صـلاح الـدين الصـفدي** بأنـه الشَّـيْخ الْقـدْوَة الصَّالح [35].

وقـال الصـفدي أيضًـا: «أَخْبرنِـي العلاّمـة أثيـر الـدّين أَبُـو حَيَّـان بـأن الـدريني كـان رجـلا متقشـفًا مخشوشـنًا مـن أهـل الْعلـم، يتبـرك النَّـاس بِـهِ، رَأَيْتـه مـرَارًا وزرتـه بِالْقَـاهِرَةِ، وَكَـانَ كثيـر الْأَسْـفَار فِـي قـرى مصـر؛ يُفِيـد النَّـاس وينفعهم، وَلـه نظـر كثيـر فِـي أكثـر مـن فـن، ومشـاركة فِـي فنـون شَـتَّى»[36]. **قـال السـبكي:** وهـذا مـن أبـي حيـان كثيـر، فلـولا أن

---

(32) مجموع الفتاوى (27/ 485).

(33) لم أقف عليها بنفس النص، لكن معناها يكمن فيما أشرنا إليه.

(34) تاريخ الإسلام (51/ 332).

(35) الوافي بالوفيات (18/ 284).

(36) نفس المصدر السابق.

هذا الشيخ ذو قدم راسخ بالتقوى لما شهد له أبو حيّان بهذه الشهادة؛ فإنه كان قليل التّزكية للمتصلّحين(37).

(5) قال عنه العلامة **العبَّادي في ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين**: «العلامة الأوحد، الإمام القدوة الزاهد، الفقيه، أحد المشايخ المشهورين، والأئمة المذكورين، في التفسير وعلومه، والعربية والتصريف والمعاني والبيان واللغة والعروض، إمامٌ في مذهب الإمامين الشافعي والمالكي، خبيرٌ بهما .... إمام فى طريق التصوف، مشتغل في إشارات الصوفية، زاهد عابد منقطع، دمث الأخلاق متواضع، عُرض عليه القضاء فامتنع زهدا، ولم يباشره بعدُ قط إلى أن مات، وكان له مع هذه العلوم براعة وبلاغة في النظم والنثر، وله مصنفات في فنون عديدة نظمًا ونثرًا .....».(38)

(6) قال عنه **الحافظ تاج الدين السبكي**: «الشَّيْخ الزَّاهِد الْقدْوَة الْعَارِف صَاحب الْأَحْوَال والكرامات والمصنفات وَالنّظم الْكثير نظم التَّنْبِيه وَالْوَجِيز وغريب الْقُرْآن وَغير ذَلِك وَله تَفْسِير فِي مجلدين منظوم، وَكَانَ الشَّيْخ عبد الْعَزِيز مترددًا فِي الرِّيف والنواحي من ديار مصر لَيْسَ لَهُ مُسْتَقر»(39).

(7) قال عنه الإمام **الإسنوي**: «كان عالمًا صالحًا سريع النظم».(40)

---

(37) طبقات المفسرين للداوودي (1/ 311).

(38) ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، تأليف: عفيف الدين المطري العبادي، ص 99.

(39) طبقات الشافعية (8/ 199).

(40) طبقات الشافعية للإسنوي (1/ 269).

(8) وصـــفه المـــؤرخ الكبيـــر **ابـــن رافـــع الســـلامي** فـــي كتابـــه العظـــيم (تـــاريخ بغـــداد) بقولـــه: «عبـــد العزيـــز بـــن أحمـــد بـــن ســـعيد الـــدميري .....الفاضـــل الأديـــب الزاهـــد، كـــان مـــن الزهـــاد المعـــروفين وأهـــل الخير المشهورين».[41]

(9) قـــال عنـــه المـــؤرخ **ابـــن حبيـــب الحلبـــي** فـــي كتابـــه تـــذكرة النبيـــه: «الأديـــب العـــالم الفاضـــل، الزاهـــد العابـــد العامـــل، كـــان مـــن المشـــهورين بـــالخير والصـــلاح، والأمـــوال والكرامـــات، والـــنظم الجيـد الكثيـر، نَظَـمَ الـوجيز والتنبيـه والسـيرة النبويـة وأرجـوزة فـي التفسـير وغيـر ذلـك، .... ومصـنفاته عديـدة مفيـدة، تـدل علـى إعانـة إلهية، تغمده الله تعالى برحمته».[42]

(10) قـال عنـه الإمـام **ابـن الملقـن فـي طبقـات الأوليـاء**: «عبـد العزيـز بـن أحمـد بـن سـعيد الـديريني، الزاهـد القـدوة، ذو الأحـوال المـذكورة والكرامـات المشـهورة، والمصـنفات الكثيـرة، والـنظم الشـائع. وكـان مقامـه الريـف، والنـاس يقصـدونه للتبـرك»[43]. كـذلك وصـفه بـنفس الأوصاف في كتابه العقد المذهب.[44]

---

(41) تاريخ بغداد لابن رافع السلامي ص80.

(42) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه (1/ 130).

(43) طبقات الأولياء ص 447.

(44) العقد المذهب ص 381.

(11) وصــفه الإمــام **ابــن قاضــي شــهبة** بقولــه: «الــديريني الْمصْــرِيّ الْفَقِيه الْعَالم الأديب الصُّوفِي الرِّفَاعِي»[45].

(12) قــال عنــه **الامــام المحــدث بــدر الــدين العينــي:** «الشـيخ الفاضـل عبــد العزيـــز الــديرينى، كــان فاضــلًا، عالمًــا بــالنحو واللغــة والأصولين، وله فى كل فن فضل....».[46]

(13) قــال **المــؤرخ الكبيــر أبــو المحاســن ابــن تغــري بــردي:** «عبــد العزيــز بــن أحمــد، الشــيخ الإمــام العــالم الصــالح القــدوة المســلك عــز الــدين الــدميري الأصــل الشــافعي، المعــروف بالــديريني، صــاحب الكرامات».

وقــال أيضًــا: «وللشــيخ عــز الــدين عبــد العزيــز المــذكور كرامــات وأحــوال، وللنــاس فيــه اعتقــاد جيــد إلــى الغايــة، وقبــره يــزار بــديرين. وكــان لــه معرفــة جيــدة بالفقــه، ومشــاركة فــي عــدة فنــون مــن العلــوم، ولـه قـدرة علـى نظـم العلـم وغيـره، نظـم مـن عـدة فنـون، وكـان رحمـه الله تعالى ممن جمع بين العلم والعمل».[47]

---

(45) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (2/ 181).

(46) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (3/ 292).

(47) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (7/ 269).

(14) قــال عنــه **الإمــام جــلال الــدين الســيوطي**: «كــان عالمًــا صالحا»[48].

كـذلك أشـار فـي كتابـه الإتقـان[49] إلـى أن عبـد العزيـز الـدريني مـن أوائل الـذين كتبـوا وصـنَّفوا فـي المكـي والمـدنيّ مـن سـور القـرآن، ثـم استشــهد الســيوطي فــي بعــض فقــرات كتابــه بــبعض أبيــات مــن منظومة الدريني فقال:

وَقَالَ الدِّيرِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَا نَزَلَتْ كَلَّا بِيَثْرِبَ فَـاعْلَمَنْ وَلَمْ تَأْتِ فِي الْقُرْآنِ فِي نِصْفِهِ الْأَعْلَى

(15) ذكـــره **الإمـــام عبـــد الوهـــاب الشـــعراني** فـــي كتابـــه «الطبقـــات الكبـرى» قـائلًا: «عبـد العزيـز الـدريني......هو الشـيخ العابـد الزاهـد القـــدوة ذو الحـــالات الفـــاخرة، والأحـــوال الشـــريفة، والكرامـــات المشــهورة، والمصــنفات الكثيــرة فــي التفســير، والفقــه، واللغــة، والتصــوف، وغيــر ذلــك، ولــه نظــم كثيــر شــائع، صــحبه جماعــة كثيـرة مـن العلمـاء، وانتفعـوا بصـحبته، وكـان مقامـه بـبلاد الريـف مــن أرض مصــر، وكــان النــاس يقصــدونه للتبــرك مــن ســائر

(48) حسن المحاضرة (1/ 421).

(49) الإتقان في علوم القرآن (1/ 70).

الأقطار، ويرسلون له من مصر مشكلات المسائل، فيجيب عنها بأحسن جواب..... »[50].

(16) قال عنه **الإمام عبد الرؤوف المناوي**: «عبد العزيز بن أحمد الديرينى، عالم عامل، وأديب كامل، وعابد يُمنه شامل، وزاهد يشار إليه بالأنامل، كان حسن الأقوال، جميل الصفات والأحوال، عليّ المقامات، جليّ الكرامات، له الأحوال المذكورة، والخوارق المشهورة».[51]

(17) وصفه الفقيه المؤرخ الكبير **ابن عماد الحنبلي** بقوله: «الفقيه العالم الأديب».[52]

(18) نقل العلامة **محمد بن حميد المشتولي** في كتابه (سلوة الأحزان) بعض عبارات للشيخ عبد العزيز الدريني، لكن من الملفت للنظر أنه كلما ذكر اسم الدريني سبقه بقول (قال سيدي...)، وفي ذكره بلفظ السيادة تشريف وتكريم وإشادة بفضله وعلمه وقدره.

يقول المشتولي: «قال سيدي عبد العزيز الديريني - رحمه الله - في كتابه الروضة الأنيقة: باب في حوادث حدثت زماننا: اعلم أن الذي دعا إلى تصنيف هذا المختصر ....كذا كذا»[53].

(50) الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 361)، مكتبة الثقافة الدينية.

(51) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للامام المناوي (2/ 444).

(52) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي (7/ 785).

ويقول أيضًا في موضع آخر: «قال سيدي عبد العزيز الديريني -رحمة الله عليه- في مختصر رسالة القشيري له كذا وكذا.....»[54].

وفي موضع ثالث يقول: «قال سيدي عبد العزيز الديريني: الخوف على معان: خوف النار، وخوف البوار، وخوف السابقة، وخوف الخاتمة. نسأل الله تعالى حسن الخاتمة»[55].

والشاهد في كل هذا هو قوله: **"قال سيدي عبد العزيز الدريني...".**

(19) قال عنه المؤرخ **شمس الدين ابن الغزي** في ديوان الإسلام: «الديريني: عبد العزيز بن أحمد بن سعيد. الإمام الفقيه العالم الأديب الصوفي».[56]

---

(53) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، تأليف: محمد بن حميد المشتولي صفحة 53، المكتبة الشاملة.

(54) المصدر السابق، فصل في آفات الأمراد، ص 29.

(55) المصدر السابق، فصل في الرجاء والخوف، ص 51.

(56) ديوان الإسلام (2/ 282).

(20) قـال عنـه الإمـام **أحمـد بـن محمـد الأدنـه وي الرومـي** المعـروف بشـيخ زاده: «الشَّـيْخ الزَّاهِـد الشَّـافِعِي الْقـدْوَة الْعَـارِف صَـاحب الْأَحْوَال والكرامات والمصنفات وَالنّظم الْكثير».[57]

(21) وصـفه **الشـيخ يوسـف النبهـاني** بأنـه: «أحـد مشـاهير العلمـاء والأولياء».[58]

(22) قـال **الإمـام الزِّرِكْلـي فـي الأعـلام**: «عبـد العزيـز الـديريني، فقيـه شافعيّ من الزهاد»[59].

(23) يقـول العلامـه **عَـادِل نـويهض** فـي مُعْجَـم الْمُفَسّـرين: «عبـد العزيـز الـديريني: فقيـه شـافعي، صـوفي، مفسـر، أديـب، نسـبته إلـى قرية ديرين».[60]

(24) وصـفه المـؤرخ الدمشـقي الكبيـر **عمـر رضـا كحالـة** عنـدما أفـرد لـه ترجمـة جامعـة وماتعـة فـي معجمـه بأنـه: «المفسـر، الفقيـه، المتكلم، المؤرخ، الواعظ، الأديب.. ».[61]

---

(57) طبقات المفسرين للأدنه وي الرومي ص257.

(58) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (2/ 173).

(59) الأعلام (4/ 13).

(60) معجم المفسرين (1/ 285).

(61) معجم المؤلفين لعمر كحالة (5/ 241).

(25) في مقدمة كتاب «المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» للشيخ الدريني يقول ناسخ المخطوطة: «قال الشيخ الإمام الفاضل: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أحمد الديريني الشافعي - رحمه الله - ونفع به المسلمين، .... ثم ذكر مادة الكتاب»[62].

(26) يقول **الأستاذ نزار حمَّادي** في مقدمة كتاب أنوار المعارف وأسرار العوارف: «الشيخ الإمام المفسر الأديب الفقيه العابد والورع الزاهد عز الدين عبد العزيز بن أحمد الدميري الأصل، الشافعي مذهبًا، السُنيّ الأشعري معتقدًا».

(27) وصفه **الأستاذ عدنان عمر الخطيب** عندما كتب عن مثلث الدريني اللغوي قائلًا: «الإمام العلامة الصالح القدوة، الواعظ الصوفي الرفاعي، الأديب اللُّغوي، الشاعر النحوي، الفقيه على مذهب الشافعي، المؤرخ، المفسر، المتكلم، الفلكي، الكيميائي.....، فضلًا من جميل صفاته وأحواله، وعلو مقاماته، وجلي كراماته، وسلامة باطنه، وحسن أخلاقه، وكثرة رحلته في قرى مصر، يتبرك الناس به، ويُفيدهم وينفعهم».[63]

---

(62) كتاب «المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» للشيخ الدريني، تحقيق: أ. سعيد عبد السميع قطيفة، دار الكتب العلمية بيروت

(63) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، ص 590.

(28) وصـــفه **الدكتورعاصـــم إبـــراهيم الكيـــالي الشـــاذلي** فـــي صـــدر تحقيقــه لكتــاب «طهــارة القلــوب» بقولــه: «قــال الشــيخ الإمــام العــالم العلامــة عــالم عصــره، وفريــد دهــره، بقيــة الســلف الصــالح: الشــيخ ضــياء الــدين عبــد العزيــز بــن أحمــد بــن ســعيد الــدريني - رضــي الله تعــالى عنــه وأرضــاه - وجعــل الجنــة مثــواه، ونفعنــا والمســلمين مــن بركاتـــه وبركـــات علومـــه وخلواتـــه وجلواتـــه فـــي الـــدين والـــدنيا والآخرة آمين»[64].

(29) وأخـتمُ بهـذا المشـهد الجليـل الـذي حكـاهُ لـي خـالي الأسـتاذ أحمـد عبـد الـرازق[65] وهـو أنـه قـد رأى الشـيخ سـيد النقشـبندي[66] ماسـكًا بأعمــدة المقــام الــدريني بــدرين وهــو يبكــي بكــاءً شــديدًا، ويلهــج بعبــارات الــدعاء والثنــاء لله، وكــان ذلــك فــي عــام 1976م، أي قبــل مــوت النقشــبندي بشــهور. وفــي هــذه دلالــة علــى أن الــدريني كــان مــن الصـــالحين، لأن الصـــالحين لا يـــزورون إلا الصـــالحين، وكـــذلك تخبرنــا عــن العلاقــة الروحيــة بــين النقشــبندي والــدريني، والتــي دفعتــه إلـــى زيارتـــه قبــل رحيلــة بشــهور قليلــة، تلــك العلاقــة التــي أزرفــت عيناه بالبكاء ولسانه بالدعاء عند مقامه.

---

(64) كتاب (طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب) للدريني، ص 5.

(65) مدير مدرسة عبد القادر بدرين.

(66) المبتهل والقارئ الشهير، وهو من قرية دميرة، مركز طلخا.

لقاءه مع سيدي أحمد البدوي

ذكر الدكتور **عبد الحليم محمود**[67] في كتابه «السيد البدوي»[68] قصة رائعة وجامعة لفوائد كثيرة، أبطالها كل من السيد أحمد البدوي والسيد عبد العزيز الدريني، ذكرها بأكثر من رواية إلا أن المعنى واحد.

مضمون القصة:

لما نزل **السيد أحمد البدوي** إلى مصر، واستقر بطندتا (طنطا حاليًا)، شاع أمره وذاعت شهرته في أرجاء مصر بأنه من الأولياء الكبار، وأصبح الناس يتوافدون عليه ليتبركوا به.

وعندما سمع شيخ الإسلام **ابن دقيق العيد**[69] بهذا الأمر، قام بإرسال سيدي **عبد العزيز الدريني** إليه، وقال له: اذهب وامتحن لي هذا الرجل الذي قد اشتهر بالولاية إن كان صادقًا أم لا.

ذهب إليه الدريني ووصل طنطا في وقت القيلولة وكان الحر شديدًا، فسأل الناسَ: أين يسكن السيد أحمد البدوي، فقالوا له: فوق هذا السطح.

---

(67) شيخ الأزهر الراحل.

(68) كتاب «السيد البدوي» د. عبد الحليم محمود، ص 85-86.

(69) قاضي القضاة، وشيخ المحدثين بالديار المصرية.

صعد الدريني السطح فوجد رجلا مُلثمًا - على وجهه غطاء - ينام تحت حرارة الشمس الشديدة، فاستغرب الدريني من حاله، وقال في قرارة نفسه: ما أراهُ إلا رجلًا مجنونًا قد افتتنت الناس به.!!

فرفع السيد البدوي الغطاء عن وجهه وقال: (يا دريني، مجنون مجنون إلاَّ أنَّ سرَّ جنونه عزيز، على أعتابه يقف العقيل).

ومكث سيدي عبد العزيز الدريني في ضيافة السيد أحمد البدوي ثلاثة أيام، فوجده عالمًا حافظًا للقرآن بالقراءات العشر، له بعد كل صلاة مجلس علم، يشرح فيه الفقه والحديث والتفسير واللغة وعلوم كثيرة....

وبعد أن انتهت الضيافة سلَّم عليه الدريني وودعه لينصرف، فسلما وتعانقا ثم قال البدوي للدريني: يا دريني قل لقاضي القضاة ابن دقيق العيد يصحح غلطًا في المصحف المُعلَّق في صدر بيته، وذكر له مواضع الخطأ في سورة يس والرحمن والواقعة وكذا...

رجع سيدي عبد العزيز الدريني إلى قاضي القضاة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، وقال له قولةَ حقٍ أصبحت مثلًا وأصبح الجيلُ بعد الجيل يرويها، قال: **(جئتك من عند بحرٍ لا يُدرك له قرار).**

ونستفيد من هذه القصة أمورًا عديدة منها:

1- أن سيدي عبد العزيز الدريني قد التقى بسيدي أحمد البدوي، ودارت بينهما مناقشات وحوارات.

2- أن سيدي عبد العزيز الدريني كان من أصحاب شيخ الإسلام ابن دقيق العيد المقربين.

3- أن السيد البدوي كان عالمًا وكان بحرًا ليس له قرار.

4- نستخلص بعض كرامات سيدي أحمد البدوي **والتي تتمثل في أنه:**

- عرف الدريني وناداه باسمه بالرغم من أنهما لم يلتقيا قبل ذلك قط !!.
- سمع وعرف ما قاله الدريني في قرارة نفسه دون أن يتلفظ به.!
- عرف أن الذي قد بعث الدريني إليه هو ابن دقيق العيد على الرغم من أن الدريني لم يخبره بهذا !!.
- علم أن المصحف المُعلَّق في بيت ابن دقيق العيد به بعض الأخطاء !!.

***

تصوفه

بـــادئ ذي بـــدء، وقبــل أن نتحـــدث عـــن تصـــوف ســـيدي عبـــد العزيـــز الـــدريني، ينبغـــي أن نتعـــرف علـــى المفهـــوم الصـــحيح للتصـــوف، خاصـــة وأننـــا فـــي هـــذه الآونـــة الأخيـــرة حـــدث عنـــدنا لـــبس وســـوء فهـــم للتصـــوف، إذ أصـــبح التصـــوف فـــي تصـــور بعـــض الســـطحيين رقصًـــا وطـــبلًا وزمـــرًا وموالـــد ..... إلـــى آخـــر هـــذه الأمـــور التـــي أُتُّهِـــمَ بهـــا التصـــوف وهـــو منـــه بَراء.

وكمـــا يقـــول **الإمـــام الرائـــد محمـــد زكـــي الـــدين إبـــراهيم** - وهـــو مـــن كبـــار الصـــوفية فـــي مصـــر، ولـــه مدرســـته المعروفـــة بـــ (العشـــيرة المحمديـــة) – في قصيدته عن التصوف معلنا المسار الصوفي الصحيح فيقول:

ليس التصوف رقصُ الراقصينَ ولا

طبلٌ وزمـــرٌ وتِصخَـــابٌ وتهيِيـــجُ

ولا هو الذكـــرُ بالألفاظ ســـاذجةً

مُحرّفـــاتٍ ولا صعقٌ وتشنِيـــجُ

ولا مـــــواكبُ رايـــاتٍ ملـــوّنةٍ

فيهـــا لِمـــا يُغضبُ الديّانُ ترويجُ

ولا هو العِمّةُ الكُبـــرى ولا سِبحٌ

حـــول الرّقـــاب ولا جمعٌ مفاليجُ

ولا التعطّـــلُ أو دعوى الولايةِ أو

صنع الخــوارق أو كــذبٌ وتدبيجُ

ولا وشـــــاحٌ وعُكـــازٌ ولا نســبٌ

إلى النّبيّ من البهتـان منســوجُ

ولا الإجـازات تُشرَى بالدّراهم أو

وظائفٌ صرفهـا بالزيف ممـزوجُ

ولا مظــاهر آثــام المـــوالد أو

تكاثــرٌ برجالٍ خيرهـــم عُـــوجُ

وليس بالفلسفات الـهُوجِ ينقلها

كالببّغاوات جهـــلًا قلةٌ هُـــوجُ

إن التصـــوّف فقه الدّين قاطبـــة

والفقـــه بالدين توثيــقٌ وتخريجُ

هو الكتـــاب وما جـــاء النبيّ به

وكل شيءٍ سوى هذا فمحجوجُ

إن التصـــوف ســـرُّ الله يمنحه

من قد أحـــبَّ وحـــبُّ الله تتويـجُ

وإنـــما الحـــبُّ أخلاقٌ ومعرفةٌ

ذكــرٌ وفكــرٌ وتــرويحٌ وتـأريـجُ

إن التصـوف تحقيقُ الخلافة في

****

نعـم، هـذا هـو التصـوف الإسـلامي الـذي نقصـده، والـذي درسـناه فـي أزهرنـا الشـريف، هـو الكتـاب والسـنة، هـو مرتبـة الإحسـان، هـو صـفاء القلـب مـن كـل قبـيح وتحليتـه بكـل صـحيح، هـو التخلـي عـن الرذائـل والتحلـي بالفضـائل، هـو العلـم والعمـل، هـو القلـب والـروح، هـو التربيـة والسـلوك... هـو علـم فقـه المعرفـة بـالله سـبحانه وتعـالى، هـو صـدق التوجـه إلـى الله، هـو علـم التخلـي مـن أوصـاف العبوديـة (كبـر، عجـب، بخـل، حقـد) والتحلـي بأوصـاف الربوبيـة (كـرم، رحمـة، إخـلاص، صدق).

هـذا هـو التصـوف الـذي كتـب فيـه أبـو حامـد الغزالـي، والـذي قـال عنـه الإمـام الشـافعي: **(صـحبتُ الصـوفية عشـر سـنين)**، والـذي تحـدث عنـه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى.

هـذا هـو التصـوف الـذي كتـبَ فيـه الشـيخ الهـروي كتابـه (منـازل السائرين)، والذي شرحه ابن القيم في (مدارج السالكين).

هـذا هـو التصـوف الـذي تخـرَّج مـن تحـت عباءتـه الأنبيـاء والصـحابة والأولياء والعلماء.

نعـم، لطالمـا اصـطلح العلمـاء بـأن مـنهج التصـوف هـو مـنهج التربيـة والسـلوك والتزكيـة والأخـلاق؛ فإننـا نسـتطيع أن نجـزم بـأن كـل الأنبيـاء والصـحابة كـانوا متصـوفة؛ لأنهـم كـانوا علـى قمـة الأخـلاق والسـلوك والتربية.

***

<u>أما عن تصوف سيدى عبد العزيز الدرينى</u> فإنه كان أنموذجًا عمليًا ومثالًا تطبيقيًا واقعيًا لهذا المنهج القويم الذي ذكرناه، منهج الكتاب والسنة ومنهج الأخلاق والسلوك والتزكية.

وليس هذا محاباةً ولا مجاملة له، بل هو التوصيف العلمي القائم على منهجية النقد ومعايير التقييم.

وهذا ما تجلَّى لنا من مؤلفاته العلمية التي جاوزت السبعين، والتي جمعت في محتواها: الأخلاق وتزكية النفوس، واللغة والشعر، والتفسير وعلوم القرآن، والعقيدة والتوحيد، والفقه والأحكام، والسيرة النبوية إلى غير ذلك من العلوم والفنون.

كذلك تجلَّت لنا مكانته الصوفية من ثناء العلماء الربانيين عليه، وشهادتهم عندنا حقٌ وصدق.

يقول الإمام السبكي: "وَكَانَ عبد العزيز الدريني سليم الْبَاطِن حسن الْأَخْلَاق".

ويقول عنه أيضًا: "الشَّيْخ الزَّاهِد الْقدْوَة الْعَارِف صَاحب الْأَحْوَال والكرامات"[70].

---

(70) طبقات الشافعية (8/ 200).

يقول شمس الدين الداوودي: «ثم صحب أبا الفتح بن أبي الغنائم الرّسعنيّ وتخرج به، وتكلم في الطريق وغلب عليه الميل إلى التصوف»[71].

ووصفه كلا من **شمس الدين الداوودي وشيخ الإسلام ابن قاضي شهبة** بنعت: «الديريني الْمصْرِيّ الْفَقِيه الْعَالم الأديب **الصُّوفِي الرِّفَاعِي**»[72].

فكان الشيخ الدريني **رفاعي الطريقة**، أي: يتعبد لله على مذهب وطريقة الإمام أحمد الرفاعي في كيفية السير والوصول إلى الله.

توضيح أكثر: كما أنَّ علم الفقه والأحكام له مدارسه ومذاهبه المختلفة وعلماؤه المتخصصون كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والليث والأوزاعي....، وعلم الكلام له مذاهبه ومدارسه كالأشعرية والماتريدية وأهل الحديث....وعلم النحو له علماءه كابن مالك وابن هشام وسيبويه والأعمش..... وعلم الحديث له أهله كالبخاري ومسلم وأبي داوود والنسائي والترمذي..... إلى غير ذلك من العلوم..... كذلك التصوف علم له مدارسه ومشاربه المختلفة، وعلماؤه المتخصصون أمثال: الجنيد، عبد القادر الجيلاني، أبي طالب المكي، أبي الحارث المحاسبي، الهروي، أبي الحسن الشاذلي، ابن

---

(71) طبقات المفسرين للداوودي (1/ 312).

(72) طبقات المفسرين للداوودي (1/ 311)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (2/ 181).

عطـــاء الله الســـكندري، ابـــن عجيبـــة، ابـــن زروق، عبـــد الوهـــاب الشعراني، أبي حامد الغزالي، ابن القيم الجوزية.... إلخ.


كتاب

(غاية التحرير)

في نسب قطب العصر غوث الزمان

سيدنا احمد الرفاعي الكبير

رضي الله عنه

للشيخ الامام العالم الرباني ولي الله العارف المفسر المحدث القدوة سيدي عبد العزيز ابن احمد الديريني الشافعي الاحمدي رضي الله عنه

(طبع بالمطبعه العموميه بمصر سنة ١٣١٥)

ومـن هـذه الطـرق والمـذاهب والمـدارس الصـــوفية (الطريقـــة الرفاعيـــة) نســـبة للإمـام الكبيـر أحمـد الرفـاعي - رضـي الله عنه - والمتوفي 578هـ.

هـــذه الطريقـــة الرفاعيـــة لهـــا أتباعهـــا وعلماؤهـــا فـــي كـــل الأرض، وكـــان مـــن علمائهـــا ســـيدي عبـــد العزيـــز الـــدريني رضي الله عنه وأرضاه.

وكـان سـيدي عبـد العزيـز يحـبُّ سـيدي أحمـد الرفـاعي حبًّـا شـديدًا، حُبًّـا وصـل إلـى درجـة التتـيم والهُيـام، لدرجـة أنـه ألَّـف فيـه كتابـا سـماه **(غايـة التحريـر فـي نَسَـبَ قطـب العصـر غـوث الزمـان سـيدي أحمـد الرفـاعي الكبير).**

وكـان يفتخـر دائمًـا بنسـبته للطريقـة الرفاعيـة، ولقـد عبَّـر عـن ذلـك فـي قصيدته المعروفة "بالأرجوزة اللامية"[73] حيث يقول:

إن الرفـــاعِيِّين أصـــحاب الوفـــا   والجـــود للعـــافي المِلـــمَّ المرْمِـــلِ

(73) طبقات الأولياء ص 523.

كــم فــيهمُ مــن عــارفٍ ذي همــةٍ   أو صــادق عــن عزمــه لــم يَفْشَــلِ

لا أنتهــي، لاأنثنــى عــن حُــبَّهم   كِــرِّرْ مَلامــي ياعــذولي، واعــذِلِ

أنا أحمـدي، أنــا أحمـدي من أَوجَـهٍ   فــي ذكـر أحمـدَ كُـلَّ معنـى أجْتَلـي

وقــد تحــدث أيضًــا فــي "الأرجــوزة الــوجيزة" عــن الطريقــة الرفاعيــة وذَكــرَ ســندها ونســبها المتصــل لســيدنا رســول الله صــلى الله عليــه وسلم، فقال:

وقـــد تعلَّقـــتُ بقطـــبِ العصـــرِ   مـــنهم فـــنحن فـــي سَـــناهُ نســـري

شـــيخ الأنـــام أحمـــد الرفـــاعي   حـــين أتانـــا مـــن حِمـــاه داعـــي

فـــنحن بـــين أحمـــد وأحمـــدي   وشـــيخنا القطـــب الشـــريف أحمـــدِ

وشـــــيخهُ وخالـــــهُ منصـــــورُ   ثـــم علـــي الواســـطي المـــذكورُ

بعــد أن فَضــل لــه فضــلٌ جِلــى   بعـــد أن بـــازى، بـــالتقوى ملـــى

بعـــد الـــذكيُّ العجمـــيُّ مُمْلِـــي   بعـــدُ أبـــو بكـــر المســـمى الشـــبليِ

بعـــدُ الجنيـــد العـــارف المشـــهور   بعـــد ســـري الســـقطي المشـــهورُ

وقبلـــه معـــروف الكرخـــي   وقبلـــــــــه داود الطـــــــــائيُّ

بعـــدُ حبيـــب العجمـــيُّ الـــولي　　بعـــدُ الأمـــام الحســـن البَصـــريُّ

بعـــدُ الأمـــام المرتضـــى علـــيُّ　　بعـــدُ النبـــي المصـــطفى الأمـــيُّ

صـــلى عليـــه الله مـــا دار فلـــكُ　　ولازمَ التســـبيحَ والـــذكرَ مَلـــكُ

فهـــــذه نســـــبتنا الشـــــريفهْ　　أكـــرم بهـــا مـــن نســـبة شـــريفهْ

ولسـوف تتأكـد لنـا قيمـة ومكانـة سـيدي عبـد العزيـز الـدريني - رضـي الله عنـه - وتضَـلُّعه فـي علـم السـلوك والتربيـة والتصـوف عنـدما نـدرس ونقـرأ ونسـتقرأ مؤلفاتـه التـي كتبهـا فـي هـذا المجـال، أمثـال: كتـاب طهـارة القلـوب، وكتـاب الروضـة الأنيقـة، وشـرح الأسـماء الحسـنى... إلخ.

وإنَّ مـن حسـن الطـالع أن طالعـتُ إعلانًـا لمناقشـة رسـالة الماجسـتير فـي كليـة الآداب جامعـة المنصـورة للباحـث محمـد أحمـد البـدويهي تحـت عنـوان (عبـد العزيـز الـديريني وتصـوفه) يـوم الخمـيس 10 أكتوبر 2024م.

وفـي انشـغال البـاحثين بهـذا الجانـب مـن حيـاة الإمـام دليـل علـى أهميتـه وثمرتـه.

فرضـي الله عـن سـيدي عبـد العزيـز الـدريني ونفعنـا الله بعلمـه وحبـه وجواره في الدنيا والآخرة.

***

كرامات سيدي عبد العزيز الدريني

الكرامة هي أخت المعجزة، وهي أمور خارقة للعادات المألوفة، قد لا يُصدِّقُها العقل البشري المحدود؛ لأنها لا تندرج تحت القوانين البشرية الملموسة، ولكنها إشراقات ربانية ونفحات صمدانية.

يُعرِّفُها علماءُ العقيدة بأنها: **أمور خارقة للعادة يُظهرها الله على يد ظاهر الصلاح؛ تثبيتًا وتأييدًا له.**

وهي من المسائل التي أشار إليها القرآن الكريم، وضربت السنة النبوية أروع الأمثلة عليها.... حتى لا يتوهم أحدٌ أن الكرامة ليست من الشرع الحنيف وأنها من اختلاقات الدراويش أو الصوفية !!

هذا كذب مبين، بل هي من الأمور التي أجمع على ثبوتها وحقيقتها علماء الإسلام الأكابر، ولكن للأسف بعض الناس عن هذا جاهلون.

وألف في ذلك **الإمام أبو نعيم «حلية الأولياء»، والإمام الصنعاني «الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف»، والحسن بن محمد الخلَّال «كرامات الأولياء»، وكذلك اللالكائي، وغيرهم كثير.**

وفي القرآن الكريم ذكر الله بعض الكرامات، مثل:

(1) كرامة السيدة مريم، التي قال القرآن فيها ﴿**وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا**﴾، **ووجه الكرامة في هذه الآية** أن السيدة مريم وهي في وقت المخاض لا تقدر على هز النخلة من جهة، ومن جهة أخرى النخل لا يُهز أصلًا، ومن جهة ثالثة أنه يأمرها في غير وقت

حصاد النخل !! ... ومع ذلك وبقدرة الله وكَرَمِه وكرامته هزت النخلة وتساقط الرطب وأكلت منه وقرت عينًا.

ثم ذكر حالها في المحراب، وكيف كانت تأتيها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، و﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران 37]

(2) ذكر القرآن كرامة أهل الكهف، وهم فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بربهم وزادهم الله هُدى، وقد ﴿**لَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا**﴾، نائمين شبه أموات، لكن عيونهم مفتوحة وكأنهم أيقاظ، وكلما مر عليهم أحد فزع منهم، قال تعالى: ﴿**وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا**﴾ [الكهف 18]

ووجه الكرامة في قصتهم: أنهم ناموا 309 عامًا ثم قاموا دون أن يتغير لهم حال، وكل هذا بقدرة القادر سبحانه.

حفظ الله أجسادهم وأعضائهم بأن كان يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، و ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ ا﴾ [الكهف 17]

سخر الله الكلب لهم كل هذه المدة؛ ليحميهم مما عساه أن يقترب منهم من أذى، مع العلم أن دورة حياة الكلاب لا تتخطى 15 سنة، ولكن الله بقدرته أبقاه كل هذه المدة حيًا يقظانًا كرامة لأهل الكهف.

وذكرت السنة النبوية نماذج للكرامات أيضًا، على سبيل المثال:

(1) ما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وما صدر منه وهو يخطب على المنبر، إذ قطع خطبته وأخذ ينادي بأعلى صوته على سارية بن زنيم - قائد جيشه الذي قد أرسله لحرب في العراق - ويقول: **يا سارية الجبلَ الجبلَ** ومن استرعى الذئبَ ظلَم، وكررها ثلاثًا، واستغرب الناس مما فعله أمير المؤمنين.

ولما قَدِم رسول من الجيش بعد مدة، وسأله سيدنا عمر عما حدث في المعركة، فقال: يا أمير المؤمنين لقد كدنا أن نُهزم، لولا أننا سمعنا صوتًا يُنادي: يا سارية الجبل - ثلاثًا -، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل ولُذنا به، فهزمهم الله.

ووجه الكرامة في هذه القصة: أولًا أن سيدنا عمر استشف ببصيرته النافذة وهو بالمدينة ما يُدار في المعركة بالعراق....ثانيًا: سماع سيدنا سارية وأصحابه لصوت سيدنا عمر بن الخطاب وبينهما مسافات شاسعة.

وهذه القصة[74] لو نظرنا إليها بنظرات مادية لا يمكن أن نصدقها، بالرغم من أنها صحيحة؛ لأن عقولنا البشرية لا يمكن أن تستوعب هذه التدابير الربانية، لكن مع الإيمان بالله ورسوله تستوعبها العقول والقلوب دون غضاضة.... وهذه هي الكرامة.

(2) ما رواه البخاري من قصة الصحابي الجليل **سيدنا أُسيد بن حُضير،** وكيف كان حاله مع القرآن الكريم، إذ كلما كان يقرأ القرآن جالت فرسه،

---

(74) أخرجها أبو نعيم في دلائل النبوة ص 526، والبيهقي في الاعتقاد ص314، وابن عساكر في تاريخ دمشق (24/20)، وصححها الألباني في الآيات البينات ص93.

وكلما سكت سكتت، وكلما قرأ جالت، حتى خاف على ولده يحيى - وكان نائمًا - فنظر في السماء فوجد أمثال الظُّلَّةِ فيها أمثال المصابيح، فلما جاء الصباح ذهب لرسول الله ﷺ وقص عليه ما حدث، وقال: يا رسول الله، كنت البارحة أقرأ القرآن فجالت فرسي، وكلما سَكَتُّ سكتت وكلما عدتُ عادت، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، فقال ﷺ: وتدري ما ذاك؟ قال: لا، قال ﷺ: (تلك ملائكة الله دنت لصوتك، ولو ظللت تقرأ لظلت الملائكة تستمع لقراءتك حتى رآها الناس في الصباح).**(75)**

ووجه الكرامة في هذه القصة: أننا كلنا نقرأ القرآن الكريم، لكن لا تحدث معنا هذه التجليات الربانية والإشراقات الصمدانية، في حين أنها حدثت فقط مع سيدنا أسيد بن حضير؛ كرامة له.

(3) ما أخرجه البخاري وغيره: أن **عبَّاد بن بِشر وأسيد بن حضير** -رضي الله عنهما- خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وكان مع كل واحد منهما سوط، **فأضاء الله لكل واحد منهما سوطه كأنه مصباح ينير لهما الطريق**..... وهذه كرامة من الله لهما ليست مألوفة الوقوع مع كل الناس.**(76)**

---

(75) أخرجها البخاري في صحيحه، في باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، حديث رقم (5018).

(76) صحيح البخاري رقم (465).

(4) **قصة جريج العابد**، الذي كان يعبد الله في صومعته ليلًا نهارًا، حتى تعرضت له امرأة بغية من بني إسرائيل؛ لتفتنه بجمالها، فلم يلتفت إليها، فاغتاظت وأرادت أن تنتقم منه، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها الراعي فحملت.

فلما ولدت قالت: هو من جريج - الولد ولد الزنا من جريج - فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيتَ بهذه البغي، فولدت منك، قال: أين الصبي؟ فجاءوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبيَّ فطعنه في بطنه وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعي، فأقبلوا على جريج يقبِّلونه ويتمسحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا) .

ووجه الكرامة في هذا الحديث الصحيح - الذي رواه الإمام البخاري ومسلم - أنَّ الله أنطق الطفل الرضيع لسيدنا جريج العابد شاهدًا له ببراءته أمام الدنيا كلها.

وهذا أمر لا يُصدّقه العقل البشري المحدود، ولا تألفهُ العادات، لكننا نصدقه لتصديقنا بالله ورسوله ﷺ، وهذا مفهوم الكرامة.

(5) **في قصة خبيب بن عدي**، تقول بنت الحارث، وهي تحكي ما حدث له وهو أسيرٌ محبوسٌ: «لقد رأيتهُ يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة».[77]

---

(77) صحيح البخاري، حديث رقم (4086).

أي: لما دخلت عليه السجن وجدت عنده عنب، وما بمكة يومئذ عنب، يعني لم يكن هذا الوقت موسمًا للعنب.

إذن الكرامة ليست خرافة، وليست تأليفًا من المتصوفة، ولا تصنيفًا من العلماء، بل هي من الدين والثابت في القرآن والسنة.

فمَـنْ ذا ينكـر النفحـات هـذي   وربُّ العــرش أوضــحها جليَّــا

فـتلكمُ نخلــةٌ فــي غيــر وقــتٍ   لمــريمَ أثمــرتْ ثمــراً شــهيًا

إلــه العـرش قـال لهـا: وهـزّي   فأنزلـــه لهـــا رُطبًـــا جنيَّـــا

ومـن ينظـرْ الـى الفـاروق لمـا   دعـــا الخـــلّ الـــوفيّ الأحوذيَّـــا

يجــدْ أن الولايــة خيــر عــونٍ   لمـــن عـــاش الـــدنا بَـــرًّا تقيَّـــا

فقـــد نـــادى لســـاريةٍ نـــداءً   وكـــان طريـــق ســـاريةٍ قصـــيًّا

فأســمَعَهُ النــداء علــى ابتعــادٍ   كأنهمـــا علـــى جبـــل ســـويا

هــو الإســلام فــي قلبــي هُـداهُ   هــو القــرآن ســيف فــي يــديًا

ومنـــا معشـــرٌ كـــانوا كرامًـــا   رعَــوه بكــرةً ورعَــوا عشــيًّا

فــأَولاهم إلـــهُ العــرش حبًّــا   ونـــاداهم وقـــرَّبهم نجيًّـــا

إلهــي قــال: لا خــوفٌ علــيهم   لأن لهـــم مكـــانهمُ العليَّـــا

فهـم هجـروا مضـاجعهم وهبّـوا   إلــى الــرحمن قــد خــرُّوا جَثيًّــا

وهــم أضــيافه فــي كــل وقــتٍ ومــن يــك ضــيفه أضــحى هنيَّــا

ومــن يــكُ ضــيفه يغــنمْ ويســعدْ وكـــان ضـــيفه ربـــي حفيَّـــا[78]

***

أما عن كرامات سيدي عبد العزيز الدريني:

فهي لا شك كثيرة، وإن كُنَّا لا نحفظ منها إلا القليل؛ لأنه كان من العلماء العاملين، والرجال المخلصين، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، ونحسبه في ذلك من أولياء الله الذين قال فيهم ربنا سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس 62]

ولعل أكبر كرامة وأعظمها له هو **(بقاء اسمه)** حتى الآن في دوحة العلماء والأولياء والصالحين، يذكره العلماء والطلاب في مجالسهم ومدارسهم، كلما قرأوا له كتابًا أو نقلوا له شعرًا ....

وهذه والله أعظم كرامه يتمناها الإنسان بعد موته، أن يظل اسمه باقيًا في العالمين.

ولقد تمنى ذلك سيدنا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وطلبها من ربه وقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء 84]

فاستجاب له ربه وقال: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الصافات 108]

(78) الأبيات لأستاذنا العلامة المحدث الدكتور أحمد عمر هاشم.

وأمرنا الله أن نذكره وآله مع كل صلاة، ونصلي عليهم ونقول: (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد).

وفي كل عام نُحيي شعيرته بالأضحية، متذكرين قصته مع ولده إسماعيل، مستثمرين معاني الأدب والتربية والحوار بين الأب وابنه وبين الولد وأبيه من هَديه عليه الصلاة والسلام.

فسيرة المرء بعد موته حياة ثانية له، إن كانت خيرًا فخير وإن كانت شرًا فشر، ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

دَقّــاتُ قَلــبِ المَــرءِ قائِلَــةٌ لَــهُ   إِنَّ الحَيــاةَ دَقــائِقٌ وَثَــواني

فَـارفَع لِنَفسِـكَ بَعـدَ مَوتِـكَ ذِكرَهـا   فَالــذِكرُ لِلإِنســانِ عُمــرٌ ثــانِ

إذن ليس شرطًا في كرامة الصالحين أن تكون أمورًا مادية ملموسة يراها الناس، بل قد تتمثل الكرامة في أمور معنوية، كبقاء اسمه حتى الآن، أو توافد الناس لزيارة قبره من كل مكان... وهذا والله أعظم كرامة نسأل الله أن يكرمنا بكرمه وأن يجعل لنا لسان صدق في الآخرين اللهم آمين.

أما إذا كنت تريد – ولا بد – من كرامات مادية، فأنقل لك هذه القصة التي ذكرها الإمام عبد الوهاب الشعراني في كتابه «الطبقات الكبرى» والتي دارت بين الإمام عبد العزيز الدريني وبين الإمام علي المليجي، **يقول الشعراني:**

«ذهب سيدي عبد العزيز الدريني يزور يومًا سيدي علي المليجي، فذبح له سيدي علي المليجي فرخًا، فأكله، ثم قال لسيدي علي المليجي: لا بد أن

أكافئك، فاستضافه يومًا في بيته، فذبح له فرخة أيضًا، فتشوشت امرأته عليها (أي حزنت على الفرخة)، حيث لم تملك غير فرخة لأولادها، فلما أحضرت امرأته الفرخة مطهية، قال لها: هش، فقامت الفرخة تجري، ثم نظر إلى زوجته وقال: يكفينا المرق ولا تتشوشي!!.[79]

ذلك ويُقرُّ جماعة من العلماء أن سيدي عبد العزيز الدريني ذات مرة وهو في مجلسه - في بلدته درين - أخذ ينادي على النبي ﷺ ويقول: "يا سيدى يا رسول الله"، تقول الرواية: فسمع الدريني ومَنْ معه من الحاضرين صوتًا يرد عليه ويقول له: لبيك يا عبد العزيز. حدث ذلك ثلاث مرات[80]

وهذه رواية شعبية اشتهرت على ألسنة الناس قد تكون صادقة وقد تكون غير ذلك والله أعلم، لكنها - إن صحت - تبرهن على علاقة الصفاء الروحي التي كانت تغمر سيدي عبد العزيز رضي الله عنه.

ولعل أحدنا يقول: أنا لا أصدق هذا أبدًا، فكيف يُعقل أن النبي تكلم بعد موته، حتى وإن تكلم فكيف سمعه الدريني والحاضرون وبينهم وبين المدينة مسافات واسعة وأميالٌ شاسعة ؟!!

أقول لك: لا تنسَ ما قلناه في تعريف الكرامة بأنها أمور خارقة للقوانين البشرية الطبيعية ولا يمكن أن يصدقها العقل.

---

(79) الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 361)، مكتبة الثقافة الدينية.

(80) هذه الرواية لم أقف عليها في أي كتاب، لكني وجدتها مكتوبة في لوحات - تعريفية بالدريني - معلقة على جدران مسجد الدريني بقرية درين.

وأنا شخصيًا لا أكذب هذه القصة؛ لأنَّ مثلها حدث بالفعل بين يديْ رسول الله، وذلك قي قصة خبيب بن عدي، وهي قصة صحيحة رواها البخاري، لا مجال لسردها الآن، ولكن شاهدنا فيها، هو حين توجه خبيب إلى ربه قبل قتله بلحظات يصلي ويدعو، فكان مما دعاه: «**اللهم إني لا أجد مَنْ يبلغ رسولك مني السلام فبلغه**».

تقول الرواية كما ذكر ابن حجر في الفتح: أنَّ رسول الله ﷺ ردَّ عليه السلام - وهو في المدينة - وقال: «**وعليك السلام يا خبيب**».[(81)]

والقصة صحيحة رواها البخاري لا خلاف في ذلك؛ وبالتالي فإنَّ مَنْ يُكذب قصة الدريني لمجرد أنَّ عقله لا يصدقها، فإنه بالطبع سوف يُكذِّب ما حدث لخبيب؛ لأنها هي الأخرى لا تدخل العقل.

والحق، أن من يسلك هذا المسار، فإنه سيكذب أحداثًا كثيرة.

أما إذا كنت لا تصدقها، لأنك تشك في وقوعها وروايتها، هل حدثت فعلًا أم هي من وضع المدلسين، فهذا أمر آخر، يرجع إليك، لا تُلام فيه، لكن ينبغي ألا تنكر على من يصدقها.

وعلى أية حال، لا يهمُنا صحة هذا القصص، فليست تلك الحكايات هي التي تحدد لنا مقام ومنزلة سيدي عبد العزيز الدريني وبدونها يتجرد من منزلته!!

لا، إن الدريني حُفظت كرامته ومكانته في العالمين؛ بما أسهم في خدمة الإنسانية، بكتبه ومؤلفاته ومنظوماته وتراثه ورصيده العلمي الزاخر.

---

(81) فتح الباري (7/ 384).

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الدريني لم يكن أبدًا يهتم بالكرامات ولا هذه الأمور، حتى إنَّ جماعة من الفقراء جاءوا له ذات يوم وطلبوا منه كرامة له، فقال لهم: يا أولادي وهل هناك كرامة أعظم من أنَّ الله تعالى يمسك بنا الأرض، ولم يخسفها، وقد استحقينا الخسف.[82]

وأختم بما قاله في أرجوزته الوجيزة:

وإنمــــا يحتـــــاجُ للكرامــــــهْ مــــن لـــم يكـــن لفضـــله علامـــهْ

(82) طبقات الشعراني، مصدر سابق.

العلماء والأولياء الذين عاصرهم في مصر

مما سبق ذكره نرى أن سيدي عبد العزيز الدريني قد التقى بكل من هؤلاء الأكابر:

1- علي المليجي: كما تبين من قصة الضيافة والفرخة.

2- العز بن عبد السلام: من أبرز مشايخه الذين تعلم منهم كما ذكرنا في عنصر (أساتذته).

3- أبي الفتح الواسطي: أحد الأقطاب الذين أخذ عنهم الطريقة الرفاعية.

4- أبي الفتح بن أبي الغنائم الرسعني: صحبه الدريني وتعلم منه كما ذكرنا.

5- **ابن دقيق العيد:** وذلك كما أشرنا في إرساله لاختبار البدوي في طنطا.

6- السيد البدوي: وذلك واضح من اللقاء الذي وقع بينهما في طنطا.

7- **ابن سيد الناس**: وفي هذا يقول ابن سيد الناس: «وأما الشيخ عبد العزيز الدميري رحمه الله، فإني رأيته بجامع دمنهور، في رحلتي الأولى إلى الإسكندرية وسلمتُ عليه، وجلستُ معه ساعة

يحدثني وأحدثه، وليس على ذهني شيء أحفظه عنه، وتُوفيَ بعد ذلك بيسير». (83)

وغيرهم كثير، تحدث عنهم الدريني في قصيدته - التي سوف نذكرها في آخر الكتاب - فرضي الله عنهم جميعًا.

وفي الفترة التي عاشها سيدي عبد العزيز الدريني (612 - 697 هـ) كان بمصر مجموعة كبيرة من العلماء والأولياء الكبار، لكن لا أدري هل حدثت لقاءات بينهم وبين الدريني أم لا؟!

لكني أعتقد - والله أعلم - أنه كان هناك لقاءات بل ومحاورات علمية بينهم وبين الدريني؛ لأن التاريخ يثبت أن الدريني كان مشهورًا جدًا بين أقرانه بالعلم والعمل الصالح، فلا يُستبعد أن تكون قد وقعت بينهم لقاءات.

وهؤلاء مجموعة من العلماء والأولياء الذين عاصروا الدريني وعاصرهم:

1- **أبو الحسن الشاذلي (593 - 656 هـ):** وهو أكبر من الدريني بـ 19 سنة، ولما مات كان عمر الدريني 44 سنة، وأكد على ذلك شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي. (84)

---

(83) كتاب «أبو الفتح اليعمري: حياته وآثاره وتحقيق أجوبته» تأليف: الأستاذ محمد الراوندي (2/ 275).

(84) تاريخ الأدب العربي (7/ 466).

ومن الجدير بالذكر أن الشاذلي قد نزل المنصورة وخطب في مسجد الصالح الكبير (الموافي حاليًا)، وكذلك كان له حضور مشهود في معركة المنصورة.[85]

فهل يعقل أن يكون القطب الشاذلي في المنصورة - قريبا من درين - ولا يذهب إليه الدريني؟! لا يمكن.

2- **المرسي أبو العباس (616 - 686 هـ):** وكان أصغر من الدريني بـ 4 سنين، ومات قبل الدريني بـ 11 سنة، يعني ولد ومات في حياة الدريني.

3- **ابن عطاء الله السكندري (658 - 709 هـ):** عاصر الدريني 39 سنة، ومات بعد الدريني بـ 12 سنة.

4- **الإمام البوصيري (608 - 695 هـ):** أكبر من الدريني بـ 4 سنوات ومات قبل الدريني بسنتين.

5- **أبو الحجاج الأقصري (545 - 642 هـ)**: ولما مات كان عمر الدريني 30 سنة.

6- **إبراهيم الدسوقي (623 - 676 هـ):** ولد ومات في حياة الدريني.

7- **الإمام القرطبي (610 - 671 هـ):** لما جاء إلى مصر عام 633هـ كان الدريني شابًا ابن 21 سنة، ومات في حياة الدريني.

---

(85) المنصورة قصص وتاريخ، إيهاب رجب، ص 31.

8- ابـن الفـارض (576 - 632 هــ): لمـا مـات كـان الـدريني عنـده 20 سنة.

9- الإمــام شــهاب الــدين القرافــي (626 - 684 هــ): ولـد ومـات فـي حياة الدريني.

10- الإمــام ابـن الحاجـب (570 - 646 هــ): لمـا مـات كـان الـدريني عمره 34 سنة.

وغيـر ذلـك كثيـر جـدًا؛ إذ يُعتبـر القـرن السـابع الهجـري مـن أبـرز وأهم القرون التي شهدت ميلاد العلماء والفقهاء والمفكرين.

***

وفاته

اختلف العلماء والمؤرخون في تحديد وفاته على عدة أقوال:

1- **قيل:** سنة 688 هـ. قال هذا ابنُ سيِّد الناس[86]، وتابعه الذهبي في "تاريخ الإسلام".[87]

2- **قيل:** سنة 689 هـ. قاله ابن حبيب.[88]

---

(86) كتاب «أبو الفتح اليعمري: حياته وآثاره وتحقيق أجوبته» تأليف: الأستاذ محمد الراوندي (2/ 275).

(87) تاريخ الإسلام (51/ 332).

(88) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه (1/ 130).

3- **قيل:** سنة 694 هـ. قاله السبكي في "الكبرى"[89]، والمُناوي ثم قال: «وقيل: سنة 689 هـ، قيل: 690 هـ، وقيل غير ذلك»[90]، وذكره الحاج خليفة في موضعين.[91]

4- **قيل:** سنة 697 هـ. ذكره ابن الملقن في "طبقات الأولياء"[92]، والسيوطي[93]، والشعراني[94] ، والبغدادي في "الهدية"**[95]**، والحاج خليفة في ستة مواضع.[96]

5- **قيل:** سنة 699 هـ. قاله ابن العماد.[97]

لكن المشهور ويبدو أنه الأقرب للصواب أنه تُوفي في سنة 697هـ.

---

(89) طبقات الشافعية للسبكي (8/ 199).

(90) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي (2/ 444).

(91) كشف الظنون لحاجي خليفة (1/ 749) & (2/ 1034).

(92) طبقات الأولياء ص 447.

(93) حسن المحاضرة (1/ 421).

(94) الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 361)، مكتبة الثقافة الدينية.

(95) هدية العارفين، لاسماعيل باشا البغدادي (1/ 580).

(96) كشف الظنون لحاجي خليفة، والست مواضع هم كالتالي: (1/ 195) & (1/ 489)& (1/ 924) & (2/ 1012) & (2/ 1018) & (2/ 1389).

(97) شذرات الذهب لابن عماد (7/ 785).

لكن على أية حال فهو من علماء القرن السابع الهجري. وهو مدفون بقرية «درين»، كما ذكر الإمام خير الدين الزِّرِكْلي[98]، وله مسجد بها، وفيه مقام مبارك يقصده الزوَّار من كل مكان.

***

مسجد الدريني بين القاهرة ودرين

أولًا: مسجد الدريني بقرية درين

في الواقع، لما مات سيدي عبد العزيز الدريني سنة 697 هـ / 1297م؛ قام أهله وتلاميذه بدفنه في قريته «درين»، وكان قبره ظاهرًا ومعروفًا لكل الناس، ثم قام بعد ذلك أهله ومحبوه ببناء مسجد صغير بجوار الضريح، وظل المسجد يتجدد مرة بعد مرة، حتى جاء (محمد باشا بدراوي) - أحد أثرياء درين والمنطقة كلها - عام 1904م، وقام ببناء جامع كبير لسيدي عبد العزيز الدريني بجوار مرقده الشريف؛ وذلك تكريمًا وخدمة للإمام الدريني بركة الزمان والمكان.

ومن يومها وإلى الآن ومسجد الدريني من المساجد المعروفة في المنطقة بل وفي مصر كلها. ولا يزال المسجد يحتفظ بطرازه المعماري المملوكي الفريد إلى الآن، ويقصده الزوَّار والمحبون والمريدون من كل مكان.

---

(98) الأعلام (4/ 13).

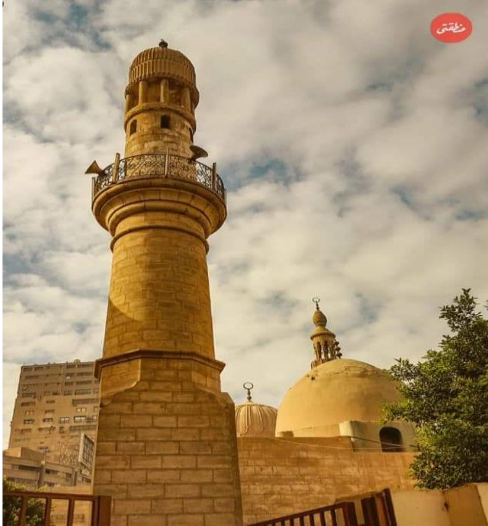
***

أما عن مسجد الدريني بالقاهرة

عندما تدخل حرم كلية طب أسنان القصر العيني؛ تجد به مسجدًا قديمًا أثريًا، أوقعه حظه أن يقع داخل حرم الكلية عند إنشائها!

هذا المسجد يُعرف بمسجد (الشيخ عبد العزيز الدريني)، وكان هذا المسجد قديمًا يقع بجوار (البساتين) المملوكة لإبراهيم باشا بن محمد علي، والتي كانت توجد في هذا المكان.

لا نعرف متى تم إنشاء هذا المسجد بالتحديد، لكننا نعرف أن الأميرة منيرة سلطان زوجة إبراهيم إلهامي باشا بن عباس حلمي الأول، وابنة السلطان التركي عبد المجيد الأول، هي من قامت بتجديده.



وذكر **علي باشا مبارك** في خططه أن (جامع الديريني) القائم بمنيل الروضة كان متخربًا وجدده غطاس أفندى وحنا البحري، ثم جرت فيه عمارة من طرف إسماعيل باشا عاصم - رحمه الله تعالى - سنة 1274هـ، وجددت حينئذ منارته وبه أربعة أعمدة من الحجر، وميضأة ومرافق، وناظره (أي إمام المسجد) الشيخ محمد علي المنيلي وكان له مرتب من طرف الست (مَهِتاب) فانقطع بموتها، وشعائره الآن مُقامة، وبه ضريح يقال أنه ضريح سيدي عبد العزيز الديريني، ويُعمل له حضرة كل يوم

سبت، وله مولد كل سنة في شهر صفر، ولكن في طبقات الشعراني أن سيدي عبد العزيز الديريني مدفون في بلده ديرين.(99)

والسؤال الذي يطرح نفسه: أين دُفن الدريني، في هذا المسجد أم بمسجده بدرين؟

قولًا واحدًا: سيدي عبد العزيز الدريني مدفون بقرية درين مركز نبروه محافظة الدقهلية، وهذا ما أكد عليه العلماء والمؤرخون.

يقول الإمام **الزِّرِكْلي** في الأعلام: (عبد العزيز الديريني، فقيه شافعي من الزهاد، ونسبته إلى درين **وقبره بها**).(100)

وقال الإمام عبد الوهاب **الشعراني**: (مات عبد العزيز الدريني - رضي الله عنه - سنة سبع وتسعين وستمائة، **وقبره بديرين** ظاهر يزار إلى عصرنا هذا).(101)

وأكد على ذلك أيضًا **الإمام بدر الدين العيني** في كتابه «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان».(102)

أيضًا أكد على هذا **المؤرخ الكبير أبو المحاسن ابن تغري بردي حيث قال بالنص:** «وقبره يزار بديرين».(103)

---

(99) الخطط التوفيقيه (4/ 113).

(100) الأعلام (4/ 13).

(101) الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 361)، مكتبة الثقافة الدينية.

(102) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (3/ 292).

ويؤكد على ذلك أيضًا **المرتضى الزبيدي** في **تاج العروس** إذ يقول: «ودِيرِينُ، بالكسْر: قَرْيَة عامرةٌ بالغَرَبيّ، وَقد دَخَلْتُهَا وزُرتُ صاحِبَها القُطْبَ أَبَا مُحَمَّد عبدَ العزِيز بنَ أَحْمد بنِ سَعِيد بنِ عَبْدِ اللهِ الدَّمِيرِيّ المعْرُوف بالدِّيرِينيّ صاحب كتاب كذا وكذا...».(104)

والمراد بالزيارة هنا هو زيارة قبره ومرقده وليس زيارة اجتماعية له في حياته؛ لأن الدريني مات سنة 697هـ ومولد المرتضى الزبيدي كان عام 1145هـ، يعني بعد موت الدريني بخمسة قرون، مما يؤكد ذلك أنَّ الدريني مدفون فعلًا بدرين وإلَّا لَما ذهبَ المرتضى الزبيدي إلى درين ليزور صاحبها القطب الدريني كما قال.

وأكد **علي باشا مبارك** أيضًا على أن الدريني مدفون في بلدته درين وليس موجودًا بالقاهرة.(105)

<u>أما عن مسجد الدريني الذي يوجد بالقاهرة</u>، هو في الحقيقة كان بمثابة خلوة ومدرسة، بناه السلطان المملوكي حسام الدين لاجين؛ من أجل أن يأتي إليه الشيخ عبد العزيز الدريني، ويُلقي دروس العلم فيه، لكنه لم يُدفن فيه.

---

(103) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (7/ 269).

(104) تاج العروس (11/ 357).

(105) الخطط التوفيقيه (4/ 113).

أما عن المقام الذي يوجد بالمسجد ويُعرف بمقام سيدي عبد العزيز الدريني فإنه في الحقيقة مشهدٌ وليس ضريحًا.

وكذلك كل المقامات التي تنسب للدريني في الدول الأخرى؛ هي عبارة عن مشاهد وليست أضرحة.

ما الفرق بين المشهد والضريح؟

الضريح: مكان مدفون فيه جثة الميت على الحقيقة.

أما المشهد: فهو مكان فارغ ليس فيه جثة، وليس مدفونًا فيه أحد، ولكن يتم بناءه حتى يكون رمزًا وذكرى فقط لهذا الشخص المنسوب إليه.

وهذه من العادات المصرية التي ابتكرها الفاطميون، أن يُبنى للعالم أو الولي أكثر من قبر، ويُنسب كلهم له، لكنه بالطبع مدفون في واحد منهم فقط، وهو ما نسميه (ضريح)، وكل ما سواه يُسمى (مَشْهَد).

ومثال ذلك: الإمام **السيوطي** مدفون بحي سيدي جلال بالقاهرة وله مسجد وضريح معروفان، لكن في الوقت ذاته له مسجد ومشهد في أسيوط.

وعلي زين العابدين مدفون بالمدينة المنورة لكن له مشهد بالقاهرة في مسجد علي زين العابدين... وهكذا.

إذن هناك فرق بين المشهد وبين الضريح.

وعلى هذا التأصيل يُزال اللبس حول مسجد الدريني بالقاهرة ودرين.

الفصل الثاني: مؤلفات الدريني وآثاره العلمية

مؤلفاته

أما عن مؤلفات الإمام الدريني فهي كثيرة، وبالمعارف غزيرة، ومتنوعة، وَسِعت الكثير من المجالات الشرعية والعربية بل والعلوم الطبيعية أيضًا، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

♦ من مؤلفاته في العقيدة:

1- إرشاد الحيارى في رَدع مَنْ مَارى فِي أدلة التَّوْحِيد ورَدّ النَّصَارَى.

وقد طبع طبعتين في القاهرة: الأولى سنة 1867م، والثانية سنة 1904م، مع "منظومة السُّؤال العجيب في الرد على أهل الصليب" لأحمد بن علي الكُتُبيّ، و"السهم المُفيد لإفادة أهل الصليب" لحسن بن بكر فتيان خطيب جامع النصر في نابلس.(106)

وقد حققهُ الأستاذ **الباحث عماد محمد فاضل** باللغة العربية ثم ترجمهُ إلى اللغة الإنجليزية في رسالته الماجستير المقدمة إلى قسم الدراسات

---

(106) نقلا عن بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، صفحة 591.

الإسلامية باللغة الإنجليزية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر عام 1431هـ، ولم يطبع بعد.[107]

2- المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى. [108]

وهو كتابٌ في تفسير أسماء الله الحسنى، يحمل نفس اسم أحد كتب الإمام أبو حامد الغزالي، لكنَّ الاثنين مختلفان تمامًا.

ولقد ذكرهُ المؤلف في جملة مصنفاته التي ذكرها بخط يده في آخر إحدى نسخ كتابه التيسير، وأشار إليه أيضًا في منظومة التيسير بقوله:

وقد جمعت في معاني المقصد الأسنى فحازِ

وقد طبع قديمًا في القاهرة سنة 1330هـ، وطبع حديثًا بتحقيق د. مصطفى بن محمد الذهبي، نشرته مكتبة المقدسي، مصر 1998م، في مجلد واحد ، كما طبع بتحقيق أحمد المزيدي، من منشورات دار الحقيقة للبحث العلمي، مصر، في عام 2008م، في مجلد واحد.[109]

---

(107) نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 61.

(108) هدية العارفين (1/ 581).

(109) نقلا عن (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 62.

3- كتاب أركان الإسلام في التوحيد والأحكام. [110]

هو كتاب مختصر في العلم بالعقيدة، ومعرفة شروط صحة الإيمان وكماله، والعمل بالمذاهب الأربعة[111]، وله اسم آخر: (رسالة فيما يجب العلم به والاعتقاد)، وهو مخطوط في ثلاثة عشر لوحةً في مكتبة برلين تحت رقم (3/ 1792)، وفي دار الكتب المصرية تحت رقم (12/ 34).[112]

4- مقدمة في أصول الدين. ذكرهُ ابن الملقن في العقد المذهب.[113]

5- مقدمة في العقائد. أشار له السخاوي وذكر أن شهاب الدين ابن الأقطيع البرُلسي قام بشرح هذا الكتاب [114].

6- كتاب «الوسائل الإلهية والرسائل المحمدية».

ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان مِنْ مصادر أبي الفتح محمد بن محمد الإسكندري في كتابه «الكشف والبيان عن صفات

(110) هدية العارفين (1/ 581).

(111) كشف الظنون (2/ 1389).

(112) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، مصدر سابق، ص 63.

(113) العقد المذهب ص 381.

(114) الضوء اللامع (2/ 248).

الحيـوان» **وقــال:** هــي ثمــان وخمســون قصــيدة علــى حــروف المعجــم، قصيدة إلهية وقصيدة محمدية.(115)

وذكـره **ابـن قاضـي شـهبة** مختصـرًا باسـم: (الوسـائل والرسـائل) وقـال بأنه في التوحيد.(116)

***

♦ مؤلفاته في التفسير:

1- التَّيْسِير فِي علم التَّفْسِير: وهي منظومة فِي مِائَتَيْنِ وَثَلَاثَة آلَاف بَيت.(117)

نـص **الزِّرِكْلـي** علـى أنهـا توجـد بخطـه فـي دار الكتـب المصـرية، فقـال: (أرجوزتـه المسـماة بالتيسـير فـي التفسـير، وهـي بخطـه فـي دار الكتـب المصـرية " ٨٠ تفسـير " وانظـر فهرسـت الكتبخانــة 1 : 156 يقـرأ: كتـاب التيسـير فـي التفسـير، نظمـه وكتبـه أصـغر العبيـد عبـد العزيـز بـن أحمد بن سعيد بالدميري غفر له ولوالديه)(118).

(115) المسارعة إلى قيد أوابد المطالعة ص 120.

(116) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (2/ 182).

(117) هدية العارفين (1/ 581).

(118) الأعلام للزِّرِكْلي (4/ 13).

2- تفسـير القـرآن المسـمَّى «المصـباح المنيـر فـي علـم التفسـير» فـي مجلدين، في صورة نظم شعري. [119]

3- الأنوار الواضحة في تفسير الفاتحة[120]

4- العبارة الْوَاضِحَة فِي مَعَاني الْفَاتِحَة.[121] وهو عنوان مختلف عن السابق كما سنرى.

5- الكفايـة فـي تفسـير القـرآن: اختصـره مـن كتـاب (الهدايـة لبلـوغ النهايـة) فـي تفسـير القـرآن لمكـي بـن أبـي طالـب القيسـي القيروانـي (ت: 437 هــ). ذكــره بروكلمــان، وهــو مخطــوط فــي خزانــة القرويين بفاس.[122]

***

♦ مؤلفاته في الفقه:

1- الدُّرَر الملتقطة فِي الْمسَائِل المختلطة. [123]

---

(119) هدية العارفين (1/ 581).

(120) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مصدر سابق، ص 591.

(121) هدية العارفين (1/ 581).

(122) نقلا من مقالة عن (الشيخ عبد العزيز الديريني)، إعداد الدكتور عبد الحكيم الأنيس، شبكة الألوكة الإلكترونية.

(123) هديــة العــارفين (1/ 581) & الأعــلام (4/ 13) & كشــف الظنــون (1/ 749).

ذكره **الإمام عبد الوهاب الشعراني** وقال: «أفتى فيها على المذاهب الأربعة، فلولا اطّلاعُهُ على مستندات الأئمة ما كان يسوغ له أنْ يفتي على مذاهبهم كلهم».[124]

وقال **الزِّرِكْلي**: «أجاب فيه على مسائل سُئِلَ عنها في العبادات والمعاملات على مذهب الشافعي».[125]

2- **دقائق التَّنْبِيه:** وهو نظم لكتاب «التَنْبِيه» لأبي إسحاق الشيرازي فِي الْفُرُوع.[126]

3- **شرح التَّعْجِيز مُخْتَصر الْوَجِيز لِابْنِ مَنْعَة الموصلي فِي الْفُرُوع.** [127]

4- **مفاتيح الكنوز**: وتسمى أيضًا رموز الكنوز، وهي منظومة في الفقه الشافعي، ومنها نسخة محفوظة في مكتبة الدولة، برلين، تحت رقم (4654).[128]

---

(124) الميزان الكبرى للشعراني ص 60 & نقلا من مقالة عن (الشيخ عبد العزيز الديريني)، إعداد الدكتور عبد الحكيم الأنيس، شبكة الألوكة الإلكترونية.

(125) الأعلام (4/ 18).

(126) هدية العارفين (1/ 581).

(127) المصدر السابق.

(128) نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 57-69.

5- **الأشكال المشكلة في الفرائض:** وهو مختصر في مسائل الفرائض بدون ذكر الخلاف فيها، وهو مخطوط في ست وثلاثين لوحة، ومحفوظ في دار الكتب المصرية، تحت رقم (330/ فرائض). [129]

6- **الرفق بالأمة في اختلاف الأئمة.** [130]

7- **الأنوار المسفرة في أحكام الشريعة المطهرة:** وهو نظم في الفقه يقرب من ألف بيت. [131]

8- **نظم «الوجيز»**، حيث استطاع الدريني أن يصوغ كتاب الوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي في صورة أبيات من الشعر؛ حتى يسهل حفظها، وخرج هذا النظم فيما يزيد على خمسة آلاف بيت على حرف الرَّاء[132]، يبدأ بكتاب الطهارة فيقول:[133]

تطهرن بِالْمَاءِ خص فَإِن بَقِي ... على أَصله فالطهر بَاقٍ بِلَا نكر

---

(129) المصدر السابق.

(130) انظر: ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (لوحة91) & نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص67.

(131) المصدر السابق.

(132) شذرات الذهب لابن عماد (7/ 785).

(133) الوافي بالوفيات (18/ 285).

سـوى رَافــع الْأَحْـدَاث مُسْـتَعْملًا علــى الْجَدِيـد لنقـل الْمَنْـع مــن حــدث يجْـرِي

وَمـــن كَونــــه مُسْـــتَعْملًا فِـــي عبَـــادَة فَـــإِن فقـــدا فـــالطهر حَقَّقَـــهُ عَـــن بشـــر

وَإِن فقــــــــدت إِحْـــــــدَاهمَا فتـــــــردد كَـذَا فِـي اجْتِمَـاع مِنْـهُ يكنـز فِـي النَّهـر

9- نظم «الوسيط»: وقد شرع فيه لكنه مات قبل أن يكمله.(134)

***

♦ مؤلفاته في التصوف:

1- الرَّوْضَة الأنيقة فِي بَيَان الشَّرِيعَة والْحَقِيقَة. (135)

2- كتاب «طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب».(136)

3- **كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس.** أشار إليه الإمام المناوي في الكواكب الدرية (137).

4- **مختصر رسالة القشيري.**

وقد أشار **محمد بن حميد المشتولي** في كتابه (سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان) لمختصر الدريني على رسالة الإمام القشيري، ونقل منها بعض الفقرات، **ما نصه:**

---

(134) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (2/ 182).

(135) هدية العارفين (1/ 581).

(136) هدية العارفين (1/ 581).

(137) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (2/ 444).

«قـال سـيدي عبـد العزيـز الـديريني رحمـة الله عليـه فـي مختصـر رسـالة القشـيري لـه: ومـن أكبـر الآفـات أن يعلـق قلبـه بمحبـة مخلـوق فـإن ذلـك مـن أكبـر الشـواغل، ويسـتعان علـى السـلامة مـن ذلـك بقلـة مخالطـة النـاس، لا سـيما ممـن تميـل النفـوس إلـيهم لحسـنٍ أو إحسان»[138]. انتهى

5- **مدخل الفقه واللسان إلى ميدان المحبة والعرفان.**

جاء ذكره في آخر مخطوط «تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني» للأقليشي، ونُقِلَ منه ستة أبيات.

ويذكر أنَّ للشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي الشهير بابن شيخ الحزاميين (ت: 711هـ) كتابًا بهذا العنوان، وقد طُبع، وليس فيه الأبيات الستة المشار إليها، وعلى هذا فالله أعلم بحقيقة نسبة الكتاب للديريني.[139]

6- أنوار المعارف وأسرار العوارف [140].

7- قصيدتان عن الصوفية: الإقرار بالاعتقاد، والتعليم الضَّروريّ للصُّوفي.[141]

(138) سلوة الأحزان، مصدر سابق، صفحة 29.

(139) قلادة الدر المنثور للدريني، تحقيق: د. طه محمد فارس ص37.

(140) أشار له ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية (2/ 182) والداوودي في طبقات المفسرين (1/ 312).

8- **نرجس القلوب.**(142)

9- التنبيهات الحسان في معنى الإحسان. (143)

يقول **د. عبد الرحمن المحيميد:** وقد عثرتُ على المخطوط في المكتبة العامة بمكة المكرمة في آخر مخطوط الميزان الوفي تحت رقم (1/ 118)، والموجود قطعة منه تقع في خمسة ألواح من بداية الكتاب.

10- سير الأبرار ورسائل الأسرار.(144)

11- الذهب المسبوك في علم السلوك.(145)

---

(141) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، صفحات 589- 627.

(142) المصدر السابق.

(143) نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 57-69.

(144) نسخة لكتاب (التيسير)، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير: 80 / لوحة 117)، نقلا عن الباحث الدكتور المحيميد في رسالته - السالف ذكرها.

(145) انظر: ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (لوحة91) & نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 67.

12- قواعد العبارات. (146)

13- إحياء القلوب بذكر الملك المحبوب.

ويوجد مخطوطًا بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم (34088)، ويوجد منها مصورة في مركز جمعة الماجد برقم: 473636. (147)

14- الحرز اليماني بدعاء السيد عبد العزيز الديريني. (148)

من مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم: 39745، ويوجد منها مصورة في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: 455792.

***

♦ مؤلفاته في التجويد:

1-رسالة في مخارج الحروف. مخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية القاهرة، رقم (21/ 1145).(149)

2- الميزَان الوفي فِي معرفَة اللّحن الخفي. (150)

---

(146) المصدر السابق.

(147) الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، عدد 97 / مجلد 25/ ص129.

(148) المصدر السابق.

(149) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، تحقيق: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 59.

(150) هدية العارفين (1/ 581).

3-الزوائد على مذهب الإمام أبو عمرو البصري. (151)

وهو نظم في خمسة عشر بيتًا، ذكر فيه الأحرف الزوائد وحكمها من حيث الإثبات والحذف، ويبدأ النظم بقوله:

إذا شئت أن تبغي الزوائد على مذهب الحبر الإمام أبي عمرو

فدونك ستًا مع ثلاثين موضعًا مُسهلة بالنظمِ عن ثِقل النثرِ

وهو مخطوط في ورقة واحدة ضمن مجموع مخطوطات محفوظة في المكتبة المركزية في جامعة الملك سعود، رقم (2/95) [2827م/3].

يقول د. عبد الرحمن المحيميد: وعندي صورة منه.

4- شرح الشاطبية. (152)

5-رسالة في المقصور والممدود.(153) من مخطوطات السعودية ـ الرياض برقم3591، ويوجد منها مصورة في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: 593302.

6-منظومة في التجويد: وهو مخطوط محفوظ في مكتبة تشستربيتي، دبلن تحت رقم (6/ 3849). (154)

---

(151) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، تحقيق: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 58.

(152) المصدر السابق ص59.

(153) الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، عدد 97 / مجلد 25/ ص134

***

♦ **مؤلفاته في علوم القرآن:**

1- **نظم «غريب القرآن».** ولقد أشار إليه المناوي أيضًا في الكواكب الدرية [155].

2- **منظومة ترتيب نزول القرآن العظيم:** وهي مخطوطة في التيمورية تحت رقم (1/ 149/ 352). [156]

3- **ظاءات القرآن:** وهي عبارة عن قصيدة في الظاءات وشرحها، وهي مطبوعة بتحقيق د. محمد عثمان يوسف، نشرته مكتبة الآداب، القاهرة، عام 1992م في مجلد واحد. [157]

4- **وجوه (كلا) في القرآن:** وهو عبارة عن أرجوزة، وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية، المنصورة، تحت رقم (2/32). [158]

5- **أرباع القرآن:** وهو مخطوط محفوظ في التيمورية، ضمن مجموعة التفسير في (273 صفحة)، تحت رقم (1/141/167). [159]

---

(154) المصدر السابق.

(155) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (2/ 445).

(156) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، تحقيق: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص60.

(157) المصدر السابق ص 59.

(158) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 59.

(159) المصدر السابق ص60.

6- سور القرآن وكيف أوحيت: وهو عبارة عن (33) بيتا من الرجز، مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم (7/ 466). (160)

7- **نظائر القرآن:** وهو عبارة عن أرجوزة في أربعمائة وثمانين بيتًا.(161)

8- مشكل القرآن.(162)

9- أرجوزة في المكي والمدني من سور القرآن الكريم.

ذكرها الإمام السيوطي في الإتقان، وهو يتحدث عمن تكلموا وصنَّفوا في مَعْرِفَةِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ، قال: "**وأَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مَكِّيٌّ وَالْعِزُّ الدَّيْرِينِيُّ**".. والعز الدريني هو عز الدين عبد العزيز الدريني (163).

***

♦ **مؤلفاته في المناقب:**

---

(160) المصدر السابق ص60.

(161) المصدر السابق ص60.

(162) نسخة لكتاب (التيسير)، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير: 80 / لوحة 117)، نقلا عن الباحث الدكتور المحيميد في رسالته - السالف ذكرها ص 60.

(163) الإتقان في علوم القرآن (1/ 36).

1- البهجة الصُّغرى في مناقب الشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني. [164]

من مخطوطات الظاهرية بدمشق برقم (7499) ويوجد منها مصورة في مركز جمعة الماجد بدبي برقم (239770).[165]

2- غاية التحرير في نسب قطب العصر غوث الزمان سيدنا أحمد الرفاعي الكبير. [166] ولقد طبع هذا الكتاب في المطبعة العمومية - القاهرة 1899م.

3- مناقب سيدي إبراهيم الدسوقي. مخطوط بالمكتبة الأزهرية برقم (3899) في 59 ورقة.[167]

4- الأرجوزة الوجيزة. [168] & **5- القصيدة اللامية.** [169]

وهما قصيدتان كبيرتان في ذكر أفضال أساتذته ومشايخه رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(164) أشار إليه عدنان عمر الخطيب في بحثه بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، ص 591.

(165) الميزان الوفي مصدر سابق ص 135.

(166) عدنان الخطيب، مصدر السابق ص 595.

(167) بواسطة: الفهرس الإلكتروني لمركز المخطوطات والتراث والوثائق على الإنترنت.

(168) أوردها ابن الملقن في كتابه «طبقات الأولياء» صفحات 524- 534.

(169) طبقات الأولياء ص 523.

***

♦ **مؤلفاته في اللغة:**

1- جوهر الاقتباس في علم الجناس. [170]

2- **المُخَمَّس في النحو:** كتاب نَظَمَ فيه الديريني شَرْح ابن الناظم لألفية والده المعروفة بـ (الدرة المضية في شرح الألفية).[171] ولقد قام ابن قطلوبغا بشرحها كما ذكر السخاوي[172].

3- **الملحة والنحو والقريبة.** وَهِي سِتّمائَة بَيت وَخَمْسَة وَثَمَانُونَ بَيْتا، كما أشار لذلك الإمام السخاوي [173].

4- **أرجوزة في (الفرق بين الضاد والظاء)**، وهي حوالي مائة ورقة عن الفرق في النطق والمعنى في الكلمة للحرفين. أشار لها السخاوي في ترجمته للصالح برهَان الدّين النيني.[174]

5- **منظومة شعرية في مرسوم الخط (رائية).**[175]

---

(170) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، ص 592.

(171) المصدر السابق ص 595.

(172) الضوء اللامع (6/ 187).

(173) الضوء اللامع السخاوي (10/ 262).

(174) الضوء اللامع (1/ 121).

(175) الضوء اللامع (3/ 108).

6- مرآة البصر في علم العبر، وهو نظم يقرب من ألف بيت في علم التعبير. (176)

7- الفرق بين التاء والثاء & والفرق بين الدال والذال. (177)

هو نظم سرد فيه الألفاظ ذات الذال وذات التاء الواردة في القرآن الكريم وبيَّن معانيها باختصار، وهو مخطوط في مكتبة برلين تحت رقم (7026)، **يقول د. عبد الرحمن المحيميد:** وقد عثرتُ عليه في المكتبة العامة بمكة المكرمة في آخر مخطوط الميزان الوفي تحت رقم (1/ 118) بعنوان (بيان الذال المعجمة والمهملة والثاء المثلثة وغيرها)، وهو عبارة عن منظومتين منفصلتين.(178)

المنظومة الأولى في لوح واحد وعدد أبياتها (29) بيتًا، ومطلعها:

يقول راجي المستعان الصمدُ عبد العزيز الحامد بن محمدُ

---

(176) انظر: ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (لوحة91) & نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 68.

(177) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، ص 595.

(178) نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 60 - 61.

هــذا بيــان الــذال ثــم الثــاءِ محــررًا لفظًــا بــلا إحصــاءِ

احفــظ هُــديت أحرفًــا بالــذالِ معجمــة حقًّــا بــلا إشــكالِ

والثانية في أقل من لوح، وعدد أبياتها (22) بيتًا، ومطلعها:

احفــظ حروفًــا عُرفــت بالثــاءِ ذات ثــلاث قــل بــلا مــراءِ

مؤلفاته في السيرة النبوية:

1- الشجرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة. [179]

وهـي أرجـوزة فـي السـيرة النبويـة وأحـوال العشـرة المبشـرين بالجنـة، **افتتحها بقوله:**

الحمـــــدُ للَّهِ المُنيــــرِ الهــــادي المَلِــكِ الحــقِّ البَــديع البَــادي

الأَوَّلِ القَـــــــديمِ ذي الثنــــــاءِ الأخــــرِ الموصــــوفِ بالبقــــاءِ

الظـــاهرِ المعــــروفِ بالـــدليلِ مِــن غيــرِ تشــبيهٍ ولا تمثيــلِ

العـــــالمِ البــــاطنِ بالأســــرارِ جــلَّ فــلا يُــدرَك بالأفكــارِ

وقـد رتَّـب فيهـا السيرة النبويـة علـى أبـواب، ثـم رتَّـب سـيرة الصـحابة العشـرة علـى عشـرة فصـول[180]. وهـو مخطـوط فـي مكتبـة آيـا صـوفيا

(179) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، ص 592.

تحت رقم (1/ 4248)[181]، ويوجد ضمن مخطوطات الظاهرية بدمشق برقم 5883، والأزهرية بالقاهرة برقم (97538)[182]، ويوجد نسخة من الكتاب بدار الكتب المصرية يرجع كتابتها إلى سنة 1315م.[183]

ولقد أكرمني الله بأن أفردت لهذه المنظومة كتابا خاصًا، ذكرت فيه المنظومة كاملة، والتي تزيد على ألف بيتٍ، محققة مُدَققة مرتبة، نسأل الله النفع والقبول.

2- «نظم في السّيرة النبويّة». ذكره بعض العلماء بهذا الاسم، ويبدو أنها منظومة الشجرة التي أسلفت ذكرها.[184]

---

(180) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - مجلد 20، ج: 11-12، صفحات 532-533، عنوان الفصل (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها لأسعد طلس).

(181) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 65.

(182) الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، عدد 97 / مجلد 25/ ص129.

(183) فهرس دار الكتب المصرية (5/ 228). & مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - مجلد 20، ج: 11-12، صفحات 532-533، عنوان الفصل (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها لطلس).

(184) أشار له السيوطي في حسن المحاضرة (1/ 421)، والداوودي في طبقات المفسرين (1/ 312).

3- قُرَّة الأبصار في سيرة الشفيع المختار.[185]

***

♦ مؤلفاته في العلوم الطبيعية:

1- كتــاب مجمــوع وشــأن مرفــوع فــي الحكمــة النبويــة والأســرار الإلهية.

وهي عبارة عن رسائل في **الكيمياء**، شاركه فيها غيره. [186]

2- اليواقيت في علم المواقيت. [187]

وهي عبارة عن أرجوزة في **الفلك**، في ثمانمائة بيت، نظمها الديريني يوم عيد النيروز الموافق السبت سنة 675 م، وهو مخطوط محفوظ في مكتبة الموصل تحت رقم (61/ 297).[188] وتوجد أيضًا ضمن مخطوطات الأزهرية بالقاهرة برقم (97538)، ويوجد منها مصورة

---

(185) ذكرهُ دكتور أمين بن عائش المزيني في رسالته للدكتوراة (الكفاية في تفسير القرآن: من المائدة للحجر) ص 37.

(186) بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، ص 595.

(187) المصدر السابق ص 597.

(188) انظر: ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (لوحة91) & نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص68.

في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: (517119 ،530002 ،443072).[189]

3- المواليد والطوالع: وهو مخطوط في الفاتيكان تحت رقم (5/ 726/ 3).[190]

4- رسالة في الفلك: وهي عبارة عن رسالة مختصرة في علم الفلك والمواقيت، لخصها عن رسالة له اسمها (النجوم الزاهرة)، وتشتمل على مقدمة وخمسة عشر بابًا.

ولقد عَثَرتْ عليها الباحثةُ حنان محمود بعنوان (قطف الزهرات في العمل بربع المقنطرات) ضمن مخطوطات دار الكتب المصرية، تحت رقم (568/ فلك) في ثمان ورقات، ونسخة أخرى تحت رقم (150/ ميقات) في اثنين وعشرين لوحًا. [191]

5- أرجوزة في الطب: أشار إليها الدكتور **المحيميد في رسالته.**[192]

6- أرجوزة في معرفة أوقات الظهر والعصر بالأقدام. [193]

---

(189) الميزان الوفي، مصدر سابق ص136.

(190) انظر تاريخ الأدب العربي (8/ 440) & نقلا عن رسالة دكتوراة السابقة ص 65.

(191) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، تحقيق: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 69.

(192) نفس المصدر السابق.

(193) الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، عدد 97 / مجلد 25/ 135-136.

من مخطوطات دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم: 345، ويوجد منها مصورة في مركز جمعة الماجد بدبي برقم: 370334.

***

♦ مؤلفات أخرى:

1- شرح قصيدة (بانت سعاد): وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، في مجموعة طلعت، تحت رقم (472). [194]

2- فوائد البلوى والمحن. [195]

3- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام. [196]

4- الأحكام في الحديث. [197]

♦ المنظومات:

1- قلادة الدّرّ المنثور فِي ذكر يَوْم الْبَعْث والنشور. [198]

---

(194) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، تحقيق: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص67.

(195) المصدر السابق ص 68.

(196) المصدر السابق ص 69.

(197) نسخة لكتاب (التيسير)، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (تفسير: 80 / لوحة 117)، نقلا عن الباحث الدكتور المحيميد في رسالته - السالف ذكرها ص 61.

(198) هدية العارفين (1/ 581).

2- المُـؤُرث لمُشـكل المثلـث، وهــي منظومــة شـعرية فــي شـرح مثلـث قطرب. [199]

3- الحديقة بين الحق والحقيقة: وهي عبارة عن أرجوزة تتكون من مائتين وثمانين بيتًا. [200]

4- منظومة في الكبائر والصغائر: توجد مخطوطة بمكتبة تشيستربيتي وقاعة الفن الشرقي بأيرلندا برقم (3486/ 12).[201]

5- أرجوزة طويلة حول الإنسان بوصفه عالمًا صغيرًا. [202]

6- قصيدة في إبطال السحر.[203]

****

---

(199) المصدر السابق.

(200) انظر: ترجمة المؤلف بقلم ناسخ مخطوط أنوار المعارف للديريني، في نسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (1662)، (لوحة91) & نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 67.

(201) بواسطة: الفهرس الإلكتروني لمركز المخطوطات والكتب والوثائق.

(202) الكفاية في تفسير القرآن للدريني، تحقيق: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 69.

(203) نفس المصدر السابق.

وهذه هي كل المؤلفات التي وفقني الله للوصول إليها، والتي تزيد عن السبعين عنوانًا مما تركه لنا سيدي عبد العزيز الدريني من تراث علمي فريد.

وأنا على ثقة أنه ما زال هناك الكثير والكثير من المؤلفات التي لا نعرفها ولم يسعفنا الحظ في الوصول إليها؛ أولًا: لأننا أمام شخصية فريدة ومبدعة، من الشخصيات العلمية النادرة التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة.

ثانيًا: أن الشيخ كان من شأنه إذا نزل ببلد ما وصنَّف كتابًا يتركه فيها ولا يحمله، وهذا هو السبب في تفرقها كما يقول الإمام المناوي.[204]

رحم الله الشيخ عبد العزيز الدريني رحمة واسعة، ونفعنا بعلمه وحبه وبركته في الدارين اللهم آمين.

***

(204) الكواكب الدرية للمناوي (2/ 445).

أقواله

هذه مجموعة من الكلمات المأثورة عن هذا الرجل، والتي تتميز بالحكمة والجمال، والتي تنثال منها المعاني الفياضة رغم بساطتها، استخلصتُها من بين ثنايا كتاباته؛ لتكون عنوانًا على سعة فقهه وحكمته، ولتكون قبس نور لنا أجمعين.

(1) الخوف على معان: خوف النار، وخوف البوار، وخوف السابقة، وخوف الخاتمة. نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.[205]

(2) ليس العالم من ضيَّع الأيام بتزويق الكلام، وجمع الحطام والتكالب على الحرام، إنما العالم من هجر الأنام، وترك الآثام، وقام في جنح الظلام، والتَذَّ بأشرف الكلام.[206]

(3) كيف يصبر عن قُربهِ مَنْ وجدَ طعم حُبه، أم كيف لا ينقطعُ إليه مَنْ وجد التذلل بين يديه؟![207]

(4) لا يليقُ الوَلَه والغرام إلا في حب مولى ليس للوهم فيه مرَام.[208]

---

(205) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، للمشتولي، صفحة 51، المكتبة الشاملة.

(206) كتاب (طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب) للدريني، صفحة 274.

(207) طهارة القلوب ص 19.

(208) المرجع السابق، ص 20.

(5) الـذكر المطلـوب هـو ذكـر القلـب، وإنمـا اللسـان طريـق إليـه، فمَـنْ ذكـر اللهَ بلسـانه مخلصًـا؛ وصـلتْ بركـةُ الـذكر إلـى قلبـه فعـاش قلبـهُ بذكر الله.[209]

(6) السـعيدُ مَـنْ أيقظـهُ الله للاسـتعداد وتحصـيل الـزاد، والغافـل عـن ذكـر المـوت والمعـاد مُصـدِّقٌ بقلبـه مُكـذِّبُ بعملـه، يهـتم للشـتاء والصـيف قبـل دخولـه وهـو يغفـل عـن المـوت وطولـه، فهـو كمَـن أخبـره مَخبـر بـأنَّ هـذا الطعـام مسموم فقـال صـدقت ثـم مـدَّ يـدهُ فأكـل، فهو مصدق بقلبه مكذب بفعله.[210]

(7) اعلم بأن المرء لا يموت حتى يعلم إلى أين مصيره.[211]

(8) يـا أيهـا المغـرور بأعمالـه المُعجـب بأحوالـه، علـى يـد أيِّ نقيـب عُرضـت، وفـي أيِّ الـدواوين رُسـمت، وبـأيِّ النـداء نوديـت، فمَـنْ كان حاله مُبهمًا فأولى به الخوف والوجل والحياء والخجل.[212]

(9) التائـب دائـم التأسـف كثيـر التلهـف، يُعـرف مـن بـين أمثالـه بذبولـه ويُستدل على حاله بنحوله.[213]

---

(209) طهارة القلوب ص 24.

(210) طهارة القلوب، ص 53.

(211) نفس المرجع السابق.

(212) طهارة القلوب، ص 93.

(213) طهارة القلوب، ص 105.

(10) مـن أراد التقـوى فليتجنـب فضـلات المبـاح؛ لـئلا تعتـاد الـنفس الركـون إلـى الشـهوات فتنجـر إلـى الشـبهات ثـم تنجـر إلـى المحرمـات، وأول عقوبـة الـذنب ظُلمـة تقـع فـي القلـب وغفلـة تستولي عليـه حتـى يسقط عنـه حرمـة أمـر الله تعـالى ونهيـه، فينجـر إلى ذنب آخر أعظم منه.(214)

(11) إنمـا يقـعُ الإشكال فـي وصـف مَـنْ لـه الأشـكال، وإنمـا تُضـرب الأمثـال لِمَـنْ لـه أمثـال، فأمـا مَـنْ لـم يـزل ولا يـزال فمـا للحـس معـه مجـال، عظمـت عظمتـه عـن نيـل كـف الخيـال، كيـف يُقـال لـه كيـف، والكيـف فـي حقـه محـال، أنَّـى تتخايلـه الأوهـام وهـي صـنعهُ، كيـف تَحـدُّهُ العقـول وهـي فِعلـهُ، كيـف تحويـه الأمـاكن وهـي وضـعهُ، انقطـع سـير الفكـر، ووقـف سـلوك الـذهن، وقصـرت إرادة الـوهم، وعجـز لطـف الوصـف، وغشـيت عـين العقـل، وخـرس لسـان الحـس، لآ طَـوْرَ لِلْقَـدَم فِـي طُـورِ الْقِـدَم، عـزَّ المرقـى فبـئس المرتقـى، بحـر المعرفـة لا يـتمكن منـه غـامض، وليـل لا يتبـين للحـس فيـه كوكب.(215)

(12) والفكـرة علـى ثلاثـة أقسـام(216): الأول: الفكـر فـي المصـنوعات والاستدلال بها على الله تعالى، وهو شأن العلماء بالله تعالى.

---

(214) الممصدر السابق.

(215) طهارة القلوب، ص 34-35.

(216) طهارة القلوب، ص 35.

والثـــاني: الفكـــر فـــى لطـــائف صـــنع الله وفواضـــل نعـــم الله، وهـــو مـــادة الشكر لله.

والثالث: الفكر في الأعمال وتخليصها وهو شأن العابدين.

(13) أيهـا الفقيـر، لازمْ بـاب المـولى الكـريم، وتعـزَّز بـالمولى العزيـز العلـيم، وهـوِّن الـروح فـي طلـب مقصـودك فإنـه كـريم، مَـنْ توسَّـل إليـه بطاعتـه تفضَّـل عليـه بنعمتـه، إن أطـاع أكرَمـهُ وفضَّـلَه، وإن أضـاع رحمـهُ وأمهلـهُ، وإن تـاب وأنـاب شـكرهُ، وإن عصـى وأسـاء سـترهُ، عزيـزٌ شَـهدَ بجلالـه جميـعُ أفعالـه، ونطـق بجمالـه جميـع أفضـاله، ودلَّ علـى ثبوتـه بـدائع آياتـه، وأخبـر عـن صـفاته عجائـبُ مخلوقاتـه، كـريمٌ مَـنْ دعـاه لَبَّـاه ومَـنْ توكـل عليـه كفـاه، ومَـنْ انقطـع إليـه آواه، ومَـنْ رجـع إليـه رَحمـهَ وأدنـاه، ومَـنْ سـألهُ أكرمـه وأعطـاه، ومَـنْ أعـرض عنـه نـاداه، أَلِـفَ المُحِبُّـونَ قُربَـهُ فـلا يصـبرون عـن لقياه. أَلِفَ العارفون مَجدَهُ فلا يستأنسون بسواه جل علاه.(217)

(14) مـا أعلَمَـكَ بـه فهـو بـه أعلـم، ومـا قَـوَّاك عليـه أقـوى، ومـا حَبَّبـهُ إليك فهـو لـه أحـب، وقـد حبـب إلـيكم الإيمـان، فـإذا كـان يُحـب إيمـانكم فهـو أولـى بحفـظ محبوبـه، فلـذلك لا يسـهو عنـك بسـهوك، ولا يغفـل عنـك بلهـوك، ﴿وَكَـرَّهَ إِلَـيۡكُمُ ٱلۡكُفۡـرَ وَٱلۡفُسُـوقَ وَٱلۡعِصۡـيَانَۚ﴾، المـؤمن

---

(217) طهارة القلوب، مرجع سابق، ص 19.

يكره فعل المعصية وإن وقع فيها، وإنما يُغطى على عقله وقت فعلها.[218]

(15) واعلم وفقك الله أن من تفكر في صفوف الضلال وترك المحال ثم تفكر في ضعف عقله، وكيف خلَّصه الله ظلمة جهله، فرأى خالص نفسه وسرّه واستبصاره في دينه، ونقى وجههُ عن غبرة الشرك، وصفى عين عرفانه عن وهج الشك، علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده واحتياله وجده، بل بِمنَّة ربه وفضله.[219]

(16) وكم من فقير ظهرت عليه آثار الإدارة ولاحت عليه أنوار السعادة، وظن الناس أنه من جملة الأولياء، وأن له حظًا في قسمة الأصفياء، ثم أصاب ربيع أنسه، ورفع قلبه إعصار فيه نار فبدل صفاءه بالوحشة وضياءه بالظلمة.[220]

وكم من عبد لبس لباس الأشقياء، ثم أزيل عنه، وخُلع عليه خلعة السعداء الأصفياء، ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد 39]

---

(218) المرجع السابق، ص 16.

(219) المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للدريني ص 42.

(220) نفس المرجع السابق، المقصد الأسنى.

(17) إنَّ الرجال بادروا للآجال لعلمهم أن سير المنية إعجال، عرفوا أنَّ الراحة في المعاد، فهجروا طيب الرقاد، واشتغلوا بتحصيل الزاد.[221]

(18) يا أصحاب الذنوب احذروا زلة يقول الحبيب منها (هذا فراق بيني وبينك).[222]

(19) ومن دارى الناس واحتمل أذاهم طلبًا للسلامة لدينه فقد وافق الحكمة.[223]

(20) لو ذاق الغافل السهر في الظلام، أو سمع الجاهل حس الصالحين عند القيام، وقد نصبوا الأقدام وهممهم تجري إلى القيام، وتلذذوا بأشرف الذكر وأحلى الكلام، وضربوا على شاطىء أنهار الصدق الخيام، وجهزوا مطايا الشوق إلى دار السلام، وسَرَت قوافلهم وأهل الغفلة نيام، وشكوا إلى محبوبهم ما يلقون من الغرام، ووجدوا من لذة الأنس ما لم يخطر على الأوهام، فإذا أصبحوا لبسوا جلباب الصيام، وصابروا الهواجر بهجر الشراب وترك الطعام، وتدرعوا بدروع التقوى حذرًا من الآثام، فلأجلهم يسقي الأرضَ الغيثُ، وبدعائهم تجري الغمام، وبهم يسامح العصاة ويصفح عن الإجرام، فإذا جاءهم الموت

---

(221) طهارة القلوب ص 153

(222) طهارة القلوب ص 182.

(223) نفس المصدر السابق.

طاب لهم كأس الحمام، وإذا دفنوا في بقعة افتخرت بتلك العظام، فعلى الدنيا من بعدهم السلام.[224]

(21) والتوبة الصادقة تقطع آثار الذنب، وإذا صدق التائب أنسى الله تعالى الملائكة ذنوبه، وأنسى بقاع الأرض عيوبه، ومحا من أم الكتاب زلاته.[225]

(22) يا مَنْ يطمع أن يلحق بالعاملين وهو راقد في مهاد الغافلين، فارق أوطان غفلتك؛ فلعلك تصحو من سكرة فترتك، تالله لو أردت المسير لَمَا التَفَتَّ إلى الأوطان، ولو ذقت حلاوة الخلوة بالمولى لما سكنت إلى مؤانسة الخلّان.

(23) يا مذنبين هذا وقت الإنابة، يا غافلين عن الحق وقد فتح بابه، تعرضوا للقبول فهذا وقت الإجابة، بكى أبوكم آدم على ذنب واحد ثلثمائة سنة (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الابْصَارِ) كانت صعداء أنفاسه تملأ مزاود المسافرين، كان كلما رأى الملائكة تصعد إلى السماء قال واشوقاه إلى الأوطان.[226]

(24) يا مقهورا بغلبة النفس صُلْ عليها بسوط العزيمة، وامنعها من شهواتها المباحة عسى أن يقع الاصطلاح على ترك الحرام، إن مالت إلى الشهوات فألجمها بلجام التقوى، وإن أعرضت عن

---

(224) المرجع السابق، ص 172-173.

(225) طهارة القلوب، ص 155.

(226) المرجع السابق، ص 154.

الطاعات فَسُقها بسوط المجاهدة، ووالله ما لم تجد مرارة الدواء لا تجد ذرة من العافية.

(25) النفس مثل الكلب إذا شبع نام، وإذا جاع بصبص (أي تملق لصاحبه).

(26) وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوَكُّلِ تَرْكُ الْأَسْبَابِ، وَإِنَّمَا التَّوَكُّلُ: سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى تَدْبِيرِ اللهِ تَعَالَى مَعَ الدُّخُولِ فِي الْأَسْبَابِ.(227)

(27) وَمَنْ نَظَرَ بِقَلْبِهِ فِي عُبُودِيَّتِهِ صَبَرَ عَلَى أَحْكَامِ سَيِّدِهِ.(228)

(28) فَالصَّبْرُ ثَمَرَةُ العُبُودِيَّةِ، ثُمَّ بَعْدَهُ الرِّضَى وَهُوَ ثَمَرَةُ المَحَبَّةِ، فَإِنَّ الْمُحِبَّ لَا يَكْرَهُ أَفْعَالَ مَحْبُوبِهِ.(229)

(29) وَأَحْسَنُ أَحْوَالِ صَاحِبِ الهِمَّةِ أَنْ يَسْلُكَ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ، وَيَسْتُرَ الحَالَ مع اللهِ فِي الحَقِيقَةِ، فَيَحْمِلُ الزَّادَ وَهُوَ مُتَوَكِّلٌ، وَيُخَالِطُ النَّاسَ وَهُوَ مُتَجَرِّدٌ، وَيَتَسَبَّبُ وَهُوَ وَاثِقٌ بِاللَّهِ تَعَالَى.(230)

(30) وَأَمَّا مَنْ تَصَدَّرَ لِلْمَشْيَخَةِ وَهُوَ يُلاحِظُ أَعْمَالَهُ وَيَسْتَحْسِنُ أَقْوَالَهُ وإِنِ انْتَفَعَ أَحَدٌ بِسَبَبِهِ رَأَى أَنَّهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ وَأَنْفَاسِهِ وَهِمَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ

---

(227) أنوار المعارف وأسرار العوارف للدريني، تحقيق: نزار حمادي، ص44.

(228) المصدر السابق ص31.

(229) أنوار المعارف ص 45.

(230) المصدر السابق ص59.

يَنْتَفِعْ أَحَدٌ بِسَبَبِهِ مَقَتَهُ وَرَأَى أَنَّهُ مَحْجُوبٌ عَنْ رُؤْيَةِ أَنْوَارِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا مَغْرُورٌ مَخْذُولٌ مَفْتُونٌ، يُرِيدُ الزِّيَادَةَ فَيَقَعُ فِي النَّقْصِ.[231]

(31) مَنْ سَافَرَ مَعَ شَيْخِهِ كَفَاهُ حُسْنُ الاقْتِدَاءِ بِهِ، وَمَنْ سَافَرَ مَعَ غَيْرِ شَيْخِهِ فَلْيُرَاعِ الزِّيَادَةَ، فَإِنْ وَجَدَ زِيَادَةً فَلْيَغْتَنِمِ الزِّيَارَةَ.[232]

فهذي ثلاثون كلمة، تحملُ مئات المعاني والدروس، وأنا على ثقة أننا كلما تعمقنا في كتابات الشيخ الدريني وقرأناها بتأنٍ؛ لاستخرجنا منها كنوزًا كثيرة، ربما تملئ الصفحات والمجلدات.

***

(231) المصدر السابق ص 56.

(232) المصدر السابق ص 53.

***

مناجاته

هي مجموعة من الأدعية والابتهالات والتضرعات لله سبحانه وتعالى[233]، تشبه مناجات الأئمة الكبار أمثال الجنيد وأبي الحسن الشاذلي وابن عطاء الله وغيرهم من أصحاب القلوب الرقيقة المتضرعة:

(1) إلهي، كيف يُحيطُ بك عقلٌ أنت خَلقتَهُ؟ أم كيف يُدركُكَ بصرٌ أنت شققتهُ؟ أم كيف يدنو منك فِكرٌ أنت وفَّقتَهُ؟ أم كيف يُحصي الثناء عليك لسانٌ أنت أنطقتهُ؟ إذا تَلَمَّحتْ عظمتُكَ أبصارُ البصائرِ عادت بنور سلطانك كليلة، وإذا تجمَّعتْ عظائمُ الجرائمِ كانت في جَنب عفوك قليلة، سَبَقتَ السبقَ فأنت الأول، وخَلقتَ الخلقَ فعليك المُعوَّل، وعُدتَ إذ جُدتَ يا خير مَنْ تَطوَّل، عجبًا للقلوب كيف استأنست بسواك؟! أو الأرواحِ كيف استقرت والأسرار بنور البصائر تراك؟! والألسنِ كيف شكرتْ، مَنْ لا يقدر على شيء لولاك، والأقدام كيف سَعتْ إلى غير رضاك؟!

(2) إلهي، تفضَّلتَ فعمَّ إفضالُك، وأنعمتَ فعمَّ نوالُك، وسترتَ فوَصلَ غُفرانُك، وعفوتَ فتكاملَ إحسانُك، جل جلالك فتعالى، وانهلَّ نَوالك

---

(233) فصل كامل بعنوان (فصول تضرع) في آخر كتاب طهارة القلوب للدريني.

فتوالى، تعاليتَ في دُنوِّك وتقرَّبتَ في عُلوِّك، فلا يُدركك وَهْم، ولا يُحيطُ بك فَهم، أنت الأولُ الآخر الباطنُ الظاهرُ، تنزَّهتَ في أَحَديتك عن بداية، وتعاظمتَ فى أَبديتك عن نهاية، أنت الواحدُ لا من عدد، الباقي بعد الأبد، لك خضعَ مَنْ ركع، وذلَّ مَنْ سَجَد، وبك اهتدى مَنْ طلب ووصلَ مَنْ جَدَّ.

(3) إلهي، كيف يُناجيك في الصلوات مَنْ يَعصِيك في الخلوات لولا حلمُك؟ أم كيف يدعوك في الحاجات مَنْ ينساك عند الشهوات لولا فضلك؟ أم كيف تنام العيونُ وفي كل ليلة تقول هل مِن تائبٍ هل مِن مستغفرٍ هل مِن سائل؟ أم كيف كَفَّتْ الأكُفُّ عن سؤالك وسَيلِ الجود سائل؟ أم كيف ينقطعُ عنك مَنْ لم تُقطَع عنه الوسائل؟ أم كيف يُباع الباقي بالفاني وإنما هي أيام قلائل؟

(4) إلهي، ارزقنا حُسنَ الإقبال عليك، والإصغاءَ إليك، والفهمَ عنك، والبصيرةَ في أمرك، والنفاذَ في طاعتك، والمواظبةَ على إرادتك، والمبادرةَ إلى خدمتك، وحُسنَ الأدب في معاملتك، والتسليمَ إليك والرضا بقضائك.

(5) اللهم يا حبيبَ كل غريب، ويا أنيسَ كل كئيب، أيُّ منقطعٍ إليك لم تكفه بنعمتك؟ أم أيُّ طالبٍ لم تَلقهُ برحمتك؟ أم أيُّ هاجرٍ هجرَ فيك الخلقَ فلم تَصِلْهُ؟ أم أيُّ مُحبٍّ خلا بذكرك فلم تؤنسهُ؟ أم أيُّ داعٍ دعاك فلم تُجبهُ؟ ويُروى عنك سبحانك أنك قلت: وما غضبتُ على أحد كغضبي على مذنبٍ أذنب ذنبًا فاستعظمهُ في جنب عفوي، اللهم يا مَنْ يغضب على مَنْ لا يسألهُ لا تمنع مَنْ قد سألك.

(6) إلهــي، كيــف نتجاســر[234] علــى الســؤال مــع الخطايــا والــزلات؟ أم كيف نستغني عن السؤال مع الفقر والفاقات؟ أم كيف يجمل بعبدٍ آبقٍ عن باب مولاه أن يقف على الباب طالبًا جزيل عطاياه؟ إنما ينبغي لـه طلـب المغفـرة، والتعلـق بأذيـال المعـذرة؛ لأنـك مَلِـكُ كـريم. دَلَّـتَ بجـودك عليـك، وأطلقـتَ الألسـنةَ بالسـؤال لـديك، وأكرمـتَ الوفـودَ إذا ارتحلوا إليك.

إذَا ارْتَحَـلَ الْوُفـودُ إلَيْـكَ يَوْمًـا　　　وَلحـوُّا فِـي الضَّـرَاعَةِ وَالسُّـؤالِ

فَـإنَّ رِحالنـا حطَّـت رجـاءً　　　لِفَضْـلكَ عَـنْ حُلُـولٍ وَارْتِحَـالِ

أنَخْنَـا عنـد بابـك يـا إلهـي　　　إلَيْـكَ مُفَوضِـينَ بِـلَا اعْـتِلالِ

فسُسْـنَا كيـف شـئتَ ولا تَكِلنـا　　　إلـى تـدبيرِنَا يـا ذَا الجـلالِ

(7) يـا حبيـبَ القلـوب أيـن أحبابُـك؟ يـا أنـيسَ المنفـردين أيـن طُلابـك؟ مَـنْ ذا الـذي عاملـك فلـم يـربح؟ ومَـنْ الـذي التجـأ إليـك فلـم يفـرح، ومَـنْ وصـل إلى بِساط قُربك واشتهى أن يبرح؟!!

واعجبًـا لقلـوبٍ آلـت إلـى غيـرك مـا الـذي أرادت؟! ولنفـوسٍ طلبـت الراحـة هـلَّا طلبـت منـك واسـتفادت!، ولِعـزائمٍ سَـعتْ إلـى مرضـاتك مـا الذي ردها فعادتْ!

---

(234) أي: نتجرأ.

هـل نقصـتْ أمـوالٌ استقرضـتها؟ لا وحقـك بـل زادتْ، سَـبقَ اختيـارك فَبَطُلـتْ الحِيَـل، وجَـرتْ أقـدارُك فـلا يُغيِّرهـا العمـل، وتقـدَّمتْ محبتـك لأقـوامٍ قبـل خلقهـم فـي الأزل، وغَضَـبتَ علـى قـومٍ فلـم ينتفـع عـاملهم بمـا فعـل. فـلا قـوةَ علـى طاعتـك إلا بإعانتـك، ولا حـولَ عـن معصـيتك إلا بمشـيئتك، ولا ملجـأ منـك إلا إليـك، ولا خيـر يُرجـى إلا فـي يـديك، يـا مَـنْ بيـده إصـلاح القلـوب أصـلح قلوبنـا، يـا مَـنْ تتصـاغر فـي عفـوهِ الذنوب ُاغفر ذنوبنا.

(8) اللهم إنَّـا قد أتينـاك طـالبين فـلا تَرُدَّنـا خـائبين، لـم نـزل إلـى بـاب جـودك مـائلين، فأصـلح كُـلَّ قلـبٍ قسـا فـلا يلـين، واسـأُلك بنـا منـاهجَ المتقـين، وألبسـنا خُلَـعَ الإيمـانِ واليقـين، بـدروعِ الصـدقِ فـإنهن يقـينٍ[235]، ولا تجعلنـا ممـن يُعاهـد علـى التوبـة ويمـين[236]، واجعلنـا بفضـلك مـن أهـل اليمـين، برحمـةٍ منـك يـا أرحـم الـراحمين، وصـلى الله علـى سيدنا محمـد خاتم النبيين وإمام المرسلين.

(9) إلهـي، لـولا أنـك بالفضـل تجـودُ؛ مـا كـان عبـدُك إلـى الـذنبِ يعـود، ولـولا محبتـك للغفـرانِ؛ مـا أمهلـتَ مَـنْ يبـارزك بالعصـيان، وأسـبلتَ سترك على من أسبلَ ذيل النسيان، وقابلت إساءتنا منك بالإحسان.

(10) إلهـي، مـا أمرتنـا بالاسـتغفار إلا وأنـت تريـدُ المغفـرة، ولـولا كرمـك مـا ألهمتنـا المعـذرة، أنـت المبتـدئ بـالنوَال قبـل السـؤال، والمُعطـي مـن

---

(235) من الوقاية.

(236) أي: ثم يخلف وعده.

الإفضـــال فـــوق الآمـــال، إنَّـــا لا نرجـــو إلا غفرانـــك، ولا نطلـــبُ إلا إحســانك، أدعــوك بلســان أملــي لِمَــا كَــلَّ[237] لســانُ عملــي، إن أطعتــك رجوتُ إحسانك، وإن عصيتُك رجعتُ إليك طالبًا غفرانك.

(11) اللهــم إنَّــا نســألك برحمتــك التــي ابتــدأتَ بهــا الطــائعين حتــى قــاموا بطــاعتهم أن تمُــنَّ علــى العاصــين بعــد معصــيتهم، فإنــك المحســنُ بادئًــا وعائدًا يا كريم:

أجَلّ ذُنُوبي عِنْدَ عَفُوكَ سَيِّدِي حَقِيـرٌ وَإِنْ كانَـتْ ذُنُـوبي عَظَائِمَـا

وما زِلْتَ غَفَّـارًا وَمَـا زِلْـتَ رَاحِمًـا وَمَـا زِلْـتَ سَـتَّارًا عَلَـيَّ الجَرائمَـا

لئن كُنتُ قَدْ تَابَعتُ جَهْلِي فِي الهوَى وَقَضَـيْتُ أَوطَـار البطالـة هائمَـا

فهـا أنَـا قَـدْ أَقْـرَرْتُ يَـا رَبِّ بِالَّـذِي جَنَيْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ حَيْرَانًـا نَادِمَـا

****

(12) إلهي، أنت المحسنُ وأنا المسيء، ومِنْ شأن المحسنِ إتمام إحسانه، ومِنْ شأن المسيء الاعتراف بعدوانه، يا من أمهل وما أهمل، وسترَ حتى كأنه قد غفر، أنت الغني وأنا الفقير، وأنت العزيز وأنا الحقير. اللهم انظر إلينا نظر الرضا، ونجنا من ديوان أهل الجفا، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا، وارزقنا على عهدنا حسن الوفا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

---

(237) أي: تعب.

(13) إلهي، لك بهاءُ الجلالِ فى انفراد وحدانيتك، ولك سلطانُ العزِّ في دوام ربوبيتك، بَعُدَتْ على قُربك أوهامُ الباحثين عن بلوغ صفاتك، تَحيَّرتْ ألبابُ العارفين في جلالك وعظمتك.

(14) إلهي، مَنْ أطمَعنا في عفوك وجودك وكرمك، وألهمنَا شُكر نَعمَائك، وأتى بنا إلى بابك ورغَّبنَا فيما عددتهُ لأحبابك، هل ذلك كله إلا منك، دَلَلتنَا عليك وجئتَ بنا إليك؟

إليكَ جئنا وأنت جئتَ بنا ... وليس شيء سواك يُغنينا

بابك رحبُ فناؤُهُ كَرمُ ... تؤوي إلى بابك المساكينا

إلهي، الصبر جميلٌ إلاَّ عنك، والأسفُ قبيحُ إلا ما فات منك:

إن رفعتُ إِلَيْكَ قِصةَ حائرٍ ... وَرَجَوْتُ فَضْلَكَ عِندَ آخِرِ قِصتي

لا فرَّج اللهُ الصَّبَابَةَ وَالهَوَى ... عنِّي وَلَا زَالَتْ عَلَيْكَ محبتي

(15) إلهي، عوَّدتني كريم نوالك عند سؤالك، وأطمَعْتَنَي في كثرة إفضالك بنيل إقبالك، سألتُك فأعطيتني فوق منالي، كم رجوتُك فحققتَ رجائي:

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ ... عَلَيَّ فَمَا يَنفَعُك أَنْ يَتَفَرَّجَا

وَرُبَّ فتى سُدَّتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ ... أَضَاءَتْ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مخرجَا

(16) إلهي، أسكَرَتني الآمالُ حتى أنسَتَنِي هجومَ الآجال. إلهي أنت أعلمُ بي مني فبكمال جودك تجاوز عني.

مَالِكَ قلبي لا بد مِنْكَ وَإِنْ أَوْحَشَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الزَّلَلُ

عالمَ سرِّي، أنا الغريقُ فخُذْ كَفَّ غريقٍ عليك يَتَّكِلُ

(17) إلهي، مَنْ لم تَجبُرَ كسرَهُ ما أطول فقرهُ، مَنْ لم تُنعشهُ مِن كُربته مات بشقوته، وَا خيبةَ مَنْ طردتهُ عن بابك، وَا حسرةً مَنْ أَبعدتهُ عن طريق أحبابك. إلهي، إن كانت رحمتك للمحسنين فإلى أين تذهبُ آمال المذنبين.

يا مَنْ يُجيبُ دُعا المُضطرِ في الظُلَمِ يا كاشِفَ الضَرّ والبلوَى مَع السَقَمِ

قَد نامَ وفدُكَ حَولَ البَيتِ وانتبهوا وأنتَ يا حيُ يا قَيُوم لَم تَنَمِ

أدعوكَ رَبي حَزينًا هائِمًا قَلِقا فارحَم بُكائيَ بِحق البَيتِ والحَرَمِ

إن كانَ جُودكَ لا يَرجُوهُ ذو سَفَهٍ فمَنْ يَجُود على العَاصِينَ بِالكَرَمِ

(18) اللهم جَمِّلنا بسترك، واعف عنا بكرمك، وعاملنا بلطفك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. إلهي، إن كنَّا مقصرين في حفظ حَدِّك والوفاء بعهدك، فأنت تعلمُ صِدقَنا في رجاء رفدك وخالص ودك، يا مَنْ ظَهَرتْ معرِفَتهُ للقلوبِ فلا يخفى وجودهُ، وعمَّ الخلائقَ كرمهُ وجودهُ.

(19) يا أول فلا بداية لأزليته، يا آخر فلا نهاية لأبديته، يا ظاهر بما أبدع من أفعاله، يا باطنُ فالعقولُ عاجزةٌ عن وصف كماله، يا

قدوسُ فلا شبيه له، يا واحد لا شريك له، خَلَقتنَا مسلمين فسلِّمنا من عذابك، وجعلتنا مؤمنين فأمِّنَا من عقابك، أعطيتنا الإيمان قبل السؤال وهو أفضل ما تعطيه من النوَال، والكريمُ لا يرجعُ في هِبَتِهِ، والغنيُّ لا يعودُ في عطيتهِ.

إلهي، حُجتي حاجتي ووسيلتي فاقتي:

كفاني سَبقُ علمك به كفاني وحسبي مِنْ سِوَائِكَ أَنْ تَرَانِي

وَلِي فِي كُلِّ وَقتِ مِنكَ سِرٌّ يُبَشِّرُ بِالأمانِ وبالأماني

(20) اللهم إنك قبلتَ الوفاء من السحرة، حين ذكروك مرة، وسجدوا لك سجدة، وإنَّا لم نزل مُقرِّين بربوبيتك، معترفين بوحدانيتك، ما سجدنا قط إلا بين يديك، ولا رفعنا حوائجنا إلا إليك.

(21) اللهم ارحم عبادًا غرَّهم طولُ إمهالك، وأطمعهم دوامُ إفضالك، وَمَدُّوا أيديهم إلى كرم نوالك، وتيقنوا أن لاغنى لهم عن سؤالك.

(22) إلهي، جُد علينا بفضلك، وتغمدنا برحمتك، وداركنا بلطفك، وعاملنا برأفتك، ووفقنا لخدمتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(23) إلهي، أين يذهبُ عنك مَنْ لا يجدُ بُدًّا منك؟ وكيف لا يعتمد عليك مَنْ كُلُّ أمورهُ في يديك. إلهي ذنوبنا لها غاية، وكرمك لاغاية له.

(24) إلهي، إن كنَّا لا نقدرُ على التوبة فأنت تقدر على المغفرة، إلهي قد أطعناك فى أكبر الطاعات (الإيمان بك والافتقار إليك)، وتركنا

أكبر السيئات (الشرك بك والافتراء عليك)؛ فاغفر لنا ما بينهما ولا تخجلنا بين يديك.

(25) إلهي، إنَّ ذنوبنا صغيرةً فى جنب عفوك، وإن كانت كبيرةً في جنب نهيك. إلهي، لو أردت إهانتنا لم تهدنا، ولو أردت فضيحتنا لم تسترنا، فتمم اللهم ما به بدأتنا، ولا تسلبنا ما به أكرمتنا:

يا مَنْ كَسَى قَلبي مِنَ الحُبِّ خِل وَآمَنَنِي فِي لُبسِها الدَّهْرَ أَنْ تَبْلَى

أيا عِوضي في كُل سفرٍ وحاضرٍ وَيا خَلَفِي مِنْ كُلِّ مَنْ صَرَمَ الحَبلا

(26) اللهم يا حبيبَ التائبين، ويا سرورَ العابدين، ويا قُرةَ أعيُنِ العارفين، ويا أنيسَ المنفردين، ويا حِرزَ اللاجئين، ويا ظَهرَ المنقطعين، ويا مَنْ حنَّت إليه قلوبُ الصديقين، اجعلنا من أوليائك المتقين، وحِزبك المُفلحين.

(27) اللهم إنا نعبدُك طوعًا، ونعصيك كُرهًا، ونخافك لأنك عظيم، ونرجوك لأنك إله، ونخافك لأنَّا عبيد، فلك حَبَّبْنَا، ولنا خوِّفنا، فارحمنا لكرم الربوبية، ولضعف العبودية.

(28) اللهم إن كانت ذنوبنا فظيعةً فإنَّا لم نرد بها القطيعة. اللهم إنَّا لا نبرحُ عن بابك فلا تُعذبنا بأليم حجابك، نحن إن لم نكن كما أمرتنا، فأنت ذو عز وغِنى، ونحن المساكين إن لم تكن لنا فإلى مَنْ نلتجئ إن صَرَفتَنا؟ إلى أين نذهبُ إن طردتَنا؟ بمَنْ نتوسلُ إن حجبتنا؟ مَنْ يُقبل علينا إن أعرضت عنا؟

تَعَطَّفْ بِفَضْلٍ مِنكَ يا فاطرَ الْوَرَى فَأَنْتَ مَلاذِي سَيِّدِي ومُعيني

لئن أبعَدَتنِي عَنْ حِمَاكَ خَطِيئتي فــإن رجــائي شــافعي ويقينـــي

فظنـــي جَميــلٌ أنَّـــي بِــكَ واثــقٌ وأنَّ جَميــلَ العفــو مِنــكَ يقينـــي

ذَكَرْتُ زَمَانَ الوَصْلِ فِي رَوْضَـةِ الرضا فطالَ حنيني نحـوه وأنينـي

وروَّقْتُ دَمَـعَ العين حَتَّـى كَأَنَها دُمُـوعُ دُمُـوعِي لَا دُمُـوعُ جُفُوني

(29) إلهي، كُلُّ فرَجٍ بغيرك زائل، وكُلُّ شُغل بسواك باطل، السرور بك هو السرور، والسرور بغيرك هو الغرور.

فُهْنَـا بـذكرك والظلمـاءُ عاكفـةُ فكـانَ ياسَـيدِي أَحلَـى مِـنَ السَّـمَرِ

يَا مَنْ إِذَا قُلْتُ يَـا مَنْ لا نظير لَـهُ فِـي عِزِّهِ قِيلَ لِـي يَـا أَصْدَقَ الْبَشَـرِ

عَـوَّدتني الطَّـوْلَ وَالْإِحْسَـانَ يَـا أَمَلِـي فَـامنُن بِجُـودِكَ يـا سـمعي ويـا بصـري

أَصْبَحْتُ فِـي حَيـرَةٍ لَا أَرْتَجِـي سَبَبًا مَـنْ أرتجيـهِ وقلبـي مِـن سِـوَاكَ بَـرِي(238)

(30) إلهـي، كيـف ينقطـعُ إلـى خـدمتك مَـنْ وجـد كمـال سـروره فـي نعـيم حضرتك؟

(238) أي: قلبي بريء من التعلق بسواك.

بُشـرَى قُلُـوبٍ أَنـتَ غَايَـةُ شُـغْلِها　　يـا كُـلَّ مطلـوبي وَحامِـلَ كُلِّهـا

وَإِذَا الرِّقَـابُ تَوَاضَـعَتْ وَتَـذَلَّلَتْ　　مِنَّـا إِلَيْـكَ فَعِزُّهَـا فِـي ذُلِّهَـا

العجب ممن يتذلل للعبيد وهو يجدُ مِن مولاه ما يريد! والمغبونُ مَنْ خضع الخلقُ في طلب حاجته، ولو رجع إلى مولاه تُكفَاهُ مهماته:

خُضُوعِي لِشَيْءٍ غَيْرِ عِزكَ بَاطِلُ　　وَحُبي لِشَيْء غَيْرِ وَجْهِكَ ضائِعُ

وإنـي لَأَرْجُـو الفَضْـلَ حَتـى كَـأنِي　　أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنّ مَـا أَنـتَ صَـانِعُ

(31) إلهي، أنت ملاذُنا إن ضاقت الحِيَل، وملجؤنا إذا انقطع الأمل، بذكرك نتنعم ونفتخر، وإلى جودك نلتجئ ونفتقر، فبك فخرُنا وإليك فقرُنا.

(32) إلهي، كيف ترُدَّنا الذنوبُ عن سؤالك، ونحن الفقراءُ إلى نوالك؟ ها نحن قد أنخنا ببابك، فتعطّفْ علينا مع أحبابك. كفانا عزًا أن نكونَ لك عَبيدًا، وكفانا شرفًا أن تكون لنا ربًّا.

(33) إلهي، أنت الملكُ الحقُ المبينُ النورُ الهاديُ القويُ المتين، عرَّفتنا بربوبيتك وغرَّقتنا في بحار نعمتك، ونعَّمتنا بذكرك وأنسك، ودعوتنا إلى دار قُدسك؟

(34) إلهي، إن نظرنا إلى فضلك فالعجب ممن هلك كيف هلك! وإن نظرنا إلى عدلك فالعجب ممن نجا كيف نجا!

(35) إلهي، كيف يصبرُ عن قُربك مَنْ وجدَ طعم حبك؟

(36) إلهي، إن حاسبتنا بفضلك نلنا رضوانك، وإن حاسبتنا بعدلك لم ننل غفرانك.

(37) إلهي، كيف أرجوك وأنا أنا، وكيف لا أرجوك وأنت أنت.

مَا زِلْتُ أَغْرَقُ فِي الْإِسَاءَةِ دَائِبًا   وَتَنَالُنِي بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

لَمْ تَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ وَزِدْتَنِي   حَتَّى كَأَنَّ إِسَاءَتِي إِحْسَانُ

تُوَلِي الْجَمِيلَ عَلَى الْقَبِيحِ كَأَنَّمَا   يُرْضِيكَ مِنِّي الزُّورُ وَالْبُهْتَانُ

وَكَأَنَّنِي بِالذَّنْبِ أَلْتَمِسُ الرِّضَا   إِذْ لَمْ يُضِرْ بِي عِنْدَكَ الْعِصْيَانُ

(38) إلهي، إن كنَّا لا نقدرُ على ترك ذنبٍ كتبتهُ علينا فأنت تقدر على مغفرته لنا.

(39) إلهي، أنت تعلم بالحال من قبل الشكوى، وأنت قادرٌ على تحقيق الأمال وكشف البلوى.

(40) اللهم يا مَنْ ستر الزلاَّت وغفر السيئات، وأبدلها حسنات، أجرنا من مكرك وزيِّنا بذكرك، واستعملنا بأمرك، ووفقنا لشكرك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

<u>وبين صفحات كتاب طهارة القلوب تجد هذه الأدعية أيضًا:</u>

(41) إلهـي إِن ظُلمَـةَ ظُلمِنَـا لأنفسـنا قـد عَمَّـتْ، وبحـارُ الْغَفْلَـة علـى قُلُوبنَـا قد طمَّـتْ، فـالعجز شَـامل والحصـر حَاصـل وَالتَّسْلِيم أسـلم وَأَنـت بِالْحَـال أعلم.

(42) إلهـي مَـا عصـيناك جهـلًا بعقابـك، وَلَا تعرُّضًـا لعـذابك، وَلَكِـن سَـوَّلت لنـا نفوسـنا، وأعَانَتنَـا شِـقْوَتنَا، وغَرَّنَـا سِـترك علينـا، وأطمعنـا فِـي عفـوك بِـرُّك بِنَـا، فَـالْآن مِـن عـذابك مَـنْ يسـتنقذُنا، وبحبـل مَـنْ نعتصـمُ إِن قطعـتَ حَبلَـكَ عَنَّـا، وَا خجلتنـا مـن الْوُقُـوف غَـدًا بَـين يَـديك، وَا فضـيحتنا إِذا عُرِضتَ أَعمَالُنَا القبيحةُ عَلَيْك.

(43) إلهـي إِن كُنَّـا عصـيناك بِجَهْـل فقـد دعونـاك بعقـل، حَيْـثُ علمنَـا أَن لنـا رَبًّـا يغْفـر الـذُّنُوب وَلَا يُبَـالِي. اللَّهُـمَّ اغْفِـر مَـا علمـت وَلَا تهتـك مَـا سترت.

(44) إلهـي، لـيس يبكينـي اليـوم ذنـب وإن عظـم، وإنمـا يبكينـي حـالتي التـي لا أدرى كيـف أنـا بهـا عنـدك. إلهـي، العيـاذ بـذكرك مـن مكـرك، والاسـتعانة علـى قـدرك بقـدرك، لا تُبـلْ قلبـي بـالفراق، فإنـه يـا رب أضعف من بَلِيَ بفراق.

(45) اللهـم اجعـل الإيمـان لنـا سـراجًا ولا تجعلـه لنـا اسـتدراجًا، اجعلـه لنـا سُـلَّمًا إلـى جنتـك، ولا تجعلـه مكـرًا إلـى مشـيئتك، إنـك أنـت الحلـيم الغفور، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(46) اللهـم يـا ذا الجـلال والإكـرام، يـا عزيـز لا تحـيط بجلالـه الأوهـام، يـا مَـنْ لا غِنـى لشـيء عنـه، يـا مَـنْ لا بـد لكـل شـيء منـه، يـا مَـنْ رِزقُ كـل شيء عليـه ومصـيرُ كـل شـيء إليـه، يـا مَـنْ يُعطـي مَـنْ لا يسـأله، ويجـودُ

علـى مَـنْ لا يؤملــه، هــا نحــن عبيــدك الخاضــعون لهيبتــك، المتــذللون لعــزك وعظمتــك، الراجــون جميــل رحمتــك، أمرتنــا ففرّطنــا ولــم تقطــع عنــا نعمتــك، ونهيتنــا فعصــينا ولــم تقطــع عنــا كرمــك، وظلمنــا أنفســنا مــع فقرنا إليك فلم تقطعنا مع غناك عنا يا كريم.

(47) إلهـــي، رُدَّنـــا إليـــك بفضـــلك ورحمتـــك، ووفقنـــا للإقبـــال عليـــك والاشــتغال بخــدمتك، واغفــر لنــا ولوالــدينا ولجميــع المســلمين، وصــلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(48) اللهـم اجعـل فـي قلوبنـا نـورًا نهتـدي بـه إليـك، وتولنـا بحسـن رعايتـك حتـى نتوكـل عليـك، وارزقنـا حـلاوة التـذلل بـين يـديك. فـالعزيز مـن لاذ بعـزك، والسـعيد مـن التجـأ إلـى حمـاك وجـودك، والـذليل مـن لـم تؤيـده بعنايتـك، والشـقي مَـنْ رضـي بـالإعراض عـن طاعتـك، والحُكـم حُكمـك فما تغني الحِيل، والأمر أمرك، فإليك تحقُّقُ الأمل.

(49) اللهـم نـزه قلوبنـا عـن التعلـق بمـن دونـك، واجعلنـا مـن قـوم تحـبهم ويحبونــك، اغفــر لنــا ولوالــدينا ولجميــع المســلمين، وصــلى الله علــى ســيدنا محمــد وعلــى آلــه وصــحبه وســلم تســليمًا كثيــرًا، والحمــد لله رب العالمين.

(50) إلهـي إن قلوبنـا موقنـة بصـدق مـا وعـدتَ، ونفوسـنا طامعـة بحسـن مـا عَـوَّدت، ألهمتنــا معرفــة وجــودك، وعاملتنــا بكرمــك وجــودك، وزينتنــا بصــدق توحيــدك، وأنطقتنــا بتمجيــدك وتقديســك وتحميــدك، وأكرمتنــا بتصـديق محمـد خيـر خلقـك صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وصـحبه وسـلم، وجعلــت حقــهُ علينــا أعظــم الحقــوق بعــد حقــك، اللهــم حسِّــن إيماننــا

بالتوفيق، وزيِّن سرائرنا بالتحقيق، واحمنا من المخالفة والعصيان، واكفنا عن آفات الإعراض والتفريط والنسيان، كما حميتنا بكرمك من دواعي الفكر الموبقة، ونفحات البدع المحرقة، أنت العلي العظيم المتعال الكبير الأكبر المتكبر ذو العز والجلال والكرم والمجد والكمال، تَحيَّرت العقول في وصف جلالك، وعجزت الأفهام عن الإحاطة بكمالك، فأنت مع جبروتك وعزَّتك تَجبُر الكَسير وترحم الفقير برحمتك، وتعز الذليل الحقير إذا لاذ بجنابك، وتغني السائل المسكين إذا وقف ببابك، فأنت الملك الأعظم، والمولى الأكرم، وها نحن وقفنا ببابك وأنت أعلم، ليس في قلوبنا أحد نرغب إليه رغبتنا إليك، ولا لنا ركن نعتمد عليه اعتمادنا عليك، وقد اعترَفتْ نفوسنا بالإساءة وانقطاع الحِيَل، ووثقت قلوبنا بجميل الرجاء وحسن الأمل.

(51) إلهي تفضَّل علينا بالقبول والإجابة، وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة، واجعلنا ممن رجع إليك فأكرمت مآبه، يا من أمد بعنايته أولياءه وأحبابه.

(52) إلهي، أدعوك إقرارًا بذل العبودية، وأنت تجيبني اختيارًا بكرم الربوبية، يا أكرم من سمح بالنوال، وأرحم من جاد بالإفضال، أيقِظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك، وألحقنا بالذين أنعمت عليهم في دار رضوانك، وارزقنا ما رزقتهم من نعيم قربك، ولذة مناجاتك وصدق حبك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين.

(53) إلهي، عبدك واقف ببابك فأجره من عذابك، إلهي عبدك الضعيف ببابك فلا تذقه أليم حجابك، إلهي قد أمرتنا بالتجاوز عن المسيء فتجاوز عن إساءتنا بجميل كرمك، ولا تقطع عنا عوائد نِعَمك.

إليك جئنا وأنت بنا — وَلَيْسَ شَيء سواك يغنينا

بابُكَ رَحْبٌ فَنَاؤُهُ كَرم — تُؤوى إلى بابك المساكينا

(54) إلهي، ما ضرنا مَنْ ردنا إن أنت قبلتنا، ولا نبالي بمن سخطنا إن أنت رضيتنا، إليك توجهنا، وببابك نزلنا، وبحماك أنخنا، ولمعروفك تعرضنا.

(55) إلهي، أنت الملك الكريم، وكل معبود سواك باطل، إليك رغب القاصدون وابتغوا إليك الوسائل. مولاي تعطَّف ها عبدك خاضع وسائل، إحسانك واسع عميم، لا يُنقص جودك المسائل، فيك تَوَلَّه القاصدون فاللسان كليلُ والعقل داهش ذاهل. ما أسعدَ مَنْ قطعتهُ عنه إليك، وما أطيب مَنْ خلوتهُ بين يديك.

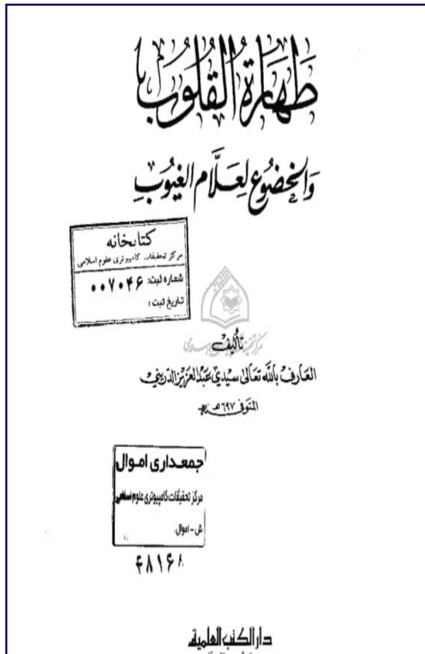
(56) مولاي سرائري وشكواي لديك فاعطف كرمًا، فقد توكلت عليك أنت الملك المالك. تعطي وتمنع وتضر وتنفع وتخفض وترفع وتعز وتذل وتهدي وتضل وتولي وتعزل وتكشف وتسبل. إذا مس العباد ضرٌ فزعوا إلى بابك وتوسلوا إليك بأحبابك، وها نحن بالباب واقفون وبكرم جودك عارفون، نشكو إليك مرض القلوب، فأنت ممرضها ومعافيها، ونسألك دواء الغفلة، ونستعينك على إصلاح النفوس، ونلتجيء إليك في دفع شرها.

الفصل الثالث: قراءة في مؤلفات الدريني

طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب

يُعد هذا الكتاب من أشهر مؤلفات الإمام الدريني، وهو كتاب يدور محتواه حول الجانب التربوي في تعديل سلوكيات المسلم مع رب العزة سبحانه وتعالى، يدعو إلى تطهير القلوب وتزكية النفوس من كل قبيح وتحليتها بكل صحيح، فهو كتاب تربوي أخلاقي من العيار الثقيل.

يشمل ثلاثين فصلًا، في موضوعات سلوكية تربوية صوفية مختلفة، مثل:



الإيمان بالله وأثره في النفس، والثناء على الله وفضله ودوره في التهذيب، وقضية الذكر والفكر والخوف والرجاء والإنابة والمراقبة والتوبة والتقوى والاصطبار والدعاء والأسف والحذر والدعوة والافتقار إلى الله والتشمير والفرار والمحبة .... وذِكْر النبي صلى الله عليه وسلم، وفضل الأمة المحمدية، وما يتعلق بالقيامة ومقدماتها.....

وتكلم فيه عن: الاجتهاد، وليلة القدر، والفرح، ووداع رمضان، والعيد، وذكر فضيلة العمل في عشر ذي الحجة، والوعيد، والجنة، وذكر آدم، .....إلخ.

وهو في الحقيقة كتاب ماتع، بسيط الإسلوب، كثير الفوائد، متنوع المقاصد، متعدد الجوانب، يدعو إلى الموسوعية في فهم النص من أدلته التفصيلية، كثير الاستشهاد بالآيات والأحاديث والآثار النبوية.

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب لمكانته بين الكتب، أثنى عليه العلماء الأكابر أمثال: الأدنه وي الرومي[239]، والسبكي[240]، وابن قاضي شهبة[241]، والداوودي[242]، وغيرهم ... بأن هذا الكتاب: « **كتاب حسن فِي التصوف**».

ابتدأهُ الدريني بمقدمة جامعة ونافعة، فيها خلاصة كل ما احتواه الكتاب من موضوعات، افتتح هذه المقدمة بالحمد والثناء لله فقال:

«أحمدُ الله الذي تفرَّد قبل وجود اللغات بالأسماء الحسنى، وتوحَّد في محامد الصفات بالمجد الأسنى، الذي وَلَهَ القاصدون إليه رغبة وطلبًا، وتَوَلَّه بذكره الواجدون شوقًا وطربًا، وتأله لجبروته العابدون عبودية ورقًّا، وتفرَّد بأوصاف الإلوهية فهو المعبود حقًّا، الأول الأزلي بلا بداية، المتفضل أولًا بالعناية، الآخر الأبدي الباقي الدائم بلا نهاية، المتفضل آخرًا بالغفران والإحسان والكفاية والرعاية، المَلِكُ القادر على الإيجاد والاختراع، المالك المتصرف فليس لحكمه دفاع، القدوس البريُّ عن الآفات، السبُّوح المنزه المُسبَّح بجميع

---

(239) طبقات المفسرين للأدنه وي الرومي ص257.

(240) طبقات الشافعية للسبكي (8/ 200).

(241) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (2/ 182).

(242) طبقات المفسرين للداوودي (1/ 312).

اللغـات، السـلام السـالم مـن نقـائص المخلوقـات، المتفضـل بالسـلامة والسلام على الذين آمنوا وعملوا الصالحات........إلخ».

ثم تحدث سيدنا الإمام الشيخ عبد العزيز الدريني عن رؤيته للكتاب وهدفه منه، فقال في مقدمته: «هذا كتاب فيه فصول يتذكر بها من أصغى إليها بسمع قابل، وينتفع بها مَنْ كان قلبه روضة يصيبها الطَّل والوابل، جمعتها ما بين آيات مفسرة وأخبار مسندة مؤثرة، وخطب وعظية مبتكرة وكلمات منقولة عن السلف الصالحين، ونظم ونثر من كتب الأئمة العاملين وسميته كتاب: طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب».

وأما عن سبب تسميته للكتاب بهذا الاسم، فيقول:

«وإنما سميته بهذا الاسم؛ لأني لَمَّا أكملتهُ رأيته في المنام، وهذا الاسم مكتوب عليه بخط غليظ، فسميته بذلك».

وهذا الكتاب طُبع بحمد الله أكثر من مرة[243]، وهو كتاب غني بالأحاديث وآثار الصحابة والسلف الصالح، ومتعدد الجوانب العلمية والتربوية، يحوي الكثير من القصائد الدينية، وفي آخره فصل كامل

---

(243) طبعة بولاق - القاهرة 1878م. & طبعة مصر، عدة مرات (1886م - 1889م - 1910م - 1953م). & طبعة المكتبة الشعبية - بيروت 1928م. & طبعة دار القلم - بيروت 1990م. (خرَّج آياته وضبطه إبراهيم رمضان). & طبعة دار الفجر للتراث - القاهرة 2003م. & طبعة دار القلم العربي - حلب 2003م. تحقيق د. محمد حسني مصطفى.

يضم عدد من أدعية ومناجات سيدي عبد العزيز الدريني لربه سبحانه وتعالى.

***

وهذه مجموعة من الاقتباسات الواردة في هذا الكتاب:

- يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ هي كلمة لا إله إلا الله، أما (كَشَجَرَةٍ طيبة) فهي النخلة (أصلها ثابت) كما أن أصل التوحيد مستقر في القلب (وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ) أي صاعد في العلو، وكذلك فرع الإيمان العمل الصالح والإحسان، والعمل الصالح يصعد إلى السماء. قال الله تعالى (وَالْعَمل الصالح يرفعه) والنخلة لا يسقط ورقها، والمؤمن لا يتغير إيمانه باختلاف أهواء أهل الباطل. والمؤمن شريف المؤنة كالنخلة، والنخلة إذا فرَّعت فَرَعت وإذا فَرَعت أثمرت، والمؤمن إذا أُدب تأدب، وإذا هُذب تهذب.

- المؤمن خفيف المؤنة كالنحلة إذا وقعت على عود لم تكسره وهي تأكل طيبًا ويصدر عنها طيب. والمؤمن يأكل حلالًا فيصدر عنه صالح الأعمال. النحلة لعابها صافٍ وشرابها شافٍ، والمؤمن رؤيته شفاء، وموعظته دواء، يُنتفع برؤيته قبل روايته، وخيره بادر وشره نادر.(244)

(244) صفحة 12- 13 من طهارة القلوب.

- قال في معنى قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) أي: اذكروني بخدمتي أذكركم بنعمتي، اذكروني بالتوحيد أذكركم بالتأييد، اذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد، اذكروني بالمحبة أذكركم بالقربة، اذكروني بالخوف أذكركم بالأمان، اذكروني بالرجاء أذكركم بتحقيق الآمال.[245]

- ذكر في تفسير قوله تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَاب لكل باب مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) قال: أي سبع طباق بعضها فوق بعض، بين كل طبقتين مسيرة سبعين سنة. فالأولى جهنم لعصاة المسلمين، والثانية لظى تتلظى أي تتلهب فتنزع الجلود، ثم تحتها الحطمة تحطم أهلها فتسحقهم سحقًا، ثم تحتها السعير تُسعَر فيأكل بعضها بعضا، وتحتها سقر تذيب الجلود واللحوم، ثم تحتها الجحيم ومعناه الجمر الغليظ، وتحتها الهاوية مَنْ دخلها لم يستقر فيها ولكنه يهوى فيها أبدا، فأول ما تمتلئ الهاوية ثم التي فوقها حتى تمتلئ كلها.[246]

- التوبة هي الحياء العاصم والبكاء الدائم.

ويقال: التوبة الندم على ما فات وإصلاح ما هو آت.

ويقال: التوبة قود النفس إلى الطاعة بخطام الرغبة وردّها عن المعصية بزمام الرهبة.

---

(245) صفحات 24-25.

(246) صفحة 68.

وقيـل: التوبـة أن يعلـم العبـد جراءتـه علـى الله تعـالى ويـرى حلـم الله تعـالى عليـه، حيـث لـم يـأذن لـلأرض أن تخسـف بـه، أو النـار أن تحرقـه بمـا عمـل مـن المعاصـي، ثـم يتـوب مـن الـذنوب، ويعـزم أن لا يرجـع إليه كما لا يرجع اللبن إلى الضرع.

ويقال: التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ.

ويقال: التوبة نار فى الكبد تلهب وصدع في القلب لا ينشعب.

ويقال: التوبة خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء.(247)

- واعلـم أن المعاصـي علـى قسـمين: تَـرك فريضـة أو فعـل مُحـرَّم، وأولهـا معصـية إبلـيس فإنهـا تـرك فريضـة، أُمـر بالسـجود فلـم يسـجد. ومعصية آدم نهـي عـن أكـل الشـجرة فأكـل. ثـم تنقسم إلـى مـا هـو حـق لله تعالى وإلـى مـا هـو حـق للآدمـي. ثـم تنقسـم مـن حيـث أصـولها إلـى أربعة: ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية

فالربوبيــة: التشـبيه بأوصـاف الـرب سـبحانه وتعـالى، فـإن العظمـة والكبريـاء والرفعـة والعـز والغنـى والقهـر والاسـتيلاء صـفات الـرب سبحانه وتعـالى، فمـن تشـبه بهـا مـن الخلـق فتكبـر وتجبـر وطلـب الرفعـة والعلو والغنى والاستيلاء على الخلق فقد نازع الربوبية حقها.

والشـيطانية: التشـبه بالشـيطان، ومـن صـفاته الحسـد والبغـي والحيلـة والخداع والغش والنفاق والدعوة إلى المعاصي والبدع والضلالة.

---

(247) ص 107.

والبهيمية: الشَّرهُ والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتشعب الزنا والسرقة وأكل مال اليتيم وجمع الحرام لقضاء الأوطار.

والسبعية: الغضب والحقد ومنها يتشعب القتل والضرب وإيذاء الخلق.

وأول ما يستولى على الإنسان البهيمية، فإذا كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية، فإذا قويت فكرته ولم يوفق استعمل عقله في السُكر والخداع والصفات الشيطانية، ثم يدخل عليه منازعات الربوبية، يقول الله تعالى: «العَظَمَةُ إِزَارِي وَالكبرياء ردائي مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ»، تم تنقسم الذنوب على قسمين بالنظر إلى ضررها وإثمها، فالكبائر تُغفر بالتوبة، والصغائر تغفر بالصلوات ونحوها كما ورد.[248]

- الرجاء هو حسن الظن بالله في قَبول طاعة وُفِّقْتَ لها أو مغفرة سيئة تبت منها، أما الطمأنينة مع ترك الطاعات والإصرار على المخالفات فأمن وغرور.[249]

***

---

(248) ص 108.

(249) ص 96.

المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى

هو كتاب في شرح أسماء الله الحسنى، شرحًا تربويًا روحانيًا، يجلُّ عن المثيل، لسيدي الإمام عبد العزيز الدريني رضي الله عنَّا وعنه.

يتميز الكتاب ببساطة الإسلوب، وتنظيم العرض، وإيجاز الشرح، مع التأصيل العلمي المنهجي، جَمعَ فيه بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، في إطار الاستدلال بالآيات والأحاديث وقول السلف الصالح.

افتتحه بمقدمة وجيزة كما هو معهود في كتابات علماء الإسلام، أن يبدأ الكتاب بالحمد والثناء والشكر لله ثم الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن كل شيء لا يبدأ باسم الله فهو أبتر وأقطع لا بركة فيه.

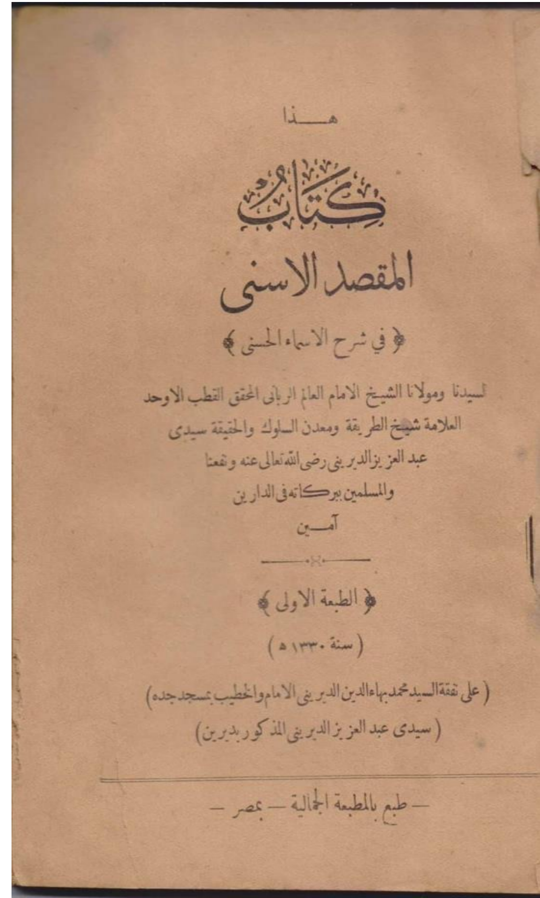
فافتتحه رضي الله عنه بقوله:

«الحمد الله العلي العظيم، الولي الكريم القادر العليم، الفاطر الحليم، هو الله، الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الأول الذي لم يزل عليًا كبيرًا، الآخر الذي لم يزل غنيًا قديرًا، الذي لم يتخذ ولدًا ولا معينًا ولا وزيرًا. الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش فاسأل به خبيرًا، الظاهر الذي أظهر أدلته بآياته للعقول ظاهرة، والباطن الذي حجب الأوهام عن إدراك صفائه فهي عن الفكر فيه قاصرة، الذي رفع السماء وزينها بالشمس والقمر والنجوم الزاهرة، ووضع الأرض وحسنها بالأنهار الجارية

والرياض الناضرة، هو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة، الملك الذي ليس له صاحب ولا مشير، القدوس الذي ليس له شبيه ولا نظير، السلام المنزه عن الزوال والتغيير، المؤمن الذي شهد لنفسه بالوحدانية، العزيز الذي لا منازع له في التصريف والتدبير، الجبار الذي يقهر المتجبر ويجبر الكسير، المتعالي عن التكيف والتحديد والتقديم والتأخير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

أحمده على جميل رفده، وأعوذ به من إبعاده وصَدِّه، وأستجير بقربه من بعده، وبوده من رده، وأسأله التوفيق للقيام بأمره، والوفاء بعهده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عزه ومجده، تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده.........إلخ».



هــذا

كتاب

المقصد الاسنى

﴿ في شرح الاسماء الحسنى ﴾

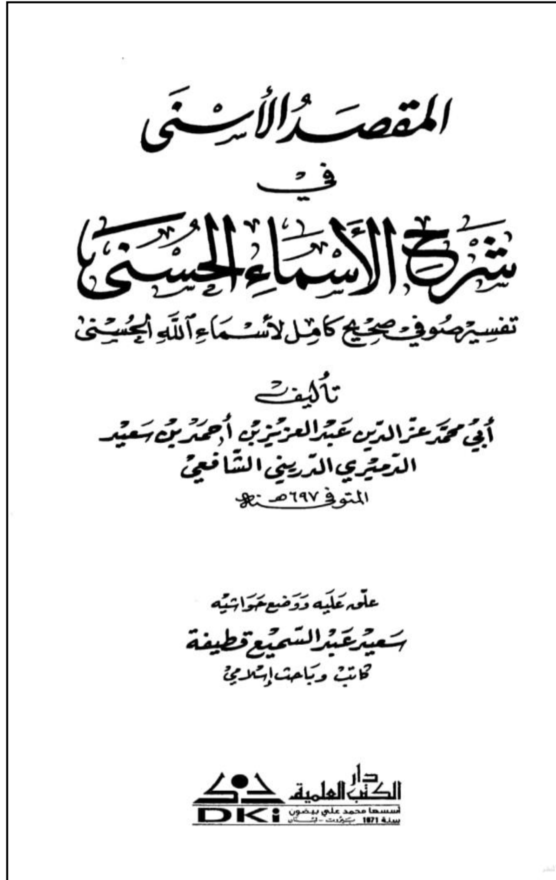
لسيدنا ومولانا الشيخ الامام العالم الربانى المحقق القطب الاوحد
العلامة شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة سيدى
عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى عنه ونفعنا
والمسلمين ببركاته فى الدارين
آمــين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(سنة ١٣٣٠ هـ)

(على نفقة السيد محمد بهاء الدين الديرينى الامام والخطيب بمسجد جده
(سيدى عبد العزيز الديرينى المذكور بديرين)

ـ طبع بالمطبعة الجمالية ـ بمصر ـ



المقصد الأسنى

في

شرح الأسماء الحسنى

تفسير صوفي صحيح كامل لأسماء الله الحسنى

تأليف

أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن أحمد بن سعيد
الدميري الديريني الشافعي
المتوفى ٦٩٧ هـ

علق عليه ووضع حواشيه

سعيد عبد السميع قطيفة
كاتب وباحث إسلامي

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
DKI

ثم تحدث عن مادة الكتاب ومحتواه فقال:

«وقد استخرج العلماء من القرآن أسماء كثيرة تزيد على المائتين، وقد استخرتُ الله تعالى أن أجمع في كتابي هذا تفسير الأسماء على

مـذهب أهـل التحقيـق والسـنة. وقـد سـميته (المقصـد الأسـنى، فـي شـرح الأسماء الحسنى) وجعلت تمهيده وترتيبه على عشرة أصول:

الأول: في الأسماء الدالة على وجود الحق سبحانه.

الثاني: في القدم والبقاء.

الثالث: في التنزيه عن المثال والشبه والوالدة والأولاد.

الرابع: في وحدانيته وحمدانيته الأبدية.

الخامس: في الحياة والعلم والسمع والبصر.

السادس: في القدرة الأزليـة.

السابع: في الإدارة.

الثامن: في الكلام.

التاسع: في الملك السرمدي الدائم بلا زوال.

العاشر: في الجلال والكمال.

وذكـرتُ فـي كـل أصـل، شـرح مـا يـدل عليـه مـن الأسـماء إن شـاء الله وبه التوفيق».

***

<u>وإليك بعض مما ذكره الدريني في كتابه:</u>

- الاسـم: مشـتق مـن السـمو، وقيـل مـن السـمة فهـو رفـع للمسـمى ويُعرف به.

وأسماء الله كلها حسنى؛ لِما تدل عليه من صفات الكمال والجلال لله عز وجل. وهي حسنى أيضًا بالنسبة إلى العبد إذا عرفها وذكر الله تعالى بها، وتخلَّق بما تقتضيه معانيها من الأخلاق الجميلة، ليحصل له الصفاء في الأحوال، والإخلاص في الأعمال والصدق في الأقوال، وذخائر الإحسان في المال، وجزيل الثواب، وجميل الإفضال.

***

- **الأسماء تنقسم على ثلاثة أقسام:**

1. أسماء تدل على الذات المقدسة.
2. أسماء تدل على الصفات.
3. أسماء تدل على الأفعال.

وتنقسم من وجه آخر إلى قسمين:

1. أسماء تدل على السطوة والقهر والجلال، فتوجب للعبد الخوف والرهبة.
2. أسماء تدل على الرأفة والكرم والجمال فتوجب للعبد الرجاء والرغبة.

***

- في تفسير قوله تعالى (قل هو الله أحد) قال: ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم، والتعظيم فيه على خمسة أوجه:

الأول: اختصاص الحق سبحانه به فجميع أسماء الله تعالى قد يُسمَّى بها غيره بمعان أخر، إلا اسم (الله) (والرحمن)، ثم إن قومًا من الكفار سموا مسيلمة "رحمان اليمامة"، و لم يتجاسر[250] أحد يسمى باسم الله المعبود سواه، فلا يجوز التسمي به شرعًا، ولم يقع من أحد التسمي به، وهو قوله تعالى (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا).

أي: هل تعلم أحدًا غير الله؟ وقيل: معناه هل تعلم له شبيهًا؟

الثاني: عموم معانيه، وأن جميع معاني الأسماء فيه، وذلك أن تقول: الرحيم هو الله والخالق هو الله، والقادر هو الله ... فيفسر به جميع الأسماء، ولا يُفسر هو بغيره.

وقال بعض أهل الإشارة: إن هذا الاسم إذا سقطت منه الألف، صار (لله)....ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

وإذا سقطت منه اللام الأولى، صار (له)، قال تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾

وإذا سقطت منه اللام الثانية، صار (هو) وهو غاية الإشارة.

الثالث: عظَم ثَوابه؛ لأن أصل الذكر قولك (الله). وفي الحديث عنه «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ».

(250) يتجرأ.

الرابـع: مقارنــة الإجابــة، وروى زيـد أن النبــي ﷺ سـمع رجـلًا يقـول «اللَّهُـمْ إِنِّـي أسْـأَلُكَ بِأَنَّـكَ الله، الـذي لا إِلَـهَ إِلا أَنْـتَ الأَحَـدُ الصَّـمَدْ، الـذي لَـمْ يَلِـدْ، وَلَـمْ يُولَـدْ، وَلَـمْ يَكُـنْ لَـهُ كُفُـوًا أَحَـدٌ» فَقَـالَ لـه «لَقْدَ دَعَـا بِاسْـمِ اللهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِي بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئل بِهِ أعْطِى».

الخامس: عجز العباد عن الإحاطة بمعانيه.

***

- قيـل فــي اسـم (الله) أنــه مشـتق مــن (لاه) أي (عــلا) فمعنــاه العلــي، وهـذا مشـتق مـن (الوُلُـوه) وهـو (التضـرع) فمعنـاه هـو الـذي يُولَـهُ إليـه فـي الحـوائج، ويُقصـد فـي المهمـات. وقيـل: هـو مشـتق مـن (الوَلَــه) وهــو (الطــرب)، فمعنــاه الــذي تطــرب أرواح المحبــين لسماعه.

وقيـل: مـن (التَّولُـه) وهـو (التحيـر) فمعنـاه، الـذي تحيـرت العقـول عـن إدراك عظمته.

وقيل: من (لاَهَ)، أي (دام وبقي) فمعناه الباقي.

وقيـل مـن (الألوهـة)، وهـو مـن (التعبـد) فمعنـاه المعبـود الحـق الـذي لا يستحق العبادة سواه.

***

- الهداية على ثلاث معان:

الأول: الدعاء، ومنه قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ أي: داع بدعوتهم.

الثاني: البيان: ومنه قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: بينا لهم.

الثالث: الإرشاد والتوفيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس 25]

***

- ومَنْ عرف أن الله هو (الصمد) الفعال لِمَا يريد؛ لم يتذلل للعبيد، فإن الله لا مشارك له في رزقه كما أنه لا معين له في خلقه، ومن عرف أن الله تعالى هو الغني تعزز بافتقاره إليه واستغنى بالاعتماد عليه.

ومَنْ غلب على قلبه اسمه تعالى (الظاهر) اشتغل بإصلاح وقته الذي هو فيه، بقطعه عن التفكر في الماضي والمستقبل، وكان اهتمامه شكر مولاه في ما يتحفه به في كل وقت.

ومن غلب على قلبه اسمه تعالى (الباطن) كان مشتغلًا بربه عن وقته، وعن الفكر في حديث نفسه وكل محب مشتغل بحبيبه عن حظه ونصيبه.

***

- من غلب على قلبه اسمه تعالى (الأول) كان غالب فكره في السابقة، فإن العبد لا يدري ما سبق له في علم الله وإرادته، فإن من أقصته القسمة السابقة لم تدنه الخدمة اللاحقة، ومن قعد به جهده لم ينهض به جده، ومن لم يكن له في السعادة الأزلية نصيب لم ينفعه الوجه الأصفر، ولا الكم المقصر، ولا الذيل المشمر، ولا الدمع المقطر؛ لأن أحكام العزيز المجيد لا تتغير باكتساب العبيد، ومن غلب على قلبه اسمه تعالى (الآخر) كان

غالب فكره في خاتمته وحيرته، في إلهام عاقبته، فكم مغرور بصفاء الأوقات، برزت له من فنون الآفات، عظم القوات.

***

من بعض معاني أسماء الله الحسنى في كتاب الدريني:

(1) الصمد: هو السيد الغني الذي يقصده كل واحد، وهو غير محتاج إلى أحد. وقيل: الصمد المريد لأفعاله، فلا يكون إلا ما يشاء.

قيل: (الصمد) ليس بجسم، ولا يُشبه بالأجسام. والصمد في اللغة الذي لا جوف له فهذا يدل على تنزيهه عن الجسمية وعوارضها من الأكل والشرب والنوم وغير ذلك.

وقيل: إن قومًا أتوا إلى النبي الله يسألونه عن الله – عز وجل – ما هو؟ فنزلت سورة الإخلاص (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) أي: قل لهم يا محمد، الإله المستحق للعبادة هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أي: لا نظير له، فالأجسام يجوز عليها الانفصال والاتصال وهي أنواع وأشكال ولها أشباه وأمثال.

وقيل: (الصمد) الباقي الذي لا يزول.

(2) اسمه (**الغني**) هو الذي لا يحتاج إلى شيء من الأكوان، ولا يحدُّه زمان، ولا يحويه مكان، ولا يحتاج إلى أنصار وأعوان؛ لأن كل شيء سواه هو خلقه وملكه، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر 15]

(3) **الحـق**: هـو الموجـود الـذي يلـزم العقـول إثباتـه ولا يسـعها إنكـاره، ووجود الله - عز وجل - واجب، ووجود غيره جائز.

فـلا مشـارك لَـهُ فـي وجـوب وجـوده، والحـق المطلـق بمعنـى الوجـود منـه، كمـا قـال صـلى الله عليـه وسـلم: «أَنـتَ الحَـقُّ، وَقَوْلُـكَ الْحَـقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ».

وقيـل: (الحـق) معنـاه موضِّـح الحـق بالأدلـة ومنـزِّل الكتـاب بـالحق، والحاكم بالحق معناه: ذو الحق.

(4) **المبـين**: أي الظـاهر بالأدلـة، فـلا تخفـى معرفتـه علـى مـن نظـر فـي صـنعته. وقيـل (المبـين): موضـح أدلـة وجـوده ومبينهـا بـين الأدلـة العقليـة، بمـا أبـدع مـن المخلوقـات، وبَـيَّنَ بـإنزال الكتـب مـا يحتـاجُ إليـه الخلـق مـن الأحكـامِ، وَبَـيَّنَ لقلـوب العـارفين بنـور الإلهـام مـا يزيل عنهم ظلمات الإشكالِ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِم بِمَا لَم يَخطُرْ بِبَالٍ.

(5) **النــور**: هــو الظــاهرُ المعــروف، الــذي وضــحت آثــار قدرتــه، وظهرت أدلة معرفته.

ويُقـال: (**النـور**) هـو الـذي نـوَّر السَّـماء والأرض بمـا خلـق فيهـا مـن الأنوار، ونوَّر بمعرفته القلوب والأسرار.

(6) **الأول**: هو القديم الأزلي، الذي ليس لوجوده بداية.

ويقـال: **الأول**: صـانع المخلوقـات، فـأول مـا يسـبق إليـه العقـول السـليمة رؤية فعله وتدبيره.

ويُقال: (**الأول**) هو السابق بالفعل، وهو الذي بدأ الخلق.

(7) الآخر: الذي لم يزل دائمًا باقيًا، ليس لبقائه نهاية.

وقيل: **الآخر**: الذي وصل العقل إلى إثباته، ووقع الاكتفاء به، فلم يطلب معه صانعاً آخر، إذ ليس وراء الله منتهى.

وقيل: هو الذي إليه المرجع والحكم.

(8) الظاهر: الذي لا تدركه الحواس. **والباطن**: الذي لا يُقاس بالناس.

وقيل **الظاهر** : الذي ظهر فقَهرَ. **والباطن**: الذي لا يقصد بالضرر.

وقيل **الظاهر**: مُعطي النِعَم. **والباطن**: دافع النِقَم.

(9) الوارث: أي الباقي بعد فناء خلقه.

(10) القدوس: الكامل على الإطلاق فلا تدركه الأوهام بالتحديد، ولا الأبصار بالتصوير، ولا العقول بالتقدير، ولا يرتقي إلى تصويره وَهْم، ولا يطمع في جواز تقديره فهم، تاهت العقول ققار الحيرة عن الإحاطة بصمديته، وكَلَّت الأبصار عن رؤية مخلوقاته، وعجزت الأفهام عن إدراك حقائق حقيقته.

***

الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة

كتاب في التصوف الإسلامي المعتدل(251)، أراد فيه الإمام الدريني أن يصحح بعض المفاهيم المغلوطة حول منهج التصوف، خاصة ادعاء البعض بأن التصوف هو خروج عن الكتاب والسنة وانسلاخ عن الشريعة الإسلامية والضوابط المرعية.

في هذا الكتاب يُبين الدريني العلاقة الوطيدة بين الحقيقة (التصوف) والشريعة، وأن الحقيقة بلا شريعة باطلة والشريعة بلا حقيقة عاطلة، لكن الحقيقة والشريعة في تناغم وثيق؛ إذ إن الحقيقة هي ثمرة الشريعة وروحها.

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من المسائل النافعة والأسس التي ترسم منهج التصوف المعتدل الصحيح، وتُكذب الدعاوي السخيفة التي يطلقها بعض الجاهلين على منهج التصوف ليلًا نهارًا.

ولقد نال هذا الكتاب - لمكانته وأهميته وقوة مادته - إعجاب وثناء كبار العلماء والكُتَّاب والمفكرين، ومن ذلك ما كتبه **محمد رشيد رضا** في تقريظٍ لهذا الكتاب فقال: (كتاب يدل اسمه على مسماه .. وفي الكتاب مسائل نافعة يصح أن تُجعل حجة على الذين يَدَّعون

---

(251) أشار إليه المشتولي في سلوة الأحزان، ص 53 & وحاجي خليفة في كشف الظنون (1/ 924) & والبغدادي في هدية العارفين (1/ 581) & وهو مخطوط في مكتبة المسجد الجامع بالهند في 14 ورقة برقم (445/ 5).

التصـــوف، وينتهكـــون حرمـــات الـــدين، ويَـــدَّعون أنهـــم أوليـــاء الله ورسوله. فليته ينتشر بين أهل الطريق فينتفعوا باعتداله).[252]

كـذلك تضـمن الكتـاب ردودًا علميـة علـى الشـيوخ الـذين يخـالطون النسـاء ويجالسـوهن ويسـلمون علـيهن دون تحـرج بـدعوى - باطلـة - أن ذلك لا يتنافى مع التصوف الإسلامي.

***

ابتدأ الإمام الدريني الكتاب بقوله[253]:

الحمـد لله الـذي أوضـحَ الحـقَّ لطالبـه وأظهـرَ تحقيقَـهْ، ونـوَّر الطريـق فبَدت المسـالكُ الدقيقـة، وأجـرى فـي قلـب ذاكـرهِ مـن الحِكَـم عينًـا غديقـة، وأنبـتَ فـي سِـتر مُحبِّـهِ مـن معارفـهِ حديقـة، وشـغلَ مَـنْ اختصـهُ بحُبـهِ عـن جميـع الخليقـة، وجعـل لـذَّة وصـلهِ لمـن قطـع عـن الأغيـار تعليقـة، وحجـبَ مَـن أبعـدهُ عنـه وجعـل حظَّـهُ مـن الحُلـي بريقـه [254]، وكيـف يَعرفُ قـدرَ الـدينارِ مَـن لـم يتجـاوز نظـرهُ بريقـه[255]، فسـبحان مَـن أنهـل

---

(252) مجلة المنار (5/ 394).

(253) حصلتُ على هذا النص من بعض ورقات الكتاب، المنشورة على موقع مجمع الملك عبد العزيز آل سعود للمكتبات الوقفية. الرابط: https://dar.kawla.gov.sa/ar/node/7925

(254) البريق: اسم من قولك برق السيف ونحوه إذا لمع.

(255) والبريـق هنـا: اسـم مـن قولـك بـرق البصـر إذا تغيـر حتـى لا يطـرف أو دهـش فلم يبصر.

مَن شاء مِن شرابِ ودادهِ وحَرَمَ آخر أن يُذيقه، وجعل نفوسًا أسرى في قيدِ الخذلان وأخرى طليقة، فكم بين قلوبٍ عامرة وأخرى بائرة(256)، وبين سابقة ومسبوقة، وأسرار سائرة إلى محل الزّلفى(257) وأخرى في الشقا غريقة.

أحمدهُ على أفضالهِ وأرجو منه جزيلَ نَوَالهِ وأسألهُ توفيقهُ.

وأصلي وأسلِّم على نبيهِ ورسولهِ وحبيبهِ محمدٍ، الذي جعل الوسيلةَ إليه تصديقه، وسدَّ جميعَ الأبوابَ إلاَّ بابَهُ وطريقه، وعلى آله الأكرمين وأصحابه المُكرَّمين صلاةً تُدني إليه مؤازرَهُ وصديقَه، وأنيسهُ في الغار ورفيقه، وتحيةً تُقرِّب إليه مَعلنَ دعوته وفاروقه، وتكريمًا يُزلف نحوَهُ ذا النورين شفيقه، وتشريفًا يُسعَد به ابنُ عَمِّه الذي ضاهأ شقيقه، وفضلًا يَهُمُّ كُلَّ مَن آمن به واتخذ حُبَّهُ جَنةً وثيقه، **أما بعد.**

فهذه رسالةٌ مختصرةٌ جَزْلةٌ رقيقةٌ، ينجو بها من قِبَلها من المهاوي السحيقة، ويُحصِّل دُرَرَ التحقيق من بحار التدقيق العميقة. كتبتها لمن كان اتِّباع الحق صَبوحهُ وغَبوقهُ، وسميتها **(الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة)**، والله المستعان أن يكفينا جرح الابتداع

---

(256) بار فلان يبور بوارًا فهو بائر، أي: هلك، وبار المتاع كسد، وبار عمله بطل.

(257) الزلفى: القربة والمنزلة وهو اسم مصدر من قولك أزلفه إذا قرَّبه.

وأن يمُنَّ علينا بحسن الاتباع، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

اعلموا - ألهمكم الله الرشاد وسلك بنا وبكم طريق السداد - أن الله تعالى هو المتصرف في خلقهِ يهدي ويُضل، ويُعز ويُذل، ويُوفق ويخذل، ويُولِّي ويعزل، فالخير والشر والنفع والضر بإرادته ومشيئته. فمعرفة هذا وتحقيقه تَعلُّقٌ بالحقيقة ثم إن الله تعالى جعل للعباد كسبًا واختيارًا ميَّزهم به عن الجمادات والبهائم، فجعل العبد قادرًا على الفعل وخلق فيه قصدًا يختارُ به الفعل ليُميز به عن المكره والمجبور.

ثم أرسل الرسل وأنزل الكتب وأمر بالإيمان والطاعة ونهى عن الكفر والمعصية، وأخفى عن العباد ما عليه من أحوالهم وما أبدوه من أفعالهم، فمن كان في علمه ومشيئته شقيًا مَنَعهُ الطاعة، والاعتبار بالخاتمة وهي مبنيةٌ على السابقة، (إنما الأعمال بالخواتيم)، وحجة المَلِك بالغة وسطوة قهرهِ للباطل دامغة، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء 23]

فالشريعة: خطابهُ لعبادهِ وكلامُهُ الذي أوصلهُ إلى خلقهِ بأمره ونهيهِ ليوضح به المحجةُ ويُقيم به الحُجة.

والحقيقة: تصريفهُ في خلقه وإرادته ومشيئته التي يختص بها مَنْ اختاره من أحبابه، ويُبعد بها مَن أبعدهُ عن بابه.

فالشريعة أمره والحقيقة تصريفه وحكمه.

وقد جمع الله بين الشريعة والحقيقة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير 28] فهذه شريعة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير 29] فهذه حقيقه.

ومنها قوله تعالى ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۞ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر 55-56].

ومنها قوله تعالى تعليمًا لنا ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة 5]، فقوله نَعۡبُدُ إثبات الكسب للعبد وإضافة العبادة إليه، وفي قوله نَسۡتَعِينُ رد الأمر إلى الله تعالى وأن العبادة بعونه وتيسيره.[258]

***

ولقد نقل لنا الشيخ ابن حميد المشتولي - المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري - في كتابه الوجيز المفيد (سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان) فصلا من كتاب الروضة الأنيقة للدريني، فقال ما نصه:

قال سيدي عبد العزيز الديريني - رحمه الله - في كتابه **الروضة الأنيقة** - باب في حوادث حدثت زماننا:

اعلم أن الذي دعا إلى تصنيف هذا المختصر أنَّ قومًا في هذا الزمان ابتدعوا طرقًا مخالفة لطريق القوم، وزعموا أن لهم فيها مقاصد صالحة فمنها: الخلوة بالنساء، والحديث معهن، وربما زاد بعضهم المعانقة، والقُبلة، والملامسة مع الأجانب، وسلك آخرون مع الشباب مثل ذلك، وهذا ما لا

(258) هذا ما تيسر لي الحصول عليه من الكتاب.

يخفى على ذي لبابة من حِيل الشيطان ومكايده، ومن حبائله ومصايده، قال عز وجل مخاطبًا لأصحاب الرسول ﷺ - مع مرتبتهم - في حق نساء النبي ﷺ - مع رتبتهن وكونهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم بل أعظم منهن في الوقار والتعظيم - قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب 53]

فمن ادعى أنه أقوى إيمانًا من الصحابة، أو أنَّ النساء اللاتي يخلو بهن أطهر قلوبًا وأملك نفوسًا من نساء النبي ﷺ فقد عظم الافتراء، وأكثر الاجتراء في حديث الخلوة وحدها، فكيف بما زاد على ذلك.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان معتكفًا في رمضان فدخلت عنده زوجته حفصة بنت عمر فتحدثت عنده ساعة ثم خرجت فرأى رجلين في الطريق فقال: هي أمكما حفصة فقالا: سبحان الله يا رسول الله فقال ﷺ: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا). فإذا كان رسول الله ﷺ خاف أن يوقع الشيطان في نفوس الناس أنه كان عنده امرأة أجنبية، فكيف يسلم غيره من أن يوقع الناس فيه؟! فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تخلون بامرأة ولو أقرأتموها القرآن).

وروي أن النساء اجتمعن عنده فطلبن أن يعاهدن باليد فقال: لا تمس يدي يد امرأة ولكن قولي لامرأة كقولي لمائة امرأة فبايعهن بالكلام من غير ملامسة. وروي أنه لما طلبن البركة وضع يده في ماء ثم نقل إليهن فوضعن أيديهن فيه.

فإذا كان سيد الأولين والآخرين يجتنب هذه الأمور وغيره يقتحم ما هو أعظم منها فكيف يخفى على عاقل قبح ما يتعاطون نسأل الله العافية بمنه وكرمه.

وأعظم من ذلك إنكارهم على من يتجنب هذه القبائح وقولهم: "أنت ضعيف القلب". وليس ضعيف إلا إيمانهم. وقولهم: "الفقير لا يفيده شيء" فهذا باطل فإن المحرمات لا تختص بواحد دون واحد، فإن قصدوا أن الفقير لا يقع في معصية فقد كذبوا فإن هذه الأشياء في نفسها معاصي، فكيف يُقال لمن عصى أنه لم يعص، وإن قصدوا بالتغيير أن نعم الله عليه أو توالى الأنوار والكشف لديه فهذا غلط عظيم، فإن الفتوحات والكرامات وطيب الأوقات إنما تكون علامة للقرب إذا كان صاحبها مستقيما على طريق التحقيق، فأما ظهورها مع التخليط ومخالفة الشرع فإنه علامة مكر واستدراج كما قال تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف 182]

وأما قولهم: إن من النساء والشباب من له قصد في تحصيل علم أو أدب، فلو أن الناس كلهم يتجنبون عِشْرة النساء والشباب لم يُحَصِّل أحدهم علما ولا أدبا، فالجواب أن التعليم والتأديب يختص بالعلماء العارفين فكيف يقصد تعليم الغير من لا علم عنده ولا معرفة، وهذه مرتبة عظيمة ولا تصلح إلا للراسخين في العلم والمعرفة، ثم إن مَن يصلح لهذا لا يحل له أن يزيد في الاجتماع بالنساء والشباب على ما تدعو إليه الحاجة وهو أن الاجتماع لا يكون في خلوة، ولا مع انبساط ولا مرح بل لا يتكلم إلا في جد وحزم وموعظة وعلم ولا يلح النظر وإن قدر لم ينظر أصلًا، فقد رأيتُ بعض

مشايخنا العلماء العارفين عوَّد نفسه غض بصره عن الرجال، وصار ذلك عادة له لا يتكلفها مع النساء، ولقد كان بينه وبين نساء عندنا قرابة، فكان يزورهن لصلة الرحم، وأنا معه فيقف على باب الدار حتى تخرج إليه المرأة، فيسلم عليها من بعيد، ويغض بصره، وينصرف، فكيف يسلم من يدخل بيوت أزواجهن من غير إذن، ويأكل طعامهم، ثم ينبسط، ويخرج ويفتح عينيه ويمد يديه، وربما زاد فوق هذا، وقد ورد في الصحيح: (العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع، واليدان زناهما اللمس)، وهذه الأفعال كلها من الزنا وهل يحل الزنا بنية صالحة؟ وهل تعتبر النيات في المحرمات؟ والحديث إنما ورد في المباحات والطاعات، فإن المباح إذا كان بنية صالحة صار طاعة، والطاعة إذا لم يكن فيها إخلاص بنية لله فهي رياء فهذا معنى قول النبي ﷺ: (الأعمال بالنيات) فأما المحرمات فإنها معاصٍ وإذا نوي بها نية حسنة كان جاهلاً فاسقًا.

وقد زاد قوم فزعموا أن اجتماعهم بالنساء والشباب، وتعاطي هذه الأمور مما يحصل به البركة، وأن قرب المرأة والشباب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب، فإن النور يسري من القلب إلى القلب، وأشباه هذه الزخارف الباطلة! فهؤلاء فرقة تشبهوا بالشياطين فإن الشيطان يسول للمحال بأمور محرمة ويزيِّنها بصور باطلة فهذه حيلة فسق، وحيلة مكر، وخديعة كذب، فليت هؤلاء حيث وقعوا في هذه القبائح لم يضيفوا إليها ما هو أقبح منها؛ فإن العرف المعترف بمعصيته أخف إثمًا، وأقل جُرمًا، ويجب على من له امرأة أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافي، والزجر الكافي، وإذا لم يقدر على ذلك. فَلْيَنْهَهُم نهياً كافيًا، فإن لم يقبلوا وجب الإنكار عليهم بالقلب كما قال

تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر 3] .

انتهى(259)

***

(259) انظر: المشتولي في سلوة الأحزان، ص 53.

الكفاية في تفسير القرآن

هـو تفسـير اختصـره الإمـام الـديريني مـن كتـاب **(الهدايـة لبلـوغ النهايـة)** فـي تفسـير القـرآن لمكـي بـن أبـي طالـب القيسـي القيروانـي (ت: 437 هـ). ذكـره بروكلمـان، وهـو مخطـوط فـي خزانـة القـرويين بفاس.[260]

وتفسـير (الهدايـة إلـى بلـوغ النهايـة) قـد جمعـه الإمـام مكـي بـن أبـي طالـب مـن كتـاب **(الاسـتغناء فـي تفسـير القـرآن)** لشـيخه الإمـام محمـد بـن علـي بـن أحمـد الأُدفـوي (ت: 388هـ) كمـا صـرَّح بـذلك فـي مقدمـة تفسـيره **قـائلًا:** (جمعـت أكثـر هـذا الكتـاب مـن كتـاب شـيخنا أبـي بكـر الأدفـوي رحمـه الله وهـو الكتـاب المسـمى بكتـاب (الاسـتغناء) المشـتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن).[261]

وهذا - في الحقيقة - ما يميز كتاب الكفاية؛ إذ جمع بين دفتيه فوائد هاتين الموسوعتين الضخمتين والتفسيرين الجليلين.

ومـن الجـدير بالـذكر أن الإمـام الـديريني قـد أشـار بنفسـه إلـى كتـاب الكفاية في موضعين من كتاباته:

---

(260) نقلا من مقالة عن (الشيخ عبد العزيز الديريني)، إعداد الدكتور عبد الحكيم الأنيس، شبكة الألوكة الإلكترونية.

(261) الهداية إلى بلوغ النهاية (1/ 74).

الموضـــع الأول: فـــي مقدمـــة منظومتـــه الشـــهيرة بالتيســـيرفي علـــوم التفسير[262]، وذلك في قوله:

ويَسّـــــرَ الله لـــــــي **الكفايـــــة** مُلخّصًـــــا فوائـــــد الهدَايَـــــة

الموضـــع الثـــاني: فـــي نهايـــة إحـــدى نسـخ كتـــاب التيســـير، حـــين كتـــب بخـــط يـــده إجـــازة لـــبعض تلاميـــذه بمجموعـــة مـــن مصـــنفاته، ذكـــر منهـــا كتـــاب الكفايـــة، إذ يقـــول: «فمـــن جملـــة تصـــانيفي الكفايـــة فـــي تفســـير القرآن في مجلدين».

ولقـد توافـد الكثيـر مـن البـاحثين والمهتمـين بعلـوم القـرآن والتفسـير علـى كتـاب الكفايـة دراسـةً وتحقيقًـا وتعليقًـا وترجيحًـا، وإليـك بعـض ممـا تيسـر لـي الوصـول إليـه مـن هـذه الرسـائل العلميـة لكتـاب (الكفايـة في تفسير القرآن):

1- **د. أمـين بـن عـائش المزينـي:** وقـد قـام بـالتحقيق مـن أول سـورة المائدة وحتى نهاية سورة الحجر في رسالة الدكتوراة.[263]

2- **د. صـالح بـن فـلاح البـدراني:** وقـد قـام بـالتحقيق مـن أول سـورة الفرقان وحتى نهاية سورة ص في رسالته.[264]

---

(262) التيســير فــي علــوم التفســير للــدريني، مطبعــة التقــدم العلميــة، القــاهرة، ســنة 1310هـ /1893م.

(263) رسـالة دكتـوراة، إشـراف أ.د. ملفـي بـن نـاعم الصـاعدي، قسـم التفسـير، كليـة القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام 2010.

3-د. **عبد الرحمن بن صالح المحيميد:** وقد قام بالتحقيق في رسالته من أول الكتاب وحتى نهاية سورة النساء.(265)

4-د. **عبد القدير بن ناصر الشيخ:** وقد قام بالتحقيق من أول سورة النحل وحتى نهاية سورة النور. (266)

5-د. **محمد إمبالو فال:** قام بالتحقيق من أول سورة الزمر وحتى آخر الكتاب.(267)

***

ومن مميزات هذا التفسير:

ما أضافه الإمام الديريني من علوم ومعارف مختلفة، وفوائد جليلة، وكنوز فريدة، فمادة هذا التفسير تشمل القراءات القرآنية وتوجيهها، وبيان أصل

---

(264) رسالة دكتوراة، إشراف: د. ملفي بن ناعم الصاعدي، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2010م. (655 صفحة)

(265) رسالة دكتوراة، إشراف: د. عبدالرحمن بن صالح بن سليمان، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام 2011م.

(266) رسالة دكتوراة، إشراف: د. عبيد بن علي العبيد، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام 2013م.

(267) رسالة دكتوراة، إشراف: د. عبيد بن علي بن عبيد، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2013م. (717 صفحة)

المفردة القرآنية ومعانيها، وأسباب النزول، والتفسير بالمأثور، وأقوال المفسرين واللغويين، ووقائع النسخ، والأحكام الفقهية، والمبهمات، والوقف والابتداء، والنكات البلاغية، وغير ذلك، وقد صاغ الإمام الديريني ذلك كله بأسلوب واضح مختصر، ولغة سهلة ماتعة، مع ظهور شخصيته في الاختيار والترجيح والنقد والرد.(268)

***

ويقول الباحث الدكتور أمين بن عائش المزيني في رسالته، فيما يتعلق ببيان منهج الدريني للكتاب:

1. لقد انتهج الدريني في تفسيره هذا منهج التفسير التحليلي للألفاظ، وبيان معانيها باختصار، إلا أنه قد ينحو منحى التفسير الإجمالي في مواضع كثيرة من كتابه، بل إنه يدمج التفسير بين ثنايا الآية في أحيان كثيرة.
2. وقد تميز أسلوبه في الكتاب بالوضوح والسلاسة وحسن الترتيب في غالبه، وقد يغمض أسلوبه في مواضع قليلة من كتابه بحيث لا يتضح إلا بعد مراجعة وتأمل.
3. كما تميز أسلوبه بالرفق، والأدب الجم، وحسن طرح الأقوال، دون تشنيع أو تسفيه أو شدة في العبارات حتى مع المخالفين.
4. وقد اعتنى الإمام الدريني بذكر القراءات المتواترة معرجًا على توجيه كل قراءة من ناحية المعنى ومن ناحية اللغة بإيجاز، وذلك بانتقاء أصح الأقوال في توجيهها، وقد أبان في هذا الباب عن علمٍ جَمّ بالقراءات

(268) د. عبد الرحمن المحيميد، رسالة دكتوراة، المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية.

وإتقان لها. ولم يذكر الدريني من شواذ القراءات إلا قليلًا جدًا بالمقارنة مع المتواتر.

5. وقد حَلَّى الديريني كتابه هذا بذكر أحاديث النبي ﷺ مستشهدًا بها في مواقع عديدة، وأقوال الصحابة والتابعين، مُطَعمًا كتابه هذا بأقوال أهل اللغة ناسبًا إياها لأصحابها كالخليل، وسيبويه، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج والكسائي، وغيرهم.

6. ومما يُعد في محاسن الديريني اعتناؤه بجانب التدبر، وذكره لبعض الفوائد والاستنباطات، وكذلك اعتناؤه ببيان مناسبات بعض الآيات دون تكلف أو تمحل.

ثم يختم الباحث الكلام فيقول:

هذا وإن كان الديريني قد تواضع فذكر أنه قد اختصر كتاب الهداية في كتابه هذا، فإن من الإنصاف أن نقول: إن عمل الديريني في هذا الكتاب لا يقل أهمية عن غيره من التفاسير؛ لأنه لم يقتصر على الاختصار المجرد، بل قام بتهذيب وترتيب للهداية، كما تضمن زيادات كثيرة جدًا عليها، ناهيك عما تميز به من أسلوب مغاير وطريقة منفردة في كتابته، رحمه الله تعالى.[269]

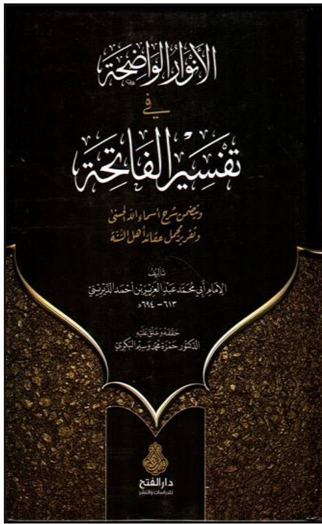
***

(269) أمين بن عائش المزيني، رسالة الدكتوراة السالف ذكرها، المبحث الثالث: منهج المؤلف للكتاب.

الأنوار الوضحة في تفسير الفاتحة

هذه إحدى الرسائل التي وضعها سيدي عبد العزيز الدريني في علم التفسير، اهتم فيها بالكلام عن المسائل العقدية في سورة الفاتحة، مع العناية بإيراد الحجج وسوق البراهين، وتتميز بالعبارات الموجزة والمركزة.

وقد جاء ذكر هذه الرسالة في أكثر من مصدر، منسوبة للشيخ الدريني(270)، وأخيرًا طبع ونشر هذا الكتاب في دار الفتح للدراسات والنشر بالقاهرة عام 2014م، في 220 صفحة، تحقيق: د. حمزة محمد وسيم البكري، عضو هيئة التدريس بجامعة السلطان محمد الفاتح.



ويذكر المحقق أنه يُطبع لأول مرة مقابلًا على أصلين خطيين، ومرشحًا بالتعليقات العلمية، ثم ذيله المحقق في نهايته ببحث مهم في تحرير معنى (التوقيف) المشترط في إطلاق الأسماء من الله تعالى.

قسَّم الشيخ المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول، فابتدأه في تفسير ألفاظ السورة الكريمة

---

(270) كشف الظنون (1/ 195)، وهدية العارفين (1/ 581)، وتاريخ الأدب العربي وغيرهما.

بإيجاز وبيان، ثم ربط تفسيره بعلم العقيدة، مبرزًا ما أفادته السورة في ذلك، ثم شرح أسماء الله الحسنى كلها مع ذكر دلالتها العقدية، ثم تكلم عن يوم القيامة وما جاء فيه، وفي النبوات وما يثبتها، ثم تكلم عن خير القرون وخير الأصحاب؛ ألا وهم صحْب النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الدريني في فاتحة الرسالة: «الحمد لله العلي المحمود، الغني الموجود، الولي المعبود، الخفي المقصود، الذي سبَّح بحمده كُلّ موجود، وتذلَّل لعزته كل مفتتح الوجود، وتفرَّد بكمال السطوة والجود، وصلواته على سيدنا محمد صاحب اللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة في اليوم الموعود، وعلى آله وأصحابه الرُكَّع السجود، وبعد...

فإن العقل غطاء شريف، وأشرف ثمراته العلم، وأشرف العلوم العلمُ بالله عز وجل، والعلم بالله مجموع في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وإليه أشار رسول الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الميزان﴾، وقال الإمام علي بن أبي طالب: ﴿لو شئتُ لوضعتُ في تفسير الحمد حِمل بعير﴾.

وبيان ذلك أن الثناء على الله – عزوجل – لا تحصره عبارة، ولا ينتهي إلى حده إشارة .. إلى آخر ما قال رضي الله عنه».

***

العبارة الواضحة في معاني الفاتحة

يذكر أ. د. **أحمد الأمير محمد جاهين**[271] أنَّ هناك كتاب آخر للشيخ عبد العزيز الدريني اسمه (العبارة الواضحة) وهو كتاب مختلف عن (الأنوار الواضحة)، ويوضح الفرق بينهم فيقول:

الكتاب الأول عنوانه: " **الأنوار** الواضحة في **تفسير** الفاتحة".

والثاني عنوانه: " **العبارة** الواضحة في **معاني** الفاتحة".

ويظهر جليًّا الفرق بين العنوانين في مقصد التأليف وغايته.

فالأول: تفسير وبيان وسوق أدلة على جملة من المسائل والعقائد على منهج المفسرين العهود.

والثاني: فيه استخراج ما يظهر من العبارة التي تنتج في معنى الفاتحة؛ ولذا كان الثاني ملخصّا مختصرًا إذا قارنَّاه بالأول الموسع نوعًا ما.

ويؤكد الدكتور الأمير جاهين أنه قد اطلع على الرسالتين مخطوطتين، وتأكد أنهما رسالتان متغايرتان.[272]

---

(271) أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان - جامعة الأزهر.

(272) بحث بعنوان (نُكات التأليف في فاتحة الكتاب الشريف)، للدكتور أحمد جاهين، منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، العدد السادس، إصدار يونيو 2023م، صفحات 304-308.

<u>فى هذه الرسالة يقول سيدي عبد العزيز الدرينى:</u>

بسم الله الرحمن الرحيم

أبتدئ في الخطاب بذكر الله الإله المعبود، الذي لا يستحق العبادة سواه، وهو الله ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾، وكل هذا رد على المشركين.

وهو المقصود الذي يُولَّه إليه – أي يُقصد – وغيره لا يستحق أن يُسأل ولا يُعبد.

وهو الذي تولَّهت العقول في تعظيم جلاله، وولهت الأرواح طربًا بشهود جماله، وهو الذي لاهَ – أي علا وجلَّ – عن التكييف والإحاطة، واحتجب بعزه عن إدراك الأبصار وتكييف البصائر، ودام وبقي وتنزه عن الأشباه والنظائر.

الرحمن الرحيم المحسن ظاهرًا وباطنًا في الدارين، وقد عمَّ فضله الكونين وهو أرحم الراحمين.

الحمد لله رب العالمين، الثناء الحسن لله مُوجد كل موجود، مُوجد جميع المخلوقين، فهو مالكهم ومدبر أمورهم وسيدهم ومعبودهم لا رب سواه.

ولفظ (العَالَم) يشمل كل موجود سوى الله؛ لأنه عَلَمٌ على وجود الله.
ولفظ (الحمد) يشمل كل ثناء أثنى الله به على نفسه، أو أثنى عليه أحدٌ من خلقه، من الأسماء الحسنى والصفات العُلى التي لا تُحصر ولا تُحصى.

فقد أثنى سيد المرسلين وحبيب رب العالمين بما أُوحي إليه من الثناء بأنه تعالى هو الموجود القديم، الذي لا بداية لأزليته الباقي الدايم الذي لا نهاية لأبديته، الصمدُ الذي لا يشبه شيء من بريَّته، الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شبيه له في صمدانيته وأحديته وأزليته وأبديته، ولا شريك له في مملكته، وكان نهاية ثنائه الاعتراف بأن ثناءه فوق ما تصف الواصفون، وتعظيمه أعظم من أن تعرفه العارفون، فلذلك قال مشيرًا لكل واصف بأن يمسك: لا أُحصي ثناءً عليك كما أثنيت على نفسك.

فإذا قرأ القارئ (الحمد لله) شاهد بسرِّه أوْصَاف الجلال والجمال والكمال، وأعرض عن كل ما يُصوره وَهْمُ أو خيال.

فإذا ما قال (العالمين) نظر إلى كل ما سوى الله بعين الفناء والزوال فلم يشتغل بغير الله ولم يخطر له ببال.

(الرحمن الرحيم) المنعم على جميع خلقه في الدنيا والأخر بالنعم الباطنة والظاهرة، فالظاهرة ما أعطاكَ مِنَ النعم، والباطنة ما أودعك من معرفته في قلبك.

قوله تعالى: (مالك يوم الدين)، أي: يوم الجزاء والحساب، فالمُلك له والتدبير، وَالحُكْمُ والتصريف عند انقطاع الدعاوي وارتفاع الوسايط، لمن الملك؟ لله الواحد القهار.

فالعارف إذا قرأ مالك يوم الدين؛ شاهد القيامة وما فيها، وقد قالوا حقيقة الاستقامة أن تشاهد وقتك كأنه القيامة، فإما أن يُدهشك الخوف وإما أن يُقلقك الشوق.

وقولــه تعــالى: (ايَّــاكَ نَعْبُــدُ وايــاك نســتعينُ) أي: أنــت المعبــود نَعْبُــدُك ونوحــدكَ ونعتقــد أن لا معبــود يســتحق العبــادة فــي الســموات والأرض سواك.

وإيــاك نســتعين علــى تحصــيل مــا نرجــو ودفــع مــا نكــرَهُ فِــي الــدُّنْيَا والآخــرة، ولا مقصــود ســواك، **إيــاك نعبــد:** نفعــل مــا أمــرت بــه، **وإيــاك نســتعين** علــى تــرك مــا نهيــت عنــه. **إيــاك نعبــد** امتثــالًا لأمــرك **وإيــاك نستعين** فأعنَّــا علــى عبادتــك فــلا حــول ولا قــوة إلا بــك. **إيــاك نعبــد** الآن **وإيــاك نســتعين** علــى الخاتمــة فــاختم لنــا بالإيمــان. **إيــاك نعبــد** وذاك بتوفيقك **وإياك نستعين** على القبول فإنه من فضلك.

إيــاك نَعْبُــد نتبــرأ مــن قــول الجبريــة **وإيــاك نســتعين** فنخــرج عــن معتقــد القدريــة، **إيــاك نَعْبُــد** تمســكًا بالشــريعة **وإيــاك نســتعين** اعترافــا بالحقيقــة، **إيــاك نَعْبُــد** تمــام نصــف الفاتحــة الــذي هــو ثنــاء، **وإيــاك نســتعين** بدايــة النصف الذي هُوَ دُعَاء ولهذا قُسمت نصفين.

فــإذا قــال العــارف **(إيــاك)** كــان مخاطبــا بالكــاف إدلالًا فلــيكن حاضــرًا بالســـر إقبـــالًا، مشـــاهدًا للتعظـــيم إجـــلالا ثـــم تســـأل الإعانـــة تضـــرعًا وابتهالًا، ويعرفُ منة الله الذي أمرهُ بذكره وعلمه طلبًا وسؤالًا.

(اهــدنا الصــراط المســتقيم): أرشــدنا إلـــى ســلوك الطريـــق المرضـــي القويم وهو اتباع الكتاب والسنة.

(صــراط الــذين أنعمــت علــيهم) بــالتوفيق، وهــديتهم إلــى ســلوك الطريــق مـــن النبيـــين والصـــديقين والشـــهداء والصـــالحين وحســـن أولئـــك رفيقـــا، فاجعلنا معهم يا أكرم الأكرمين.

وقولــه **(غيــر المغضــوب علــيهم ولا الضــآلين)** قــوم غضــب الله علــيهم فمــا اهتــدوا إلــى حــق أصــلًا، وهــم الجاحــدون الكــافرون كعبَّــاد الأصــنام والمجـوس والدهريــة وغيـرهم. وقـوم عرفـوا الحـق ثـم ضـلوا عنــه بعـد هُدى كاليهود والنصارى وكل مَن ابتدع بدعة أخرجتهُ عن الإسلام.

ثــم يقــول القــارئ **(آمــين)** ومعناهــا اســتجب لنــا يــا رب العــالمين، فالمصــلي ينــاجي ربــه، وأكبــر مناجاتــه قــراءة الفاتحــة وبهــا تحصــل الأنــوار الواضــحة، وفيهــا تُشــاهد الســرائرُ لوامــعَ البشــائر لائحــةً، والغافل مزكوم لا يجد رائحة. انتهى[273]

***

---

(273) جاءت هـذه الرسـالة داخـل مخطوطـة "سـر الأسـرار وسـير الأبـرار"، المكتبـة الأزهريـة رقـم (922103) عـام 1662م. وقـد حصـلتُ علـى نسـخة مـن المخطوطـة بصـيغة pdf مـن موقـع الألوكــة علــى شـبكة المعلومــات الدوليــة. وبلغـت صـفحات "العبارة الواضحة" ضمن المخطوطة من 89 إلى 95.

التنبيهات الحسان في معنى الإحسان

كتاب عظيم، ينبغي لكل مسلم أن يقتنيه ويقرأه ويعلمه لأولاده؛ لشدة أهميته وكثرة فوائده، لأنه يتعلق بأمرٍ يتكرر في يوم المسلم خمس مرات على الاستمرار الدائم، ألا وهو الصلاة.

جاءت هذه الرسالة في ذكر المعاني الإيمانية للصلاة وأركانها وسننها، متضمنة فقه السلوك الذي يهتم بالقلب والروح، بخلاف أحكام الفقه الإسلامي المعروف والذي يهتم بالأحكام الظاهرة فقط.

أشار لهذه الرسالة الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحيميد في رسالته للدكتوراة، والتي كانت بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني: دراسة وتحقيقًا) بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة[274].

يقول د. عبد الرحمن المحيميد: وقد عثرتُ على المخطوط في المكتبة العامة بمكة المكرمة في آخر مخطوط الميزان الوفي تحت رقم (1/ 118)، والموجود قطعة منه تقع في خمسة ألواح من بداية الكتاب.

ظل هذا الكتاب مخطوطًا حتى عشرينات القرن الواحد والعشرين، حين قام **الدكتورعبد الحكيم الأنيس** بتحقيق هذا المخطوط وطبعه ونشره جزاه الله خيرا.

***

(274) نقلا عن رسالة دكتوراة بعنوان (الكفاية في تفسير القرآن للدريني) إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، ص 57-69.

نص الرسالة

الحمد لله الذي نوّر بذكره قلوب أوليائه، وعطّر بنسيم بره أسرار أصفيائه، ودبَّر بحكمته وأمره ملكوت أرضه وسمائه. أحمدُهُ على ما علَّمنا مِنْ أسمائه وألهَمنا مِنْ حُسنِ ثنائه، وأسبغَ علينا مِنْ جزيل عطائه، وأسبل علينا مِنْ جميل غطائه، وهدانا إلى الإيمان به والنظر في آلائه، وشرَّفنا باتباع محمَّدٍ خاتمِ رُسله وأنبيائه، وسيد أصفيائه وأحبائه، ومُبلّغ وحيه وأنبائه، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه بعددِ آلائه وإعطائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أرجو بها الخَلاص في يوم لقائه، وأشهدُ أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - عبده ورسولُهُ المخصوص بالشفاعةِ العُظمى دون رسله وأنبيائه، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم لقائه.

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن 60]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة 93]

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» مِنْ حيثُ لا تراه.

اعلم أنَّ الله تعالى قريبٌ مِنْ جميع خلقه بعلمه وإحاطته، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد 4]. وهو سبحانه وتعالى قريب من المؤمنين بتأييده ونصرته، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال 19]،

وهو تعالى قريب من الذاكرين، يكشفُ حُجَبَ الغفلة عَنْ قلوبهم، فتنعموا بأنسه وخدمته، إذا شاهدوا جلاله طاشوا، وإذا شاهدوا جماله عاشوا.

ومعنى الإحسان المشار إليه حضورُ العلم بأنَّ الله تعالى هو الإله الموجود، المعبود المقصود، المدبر المحمود، فإذا صار هذا العلم وطنًا للعبد ثابتًا في قلبه فهو عالم بالله تعالى، وما دام قلبهُ ممتلئًا بهذا الذكر فهو مُحسِنٌ مُشَاهِدٌ، وإن طرأت عليه غفلةٌ عن هذا فهو كَمَنْ أُخْرِجَ مِنْ وطنهِ لا يطيب له قرار حتى يرجع إلى الوطن.

ولَمّا كانت النفوسُ أكبر الأعداءِ والشيطانُ مِنْ حزبها والخواطر الشاغلةُ تَخطِفُ القلوبَ عَنْ هذا الوطن؛ رأيتُ أَنْ أَخْتَصِرَ كَلامًا يَنْتَفِعُ به السالك، وينبههُ على أسنى المسالك بعون الله تعالى، فجمعتُ هذه الكلمات، وسَمَّيْتُهَا: «**التنبيهات الحسان في معنى الإحسان**».

فاعلم - أيْقَظَنَا الله وإيَّاك لذكره - أنَّ أشْرَفَ أَوْقَاتِ العبدِ وَقْتٌ يكونُ فيه مع الله تعالى فيصيرُ الأنس بذكره وطنًا، ومهما خَطَرَ على القلب مِنْ الخواطر الشاغلة عنه هَرَبَ إلى هذا الوطن، والله تعالى هو المُوَفِّقُ لِمَنْ يشاء اللطيف الخبير.

● تنبية عن أسرار الطهارة والدخول في الصلاة:

فإذا أردت الطهارة فاذكرْ أنَّك عبدٌ، وأنَّك أُمِرْتَ بالتوجه إلى خدمة مَوْلاك، وأُمِرْتَ بتطهير ظاهرك لتَتَذَكَّر به طهارة باطنك وقلبك.

وقد ورد في الحديثِ: «الطهور شطر الإيمان»، وفيه إشارة إلى أنَّ الإيمان قسمان: تزكية وتحلية.

فالتزكيــة الطهــارةُ مِــنْ كــلّ وصــف مــذموم. **والتحليــةُ:** التَّخلــقُ بِكُــلِّ وَصْفٍ مَحْمود.

ومثــال التزكيــة: تنقيــة الأرض وإصــلاحها للغَــرْس. **ومثــال التحليــةِ:** غَرْسُ الأشجار بعد التنقية.

فـإذا شـرعت فـي الطهـارة فغسلت كفَّيكَ فـاعزم علـى طهـارة الكفَّين مـن تناول كُلِّ مُحرَّم أو مكروه.

وإذا تمضمضــت واستنشــقتَ فــاعِزم علــى طهــارة الفــمّ مِــنْ تَنــاول المحرمـات والشُّـبُهَاتِ والصـمتِ عَـنْ كُـلّ لغـو لـيس لـه فائـدة لـدنياك ولا لدينك، وتورّع عَنْ كُلِّ مُحرَّم حتى الشم.

ثــمَّ اغســل وجْهَــكَ وانــوِ الطهــارة للصــلاة واعــزم علــى تطهيــر وجهــك عَــنِ الخضــوع لغيــر الله، وصــيانة ســمعك وبصــرك عَــنْ كُــلِّ مــذموم. وتَــذَكَّرُ ﴿إِنَّ ٱلسَّــمۡعَ وَٱلۡبَصَــرَ وَٱلۡفُــؤَادَ كُــلُّ أُوْلَــٰٓئِكَ كَــانَ عَنۡــهُ مَسۡــُٔولٗا﴾ [الإسراء 36]

والفـؤاد هـو القلـب، فمعنـى الآيـة أنَّ الإنسـان مسـؤولٌ عَمَّـا عَـزَمَ علـى فعله بقلبه، وما تَعَمَّدَ استماعه أو النظر إليه.

أمــا الخطــراتُ العارضــة التــي لا تَسْــتَقِرُّ بــالعزم فمعفــوٌّ عنهــا. وفــي الحـديث: «إنَّ الله قـد تجـاوز عـن أمتـي مـا حـدثت بـه نفوسـها»، وبـيَّنَ اللهُ ذلـك بقولــه:﴿لَا يُكَلِّـفُ ٱللَّهُ نَفۡسًـا إِلَّا وُسۡـعَهَاۚ﴾؛ لأنَّ الخـواطر العارضـة الزائلـة غيـرُ مُكتسبة، ولا يُطالـب العبـد إلا بـالعزم الجـازم، وهـو المـراد بقولــه تعــالى: ﴿قُــلۡ إِن تُخۡفُــواْ مَــا فِــى صُــدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡــدُوهُ﴾ يعنــي: مــا صمَّمتُم عليه.

فإذا غسلت يديك فاعزم على تركِ كلّ فعل يُبْعِدُكَ عن الله عزَّ وجل.

وإذا مسحت رأسك فاعْزم على تسليم كُلّيتِك لله.

وإذا غسلت رجليك فاعزم على تَرْكِ كلّ حركة مذمومة. ثمَّ قُمْ إلى الصلاة بخشوع وخضوع وتعظيم، وتوجه إلى القبلة بجسمك، وإلى الله تعالى بسِرّكَ.

ومثال الناس في السعي إلى الصلاة كركوب الخيل إلى خدمة السلطان، فإنَّ ذلك وظيفةُ الأجناد في خدمةِ السُّلطان، فكلٌّ مَنْ حضر الخدمة فقد أدى الوظيفة، لكن نصيب كلّ أحدٍ على قدر ما يُريدُ الملكُ مِنْ تقريب أو إكرام، فكمْ بين مَنْ هو راكبٌ في الخدمة على الباب، وبين مَنْ هو في الحضرة مع الأحباب.

فالأفعال في الصلاة كالأعضاء، وحضورُ القلب معها كصحة الأعضاء ونفعها، فالظاهر كالجسد وحضورُ القلب كالروح، فكلُّ فعل أتيتَ به في الصلاة فهو كالعضو، وفعله على الوجه المشروع كصحة العضو مِنَ الأمراض الظاهرة، وحضور القلب معه كسلامة العضو معه مِنَ العلل الباطنة وسلامة نفعه.

قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ والخشوع: سكونُ القلب لتعظيم الرَّبِ، وحضوره مع الله، وفضيلة الصلاة على قدر هذا الحضور.

وقال تعالى في حق المنافقين الذين كانوا يُصَلُّون بالظاهر وليس في قُلُوبهم شيء من الخشوع أصلاً: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن

صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ لم يقصدوا بها التقرُّبَ إلى الله تعالى ولا أقبلوا فيها بقلوبهم على الله.

وإذا كبَّرت التكبيرة الأولى وهي التي تُسمَّى تكبيرة الإحرام فانوِ الصلاة بعينها وصفاتها، وأحْضِر بقلبك مع التكبيرِ شُهود الجلال والعظمة، وانفراد الله تعالى بالكمال والقهر وأنَّ كلَّ ما سواه تحت قهره، ثم اقرأ الفاتحة.

- **تنبية على تصحيح القراءة**

التصحيح على ثلاثة أقسام:

الأول: تصحيح الإعراب بحفظ النَّصبِ والرَّفع والخفض في مواضعها على حكم النحو والقراءة، وذلك معروف.

والثاني: تصحيح التجويد بحفظ الإظهار، والإدغام، والإخفاء، والتفخيم والترقيق، ونحو ذلك في مواضعها، فَمِنْ ذلك:

(الرَّحمن الرَّحيم) تشديد الراء فيهما مِنْ غير ترعيد، فإنَّ ترعيدها يجعلها راءاتٍ كثيرةً، ولا قوة تشديد فتلتحق بالطاء.

وفتح العين في (العالمين) وسطًا فلا تُفخَّم ولا تُمالُ.

وتشديد الياء مِنْ (إيّاك) مِنْ غير تقويةٍ ولا تخفيف، فإنَّ تخفيفها تضعيف لها، وتقويتها تلحقها بالكاف. وضمّةُ الدال مِنْ (نعبدُ) مِنْ غير إشباع؛ لئلا تُجرَّ واوًا زائدة.

وتخفيفُ فتح اللام من (عليهم) لئلا تخرج إلى مدة. وحفظ الضاد في مَخرجها لئلا تُخرِجَها ظاء، وتُضعفها فتصير لامًا مخفّفة، وغير ذلك، وقد صنفتُ فيه «الميزان الوفي في بيان اللحن الخفي».

الثالث: في تصحيح التحقيق وتدبر المعاني وإحضارها في الخواطر، وهو شأن العلماء بالله تعالى بمعاني كتاب الله، وهو التصحيحُ العزيز، وأصله فراغ القلب عن الشواغل والفكر والخواطر الشاغلة. ثم تستحضر معاني القراءة إذا نطقت بها.

واعلم أنَّ القرآن على ثلاثة أقسام:

الأول: أنْ يكون خطابًا علَّمَكَ اللَّهُ إيَّاه لتخاطبَهُ به:

فإن كان بلفظ الكاف نحو (إياك نعبد) فوظيفتك فيه أن تنطق به وسرك حاضر مشاهد لربك.

وإن كان ضمير الغائب فوظيفتك فيه أنْ تنطق به وأنت حاضر، وترى أنَّ ذكرك له بلفظ الغَيّبة أدبٌ، لا غفلةٌ كمَنْ يقولُ لَمَنْ يُعظّمه: أَسأَلُ المولى، ولا يقولُ: أسألك؛ ولأجل هذا كان أول الفاتحة بلفظ الغيبة تعظيمًا وأدبًا، ثم أتى بعده الخطاب، فإنَّ الأدب أصل، فإذا تأكد القُربُ خطرَ الأنس فحسنت المخاطبة بكاف الخطاب.

والقسم الثاني: أن يكون خطابًا من الله لك، كقوله تعالى: (وأنا ربكم فاعبدون)، فوظيفتك فيه أنْ تُصغي بسمعك كلّه وتعزم على الطاعة.

والقسم الثالث: أنْ يكونَ إخبارًا عن قصص ماضية فوظيفتك الاعتبار، أو إخبارًا عن القيامة وما فيها فوظيفتك الخوف والرجاء.

فإذا قرأت **(بسم الله الرحمن الرحيم)** أحضرت بقلبك بداية خطابك أنك ذكرت الله، وأحضرت ذكر أسماء الله.

والاسم الجامع لمعاني الأسماء - وهو أعظمُ الأسماء الظاهرة - هو هذا الاسم، فإنَّ معنى اسم الله أنه لا إله إلا هو، المُستحق للعبادة، المُنفرد بالجلال والجمال والكمال والصفات القديمة والرحمة العميمة، فهو الموجود القديمُ مِنْ غير بداية الباقي الدائم من غير نهاية، الصمد القدوس عنْ كُلِّ شبيه، الواحد المنزّه عن الحاجة إلى شريك أو وزير، الحي العليم القدير، المُريد السميع البصيرُ، المتكلّمُ بكلام قديم لا يشبه كلام خلقه، به أمر ونهى، ووعد وأوعد، وبيَّنَ وعلَّم، الملك الذي كلُّ ما سواه تحت قهره وتدبيره، فتتذكرُ بهذا الاسم عظمته وجلاله، وتتذكرُ بذكر الرحمن الرحيم رأفتهُ ورحمته وبرِّه وجماله، وهذا معنى قول الله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) يعنى خوفًا وهيبة ورهبة، (ثم تلين جلودهم) عند ذكر الرحمة رجاءً ورغبةً.

فإذا قرأت **(الحمد لله)** أحضرت بقلبك الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويدخل تحت ذلك كلُّ ما ورد في القرآن العظيم من أسمائه، وما نطقت به الألسنُ مِنْ حُسنِ ثنائه.

فإذا قرأت **(ربِّ العالمين)** شاهدتَ بسرّك أنه سبحانه هو الربُّ المالك السيدُ المُدبِّرُ المُتصرِّفُ، وأنَّ كُلَّ مَنْ سواه تحت تدبيره وقهره. ولفظة العالم تجمع كل شيء سوى الله عز وجل.

فـإذا قـرأت **(الـرحمن الـرحيم)** عُـدت بخـاطرك إلـى شـهود الرأفـة والرحمـة، وذكـرتَ كُـلَّ نعمـةٍ مِـنْ نِعَـمِ الله تعـالى الظـاهرة والباطنـة، وتعرضت لطلب رحمته، وسألته تمام نعمته.

فـإذا قـرأت **(مالـك يـوم الـدين)** شـاهدت بسـرك الوقـوف يـوم القيامـة بـين يديـه وتفـرُّدَه بالمُلـك والتصـريف وقـد انقطعـت الـدعاوى وارتفعـت الوسـائط وحصـل العلـمُ بـأنَّ الله هـو الواحـد الملـكُ المالـك القهـار، ورأيـت أحكامـه فـي ذلـك اليـوم وتفـرُّدّه بالتصـرُّف، وهـو معنـى قـول العارفين: (حقيقة الاستقامة أن تشاهد الوقت كأنه قيامة).

فـإذا قـرأت **(إيـاك نعبـد وإيـاك نسـتعين)** علمـت أنـك انتقلـت مـن الغَيْبـة إلـى الخطـاب، وأنَّ الكـاف خطـابٌ لحاضـر، فلِمَ تغـب عـن شـهوده عنـد النُّطـق بالكـاف، ورأيـتَ أنَّ هـذا هـو الأدب، فـإنَّ مَـنْ خاطـب ملكًـا حاضرًا وهو مُعرِضُ عنه غافل فقد أساء الأدب.

وتُحضـر فـي **(إيـاك نعبـد)** أنَّـكَ ملتـزم للتوحيـد والطاعـة، وفـي قولـه **(نستعين)** أنـه سـبحانه وتعـالى هـو المُوفّـق للعمـل، الهـادي إلـى السـبيل، المتفضّـل بـالقبول، القـائم بجميـع الأمـور، فتتعـرَّض للسـؤالِ أنْ يتـولاك في دينـك ودنيـاك وآخرتـك، فهـذا هـو النصـفُ الـذي هـو لـك. فـإنَّ نصـف الفاتحة الأول ثناء، والثاني سؤال ودعاء.

فـإذا قـرأت **(اهـدنا الصـراط المسـتقيم)** أحضـرت بقلبـك أنَّـك واقـف بـين يديـه تسـأله التوفيـق وسـلوك الطريـق، والثبـات علـى الإيمـان والطاعـة، كمـا فَعَـلَ بمَـنْ أَنْعَـمَ عليـه وثَبَّتَـهُ حتـى وَصَـلَ إليـه. وخاطبـه خطـاب حاضر بقولك: **(أنعمتَ)** وشاهد في قولك: **(عليهم)** كل نبي وولي.

وفـــي قولـــك: **(غيــر المغضــوب علــيهم)** كــلَّ مَــنْ أَبْعَــدَه بعدلِــهِ، وَطَــردَه عَنْ بابه، ومَـنْ قَرَّبَـهُ أولًا - وهـو فـي علمـه شـقيّ - فضَـلَّ بعد هُـدىً كـان عليه، فتلتجئ إلى الله تعالى مُستعيذًا مِنَ الطرد والضلال.

ثـم تقـول: **(آمـين)** خاضـعًا متضـرّعًا، ومعنـاه: اسـتجب بفضـلك. فهـذا تصحيح القراءة عند أهل التحقيق.

وكـلٌّ خـاطر شـغلك عـن هـذا فهـو نقـص دخَـلَ عليـك، وعلـى العبـد الاجتهاد امتثالاً للأمر.

ذلـــك مشـــاهد للتصـــريف والحُكْـــم، وأنْ لا هـــادي ولا موفِّـــق إلا الله سبحانه.

فـإذا ركعـت فـاطمئنَّ راكعًـا، ومعنـى الطمأنينـة السـكون، وسـرُّ السـكون بـالجوارح أن يسـكن قلبـك إلـى ذكـر الله وتستشـعر أنـك خاضـع لهيبتـه عنـد قولـك: «سـبحان ربـي العظـيم». وربمـا حصُـلت تفرقـة فيكـون فـي الطمأنينة ردٌّ للخاطر وجمعٌ للقلب.

وهكـذا تفعـل فـي كـلِّ ركـن مِـنْ قيـام، وجلـوس، وركـوع، وسـجود. والسـجود أبلـغ الأحـوال فـي الخضـوع الظـاهر، وسـره الافتقـار بالبـاطن واستشـعارُ الـذُّلِ والانكسـار عنـد قولـك: «سـبحان ربـي الأعلـى»، وفـي الحـديث: «أقـرب مـا يكـون العبـد مـن ربـه إذا كـان سـاجدًا» فإنـه أبعـد مـا يكون عن نفسه، ولا حجاب للعبد إلا نفسه، وقد قلتُ في ذلك:

تواضع فَإِنَّ الكِبْرَ مَقتُ بلا نفع

وكن شاهدًا للحُكْمِ في موطن الجمْعِ

فما زال رفعُ القَدْرِ بالخفض حاصلا

على عكس حُكْمِ النحو والخفض والرفع

- **تصحيح القنوت**

«**اللهم إنا نستعينك**»: نسألك الإعانة على الدِّين والدُّنيا.

«**ونستغفرُك**»: مِنْ تفريطنا وغفلاتنا، ونؤمنُ بأنْ لا إله سواك، ولا مدبر غيرك، ولا مقصود غيرك.

«**ونتوبُ إليك**»: نسألك الرجوع إليك ونخشعُ ونذلُّ ونخضعُ.

«**ونخلع**»: كل معبود سواك فلا نرجو ولا نخاف ولا نقصد غيرك.

«**ونترك كلَّ مَنْ يكفرك**»: نخالف طريقَ مَنْ جحد وأعرض، وكلُّ ذلك بفضلك

إياك نعبُد نذِلُّ ونخضَعُ رجاءَ فضلك، وخوفًا مِنْ عذابك.

«**وإليك نسعى ونحفِد**»: أي نخدِمُ، ولك الحمد إذ شرفتنا بذلك.

«**اللهم اهدنا**»: أرشدنا إلى الصراط المستقيم.

«**وتولنا فيمن توليت**»: لا تكلنا إلى نفوسنا، ولا إلى أحدٍ مِنْ خلقك.

«**وقنا شرَّ ما قضيت**»: إذا أردتَ بالعباد فتنةً فاجعلنا من السالمين، وارزقنا العافية في أبداننا وأدياننا، واجعل العاقبة فيما قضيتَهُ علينا إلى خيرٍ، فأنت المنفرد بالحكم، ولا عزيز إلا مَنْ قربَّتَ ولا ذليل إلا مَنْ أبعدت.

«**تباركت وتعاليت**»: وتفرَّدت بالكمال سبحانك.

• تصحيح التشهد

«**التحيـات لله**» أي كلمـاتُ الثنـاء والتعظـيم والتمجيـد لله وحـده؛ فـلا يستحقُ ذلـك سـواه، والأذكـار كلهـا مباركـة كثيـرةُ النفـع، زاكيـة كثيـرةُ النُّمو في الخير.

«**والصلوات**» كلها لله، وهي طيبة خالصة لله وحده.

ثم تسلّم على الرسول صلى الله عليه وسلَّم سلام مواجهة كأنك ناظر إليه، وتُسلّمُ على كل عبد صالح في السماء والأرض. ثم تُجدِّدُ الشهادتين مستحضرًا للإخلاص.

ثمَّ تصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم، وتشْرَعُ في طلب حوائجك قبل انصرافك من الخدمة.

ثم تنوي الخروج من الصلاة بقولك: السلام عليكم مخاطبًا للخلق ومراعاتهم امتثالًا لأمر الحق سبحانه.

فهذه أسرار الصلاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• تنبية جامع للإحسان

إذا علمت أنَّ المطلوب من العبد العبادة فإنَّهُ إنما خُلِقَ لَهَا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. فاعلم أنَّ فائدة وجودِك ما اكتسبت من الطاعات، وخسارة عمرك ما ضيَّعت من الأوقاتِ فاجتهد أَنْ لا تُضيّعَ نفسًا مِنْ أنفاسك إلا في طاعة تكسبها، أو السعي في مصلحةٍ لخَلَّةٍ تَسدُّها، وضرورة تصلحها، ففي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، وقد خلق الله تعالى لك قلبًا

ولسانًا وأعضاء وأمرك بإحضارها كلّها لخدمته، وردّها عند حدودهِ، واستعمالها في حقوقه.

والمراد من هذا المختصر التنبيه على حراسة القلب واستعماله في ذكر الله تعالى - واللسانُ مُترجم عنه - فاجعل أهمَّ أشغالك مراعاة قلبك عن الغفلة في حركاتك وسكناتك، وحضورك مع الناس وخلواتك، بأن تتذكر أنَّ اللهَ تعالى ناظر إليك، مطلع عليك، سامع لقولك، عالم بقصدك وفعلك، فما دام هذا العلم في قلبك فأنتَ مراقب، وإذا دخلت عليك غفلةٌ عنه ثم تذكرت فارجع إليه، هذا معنى المراقبة.

وإذا علمت أنَّ الله تعالى هو الموجود الحقُّ، وشاهدت بسرك جلاله وجماله فصار سرك معمورًا بذلك، فأنتَ مشاهِدٌ ما دام هذا المعنى مشهودًا في سرك، وهذه المشاهدة

واعلم أنَّ الذِّكر على أقسام:

القسم الأول: ذكرُك بلسانك مع حضورِ قلبكَ، فإذا قوي هذا المعنى صار القلب كأنه ناطق ولو سكت اللسان.

وأقرب ما في هذا الباب أنْ تُلْزِمَ خاطرَ النُّطقَ بسرك بقولك: «الله الله الله» على الدوام.

أو التضرُّع إليه سبحانه بأن تقول في خاطرك «يا الله يا الله يا الله» على الدوام.

أو تُوحد بسرك فتقول: «لا إله إلا الله» على الدوام.

فمـا دمـت علـى حالـة مـن هـذه الحـالاتِ فأنـتَ ذاكـر، فـإن كنـت ماشـيًا فاجعـل النُّطـق مقارنًـا لخطواتـك، وإن كنـت جالسًـا أو مضـطجعًا فاجعـل هذا النُّطق بالسرّ مقارنًا لأنفاسك واجتهد في ذلك ما أمكنك.

وتَضَـرَّعُ إلـى الله فـي حراسـة قلبـك، ولا تُشـاهِد فـي ذلـك إلا فضـله وإلهامه واشكر في ذلك إنعامه.

وإن خطفَتْـكَ غفلـةٌ فـارجع مِـنْ قريـب حتـى يصـير ذلـك لـك وطنًـا، ولا يطيب لك غيره مسكنًا.

والقسم الثاني: استشعار نظرِ الله إليك، وهي المراقبة كما تقدم.

والقسـم الثالـث: نظـرُ القلـب وعمـارة السـر بـالعلم بوجـودِ اللهِ، وهـو سـرٌّ المقصـودِ بقـول النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: «أن تعبـد الله كأنـك تـراه» والإشـارة إلـى المراقبـة فـي قولـه صـلى الله عليـه وسـلم: «فـإن لـم تكـن تـراه فإنـه يـراك» والله عـزّ وجـلَّ المسـؤولُ أنْ يُلهمنـا ذكـرَهُ، ويُوزعَنـا شكره، ويجعلنا ممَنْ امتثل أمره.

وهـذا فصـل كتبتُـهُ وصـيةً لِمَـنْ أرادَ سـلوك الطريـق، وأنـا أحـوج إليـه، وأسـأله التوفيـق، ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلـي العظـيم، وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. انتهى

***

أنوار المعارف وأسرار العوارف

هي رسالة لطيفة مختصرة في علم معرفة الله تعالى ومعرفة السلوك في طريق مرضاته، تجمع في طياتها العقيدة الصحيحة والتصوف الإسلامي المعتدل القائم على الكتاب والسنة.

أشار إليها - كما ذكرنا - الإمام ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية والداوودي في طبقات المفسرين[275]، وذكرا نسبتها للإمام عبد العزيز الديريني رحمهُ الله تعالى.

ولقد كانت هذه الرسالة إلى وقت قريبٍ من المخطوطات المدفونة في رفوف المكتبات، لا يعرفُ عنها أحدٌ شيئًا، حتى قام **الأستاذ الباحث نزار حمَّادي التونسي** - جزاهُ الله خيرًا - ليُنَفِّض عن هذا المخطوط أتربة الزمان وغُبار الإهمال والنسيان، فاعتنى به أحسن عناية، وحقَّقهُ ودقَّقهُ وطبعهُ في صورة طيبة تليقُ بقَدر هذا التراث الإسلامي العظيم.

أما عن مضمون الكتاب، فقد ابتدأه الإمام الديريني - رحمة الله عليه - بمقدمة عَقدية محكمة على مذهب أهل السنة الأشاعرة، بيَّن فيها إجمالًا ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى من صفات الكمال، وما يستحيل أن يتصف به تعالى من صفات النقص، وما يجوز له فعله.

(275) طبقات الشافعية (2/ 182) & طبقات المفسرين (1/ 312).

وذيَّلها ببعض مباحث النبوات فبين ما يجب اعتقاده في حق نبينا محمد ﷺ ووجوب تصديقه في جميع ما أتى به من السمعيات.

ثم بعد ذلك شرع في ذكر ثمرات هذه المعرفة الصحيحة، وعقد لها بابًا سمَّاهُ (بَاب بَيَانِ سُلُوكِ الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ)، ورتَّبه على ثلاث مراتب، وفي كُلِّ مرتبة مقامات وأحوال، ومثَّل لذلك بمُسافر يسلك الطريق قاصدًا الحج، فبيَّن ما ينبغي له إعداده واعتباره ليصل إلى مَقصده ويؤدي نُسُكَهُ.

فالمرتبة الأولى: التأهب للسفر، ذكر فيها مقامات منها: اليقظة، والتوبة، المحاسبة، الرياضة، الحزن، الخوف، التَّقْوَى، وَالزهد والورع، وعَرَّف كُلًا منها وذكر دليله من الكتاب والسنة.

والمرتبة الثانية: الغُرْبةُ، ذكر من المقامات فيها الإرادة، والفرار إلى الله تَعَالَى، والتَّوَكُل، والصَّبْرِ عَلَى أَحْكَامه، والشُّكْر.

وختم بالمرتبة الثالثة وهي الوصول إلى المشاهدة، فذكر مقاماتها وأحوالها، وحقيقة هذه المرتبة هو الإحسان الذي فسَّره النبي ﷺ في الحديث بقوله: «أن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» رواه البخاري.

يقول الأستاذ نزار حمَّادي محقق هذا الكتاب: «وبالجُملة فتُعتَبر هذه الرسالة دليلًا علميًا عمليًا في كيفية التقرب إلى الله تعالى، بدءًا بتصحيح الاعتقاد، ومرورًا بإخلاص القصد إليه ﷻ في الأقوال والأفعال، ووصولا إلى ثمرات ذلك في الدنيا والآخرة، والمؤلف في جميع ذلك - كما أشرنا - يستدل بآيات القرآن الكريم وحديث سيد المرسلين، وكيف لا وقد كان إمامًا في علم التفسير، وله فيه

المنظومـة الشـهيرة المسـماة بــ (التيسـير فـي علـم التفسـير)، ولــه أيضًـا التفسـير المسـمى بــ (المصـباح المنيـر فـي علـم التفسـير»)، وفـي علـم السـلوك وبيـان أعمـال القلـوب لـه كتـاب جليـل سـماه «طهـارة القلـوب فـي ذكر علام الغيوب)....».

***

<u>اقتباسات من الكتاب</u>

♦ **يقول الإمام الديريني في مقدمته:**

بسمِ اللهِ الرَّحْمَنْ الرَّحِيم، **وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ**، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي طَهَّرَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ، وَنَوَّرَ أَسْرَارَ أَصْفِيَائِهِ، وَخَصَّهُمْ بِمَحَبَّتِهِ وَوَلَائِهِ، وَعَمَّهُمْ بِمَوَاهِبِهِ وَآلَائِهِ.

أَحْمَـدُهُ عَلَـى جَزِيـلِ نَعْمَائِـهِ، وَأُثْنِـي عَلَيْـهِ مُعْتَرِفًـا بِـالْعَجْزِ عَـنْ إِحْصَـاءِ ثَنَائِـهِ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ خَـاتَمُ رُسُـلِهِ وَأَنْبِيَائِـهِ، صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْبَابِهِ.

أَحَـقُّ مَـا يُبْتَـدَى بِـهِ فِـي التَّعْلِـيمِ، وَأَوْلَـى العُلُـومِ بِالتَّقْـدِيمِ: مَعْرِفَـةُ اللهِ عزوجل، وَالطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ النَّظَرُ فِي بَدَائِعِ صُنْعِهِ.

وَأَقْـرَبُ المَصْـنُوعَاتِ إِلَيْـكَ: نَفْسُـكَ، فَتَأَمَّـلْ مَـا فِـي ظَاهِرِهَـا مِـنْ حُسْـنِ التَّرْكِيـبِ، وَمَـا خُصَّـتْ بِـهِ مِـنَ التَّقْـوِيمِ العَجِيـبِ، وَمَـا فِـي بَاطِنِهَـا مِـنَ الخَـوَاطِرِ الـوَارِدَةِ وَالصَّـادِرَةِ، وَالأَفْكَـارِ المُتَوَالِيَـةِ المُتَـوَاتِرَةِ، وَمَـا يَـرِدُ عَلَيْكَ مِنْ سُرُورٍ وَابْتِهَاجٍ، وَحُبٍّ وَشَوْقٍ وَانْزِعَاجٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُـمَّ انْظُـرْ مَـا فِـي العَـالَمِ مِـنْ تَقَلُّـبٍ وَتَصْـرِيفٍ، وَكَثِيـفٍ وَلَطِيـفٍ، وَحَرَكَـةٍ وَسُـكُونٍ، وَظُهُـورٍ وَكُمُـونٍ، وَضِـيَاءٍ وَظُلْمَـةٍ، وَبِشَـارَةٍ وَغُمَّـةٍ، وَلَيْـلٍ وَنَهَارٍ، وَإِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ، وَدُوَلٍ تَتَبَدَّلُ، وَأَحْوَالٍ تَتَحَوَّلُ.

فَـتَعْلَمُ بِـذَلِكَ أَنَّ العَـالَمَ كُلَّـهُ حَـادِثٌ، وَأَنَّ لَـهُ صَـانِعًا أَوْجَـدَهُ وَصَـوَّرَهُ، ثُـمَّ صَـرَّفَهُ وَدَبَّـرَهُ، وَهَـذَا مَعْنَـى قَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَفِـى ٱلۡأَرۡضِ ءَايَـٰتٌ لِّلۡمُوقِنِينَ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات 20-21]

***

♦ **وَالرُّوحُ فِي القُرْآنِ لَهُ مَعَانِيَ كَثِيرَة:**

فَـالرُّوحُ: الإِيمَـانُ وَالتَّوْفِيـقُ؛ قَـالَ الله تَعَـالَى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَـبَ فِـى قُلُـوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنۡهُ﴾ [المجادلة 22]

وَالـرُّوحُ: القُـرْآنُ؛ قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَكَـذَٰلِـكَ أَوۡحَيۡنَـآ إِلَيۡـكَ رُوحًـا مِّـنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى 52]

وَالـرُّوحُ: الـوَحْيُ؛ قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿يُلْقِـي الـرُّوحَ مِـنْ أَمْـرِهِ عَلَـى مَـنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر 15]

وَالـرُّوحُ: سـيدنا عِيسَـى عليـه السـلام؛ قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَكَلِمَتُـهُ أَلۡقَىٰهَـآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء 171]

وَالـرُّوحُ: جِبْرِيـلُ عليـه السـلام؛ قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿ نَـزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء193]

وَالـرُّوحُ: صِـنْفٌ مِـنَ المَلَائِكَـةِ عَلَـى صُـورَةِ بَنِـي آدَمَ؛ قَـالَ اللَّهُ تَعَـالَى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ [القدر 4]

وَالـرُّوحُ: مَلَـكٌ عَظِـيمٌ يُعَـادِلُ جَمِيـعَ المَلَائِكَـةِ؛ قَـالَ اللَّهُ تَعَـالَى: ﴿يَـوۡمَ يَقُـومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾ [النبأ 38]

وَالـرُّوحُ: روح ابْـنُ آدَمَ؛ قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَـنِ ٱلـرُّوحِۖ قُـلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء 85]

***

♦ اعْلَـمْ أَنَّ المَخْلُوقَـات عَلَـى قِسْـمَيْنِ: لَطِيـفٌ، وَكَثِيـفٌ. فَـاللَّطِيفُ: مَـا لَا يُدْرِكُـهُ البَصَـرُ فِـي العَـادَةِ كَـالأَرْوَاحِ وَالمَلَائِكَـةِ وَالجِـنِّ، وَالكَثِيـفُ: مَـا يُدْرِكُهُ البصر في العَادَةِ كَالأَدَمِيِّ وَالحَيَوَانَاتِ وَالجَمَادَاتِ.

♦ وَأَفْعَـالُ العِبَـادِ مَنْسُـوبَةٌ إِلَـيْهِمْ كَسْـبًا، وَيُثَـابُونَ عَلَـى الطَّاعَـةِ فَضْـلًا، وَيُعَاقَبُونَ عَلَى المَعْصِيَةِ عَدْلًا، وَأَفْعَالُهُمْ كُلُّهَا لِلَّهِ خَلْقًا.

♦ وَمُصْـطَلَح أَهْـلِ الإِشَـارَةِ أَنَّ التَّوْبَـةَ الرُّجُـوعُ خَوْفًـا مِـنْ عِقَـابِ اللَّهِ، وَالإِنَابَـةَ: الرُّجُـوعُ حَيَـاءً مِـنْ نَظَـرِ اللَّهِ، وَالأَوْبَـةَ: الرُّجُـوعُ هَيْبَـةً لِمُشَاهَدَةِ جَلَالِ اللَّهِ.

♦ فَأَمَّـا مَـنْ يَقْصِـدُ بِالسَّمَاعِ هَيَجَـانَ خَـاطِرٍ وَتَحْرِيـكَ سَـاكِنٍ فَهُـوَ مُتَوَاجِـدٌ وَلَـيْسَ بِوَاجِـدٍ، فَالسَّـمَاعُ تَوَاجُـدٌ وَهُـوَ طَلَـبٌ، وَوَجْـدٌ وَهُـوَ سَـيْرٌ وَنَصَبٌ، وَوُجُودٌ وَهُوَ سُرُورٌ وَطَرَبٌ.

***

♦ قَـدْ شَـهِدَتِ القَوَاعِـدُ العَقْلِيَّـةُ بِمَـا يَجِـبُ لِلَّهِ تَعَـالَى مِـنَ الْوُجُـودِ، وَالْقِـدَمِ، وَالْبَقَــاءِ ، وَالصَّــمَدِيَّةِ، وَالوَحْدَانِيَّــةِ، وَالحَيَــاةِ، وَالعِلْــمِ، وَالسَّــمْعِ، وَالبَصَــرِ، وَالقُــدْرَةِ، وَالإِرَادَةِ، وَالكَــلَامِ، وَأَنَّــهُ مَوْصُــوفٌ بِصِــفَاتِ الكَمَالِ، مُنْفَرِدٌ بِالعَظَمَـةِ وَالجَلَالِ، وَأَنَّـهُ يَسْـتَحِيلُ عَلَيْـهِ كُـلُّ صِـفَةٍ تَـدُلُّ عَلَى النَّقْصِ وَالزَّوَالِ، وَأَنَّ لَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرُّسُلَ.

وَقَــدْ أَرْسَــلَهُمْ وَأَيَّــدَهُمْ بِــالمُعْجِزَاتِ، وَخَــتَمَهُمْ بِمُحَمَّــدٍ سَــيِّدِ المُرْسَــلِينَ، وَأَيَّـدَهُ بِمُعْجِـزَاتٍ كَثِيـرَةٍ، فَيَجِـبُ تَصْـدِيقُهُ صَـلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فِـي كُـلِّ مَــا أَخْبَــرَ بِــهِ عَــنِ اللَّهِ مِــنَ الأَمْــرِ، وَالنَّهْــيِ، وَالوَعْــدِ، وَالوَعِيــدِ، وَالمُغَيَّبَـاتِ، وَالحَشْـرِ، وَالنَّشْـرِ، وَعَـذَابِ القَبْـرِ، وَسُـؤَالِ مُنْكَـرٍ وَنَكِيـرٍ، وَالحِسَـابِ، وَالمِيـزَانِ، وَالصِّـرَاطِ، وَأَنَّ مَـنْ مَـاتَ مُؤْمِنًـا مُصَـدِّقًا جَمِيـع الرَّسُــول صَــلى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمْ مُحْسِــنَا بِــأَدَاءِ الْفَــرَائِضِ وَاجْتِنَــاب المَحَـارِمِ دَخَـلَ الْجَنَّـةَ بِغَيْـرِ عِقَـابِ، دَخَـلَ الْجَنَّـةَ يَتَـنَعَمُ فِيهَـا بِـأَنْوَاعِ النَّعِيمِ وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الكَرِيمِ، خَالِدًا أَبَدًا.

وَمَـنْ مَـاتَ كَـافِراً مُكَـذِّبًا بِشَـيْءٍ مِمَّـا جَـاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ صَـلى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ دَخَـلَ النَّـارَ خَالِـداً أَبَـداً، وَمَـنْ مَـاتَ تَارِكـاً لِفَرِيضَـةٍ أَوْ مُصِـراً عَلَـى كَبِيرَةٍ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ.

***

♦ **يقــول الــدريني:** وَقَــدْ رَأَيْــتُ فِــي المَنْــامِ زَمَانــاً شَــيْخاً عَلَيْــهِ أَنْــوَارُ الْقَبُولِ، يَتَوَاجَدُ كَالوَلْهَانِ، فَسَأَلَنِي عَنِ المَحَبَّةِ فَقُلْتُ:

(المَحَبَّةُ فِيهَا بيَانٌ لَهَا مِنْهَا وَشُغْلٌ بِهَا عَنْهَا).

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَظَمْتُ فِي المَعْنَى فقلت:

تَحَدَّثْ بِأَسْرَارِ المَحَبَّةِ أَوْ صُنْهَا فَآثَارُهَا فِيهَا بيَانٌ لَهَا مِنْهَا

شَوَاهِدُهَا تَبْدُو وَإِنْ كَانَ سِرُّهَا خَفِياً فَقَدْ بَانَتْ وَإِنْ لَمْ تُبِنْهَا

لَقَدْ جُلِيَتْ حَتَّى طَمِعْنَا بِنَيْلِهَا وَجَلَّتْ فَلَا تَدْرِي العُقُولُ لَهَا

كُنْها لَنَا مِنْ سَنَاهَا حَيْرَةٌ وَهِدَايَةٌ وَدِلٌ وَإِدْلَالٌ وَشُغْلٌ بِهَا عَنْهَا

***

♦ وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّ مُحَمَّداً صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ أَئِمَّةٌ أَبْرَارٌ، وَأَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق، ثُمَّ عُمَرُ بْنِ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنَ عَفَّانٍ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ بَقِيَّةُ العَشَرَةِ، ثُمَّ سَائِرُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. فَهَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَهُوَ خَيْرُ مُعين.

الفصل الرابع:

منظومات الدريني

قصيدته في الرد على النصارى

ذكر الإمام السيوطي[276] في بدائع الزهور[277] بعض أبيات شعرية للشيخ عبد العزيز الدريني في الرد على النصارى، **وهي:**

عجبًا للمسيح بين النصارى ... حيث قالوا إنَّ الالهَ أبوهُ

ثم قالوا ابنَ الاله إلهُ ... ثم قاموا بجهلهم عبدوهُ

ثم جاءوا بشيء أعجب من ذا ... حيث قالوا بأنهم صلبوهُ

ليت شعري وليتني كنت أدري ... ساعة الصلب أين كان أبوهُ

كيف خلى ابنه رهين الأعادي ... أتُراهم أرضوْهُ أم أغضبوهُ

---

(276) كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) للسيوطي، باب نزول المائدة على عيسى عليه السلام، صفحة 123، المكتبة الشاملة.

(277) ذكر حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون & 1/ 229)؛ أنه يوجد كتابان يحملان اسم (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، أحدهما لابن إياس في مجلدين، ويبدأ بقوله (الحمد لله الذي فاوت بين العباد... الخ) تحدث فيه عن مصر، وفضائلها وما اشتملت عليه من العجائب، ومن نزلها ودخلها من الأنبياء، ومن ملكها إلى الجراكسة، ونشأ بها من الأعيان، على ترتيب الشهور والأعوام.

والآخر للإمام السيوطي، وهو مجلد واحد بسيط، يبدأ بقوله (الحمد لله القديم الأول الأزلي الذي لا يتحول ولا تغيره الدهور والأعصار)، ذكر فيه نوادر الوقائع من مبدأ الخلق الى زمانه، وتحدث عن قصص الأنبياء، وقد مات قبل أن يكمله.

عجبي للمسيح بين النصارى وإلى أي والدٍ نسبوهُ
أسلموه إلى اليهود وقالوا أنهم بعد قتله صلبوهُ
وإذا كان ما يقولون حقا وصحيحا فأين ما نسبوهُ
فلئن كان راضيا بأذاهم فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوهُ واعبدوهم لأنهم غلبوهُ

***

القصيدة اللامية للديريني

وهي قصيدة لامية القافية (278)، ذكر فيها كوكبة من أعلام التصوف، بدأها الإمام الدريني بحمد الله سبحانه وتعالى ثم بالسلام والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، والصحابة - وخص منهم الأربعة - ثم **قال:**

والتابعين وشيخنا البصري قدوتنا الإمام الفاضل الحَسنِ الوَلِي
وحبيب العَجَميَّ، هو ابْن محمد مِنْ بَعده في الصدق صافي المنهَلِ
من بعده داوود الطائِيّ له من ورده صافي الشراب السَلْسَلِ
من بعده معروف الكَرْخِيّ لم يجنح لنيل العاجل المُسْتَوْبلِ

(278) أوردها ابن الملقن في كتابه «طبقات الأولياء»، صفحات 521 - 524.

وَسِـــــرِىْ السَّـــــقَطِيُّ ذو زهـــــدٍ وأحـــــوالٍ وصــــــدقِ توكُّـــــلِ

خـــالُ الجُنَيْـد وشـيخُه كانـــا إلـــى الخيـرات سـبقاً كالَّسِـري الجـدولِ

ثـــم الفتـــى الشـــبَّلْي فـــي أحوالـــه الصـــادقُ الســـاري كمثـــل المعقَـــلِ

مـــن بعـــده مُمْلـــي هـــو العجمـــيُّ ذو قلـــب مـــن التحقيـــق والتقـــوى مَلِـــيْ

من بعـده الشـيخ الزكـيُّ المرتَضَـي أسـتاذنا ذو الهمـة العليـا " عَلِـي"

مـــن بعـــده فـــاذكر أبـــا الفضـــل الـــذي فـــي جِـــده عـــن عزمـــهِ لا يـــأتليْ

مـــن بعـــده أيضًـــا علـــيُّ الواســـطي العَلَـــم العـــارف بقلـــبٍ مُقْبِـــلِ

مـــن بعـــده المنصـــورُ، والمنصـــور ذو عـــزم وجـــدّ دون حـــظ مُشْـــغِلِ

بايعتُـــه عُمـــراً علـــى شـــرط الوفـــا عقـــدًا علـــى التحقيـــق غيـــر مُبـــدَّلِ

وقطعـــتُ فـــي أيامـــه زمـــنَ الصـــبا حتـــى قضـــى علـــى موثقـــه وَلـــي

فأنـا الفقيـرُ الأصـغرُ الراجـي الـذي مـــا زلـــت ذا فقـــد حليـــف تطفُـــلِ

والســـادة الأبـــرار مـــن أصـــحابه فـــي حـــبهم قـــد صـــح عقـــدُ توســـلي

والشـــيخ عبـــد الله فـــي بلتـــاج كالعـــذب الـــروي لقلـــب كُـــلِّ مؤمِّـــلِ

قـــد كـــان أوحـــد عصـــره، فتـــراه مـــا بـــين الأنـــام وســـرُّهُ فـــي معـــزلِ

وبهـا أبـو الحسـن الـولي، رفيقُـه ... وأنيسُــه فــي تُرْبــه والمنــزلِ

ثــم القليبـي القلــب المرتضــي ... عبــد الســلام كوابــلٍ مُستَرسِــلِ

ذو همـــة عُمَريــــة، ومحافـــل ... فــي الخيـر، كـم بـه مـن محقـلِ

والشـيخ ضـرغام المسـيريّ الـذي ... قـد كـان كالضـرغام بـين الجحفـلِ

والشـيخ بهـرام الإمـامُ الخيـرُ لـم ... يــركن إلــى حفــظ دنــي مُشــغِلِ

واذكـر سـراج الـدين عبـد الله فـي ... أخلاقـــهِ وعلومــــهِ كالمنهَـــلِ

شــيخاي أســتاذاي، ولا أنســاهما ... أبــداً، ولا أســلوا وإن لام الخَلــي

إن الرفـــاعِيِّين أصــحاب الوفـــا ... والجــود للعــافي المِلــمَّ المرْمِــلِ

كــم فــيهمُ مــن عــارفٍ ذي همــةٍ ... أو صــادق عــن عزمــه لــم يَفْشَــلِ

لا أنتهــي، لاأنثنــى عــن حُــبَّههم ... كِــرَّرْ مَلامــي ياعــذولي، واعــذِلِ

أنا أحمدي، أنــا أحمـدي مـن أَوجَـهٍ ... فــي ذكـر أحمـدَ كُـلَّ معنـى أجْتَلـي

أعلــى المعــالي لنبــي المصــطفى ... الهاشـــمي، الشـــافع المُتَقَبَّـــلِ

خيــرُ البرايــا الصــادقُ المختــارُ ... والمبعــوثُ والمنعــوتُ بالمُزَمَّــلِ

صــلى عليــه اللهُ مــا أحيــا المحيـا ... كــورُودهِ ســاحاتِ روضٍ ممحِـلِ

يـا عـالمَ التفصـيل! لُطفـا شـاملا أنــت الخيــرُ بســرِ لفــظٍ مُجْمَــلِ

ما لي سوى حُسن الرجاء عقيدتي ظَــنٌّ جميــلٌ بــالكريمِ المُجْمِــلِ

***

الأرجوزة الوجيزة للديريني

هي منظومة صنعها الإمام الدريني في ذكر أفضال مشايخه وأساتذته الذين صحبهم وتعلم منهم وتأثر بهم[279] :

يفتتحها الإمام الديريني فيقول:

(279) أوردها ابن الملقن في كتابه «طبقات الأولياء» صفحات 524- 534.

اللهَ أرجـــو ولـــيس غيـــرُ اللهِ اللهُ حســـــبُ الطالـــــبِ الأوَّاهِ

ثُـــمَّ الصـــــلاةُ والســـــلامُ علـــى النبـــي ســـيدِ الأنـــامِ

محمـــدٌ خـــاتمُ رُســـل المـــولى فأنـــــه بـــــالمؤمنيين أولـــــى

وآلـــــهِ وصــــحبهِ وعترتـــــهِ وكـــل مَـــن تابعـــهُ مِـــن أمتـــهِ

وهـــــذه أرجـــــوزةٌ وجيــــزهْ ضَــــمَنَتُها المقاصــــد العزيـــزهْ

بـــذكر مَـــنْ بـــالعلم والصـــلاحْ بــــــدا عليــــــه عــــــالمٌ ولاحْ

مِمـــن صـــحبتُ لرجـــاء النفـــعِ ولاجتمـــاع الشـــملِ يـــوم الجمـــعِ

مشـــــايخٌ أئمـــــةٌ أبـــــرار وأخــــــوةٌ أحبــــــةٌ أخيــــــار

مـــنهم ســـراج الـــدين عبـــد اللهِ كنـــــا بفضـــــل علمـــــه نُبَـــاهي

صَـــحِبتُهُ ســـبعَ ســـنينَ أوَّلا وكنــــتُ فــــي خدمتــــه مفضَّــــلا

عنـــي مـــن الله علـــيَّ فضـــلًا مـــا كنـــتُ فـــي القَـــدْرِ لـــذاك أهـــلًا

وكـــان بحـــرًا فـــي علـــوم النظـــرِ والفقـــه والتحريـــر ذا تحـــري

وتـــاج الـــدين بـــن بهـــرام البـــدل كـــان إمـــامي فـــي العلـــوم والعمـــلِ

أوصـــافهُ فـــي فضـــلهِ مـــأثوره وكـــم لـــه مـــن كرامـــة مشـــهوره

صَـحِبتُهُ خمسًـا وعشـرين سـنهْ حتـى قطعـتُ مـن زمـاني أحْسَـنهْ

والشـيخ زيـن الـدين بالمحلـه أعنـي أبـا بكـر، فمـا أجلَّـهْ

وعلمـهُ وزهـدهُ معـروف وشـكرهُ بـين الـورى موصـوفُ

قـد نِلْـتُ منـه دعـوةً مجابـهْ وصَـحِبَهُ لـي معهـا قرابـهْ

والشـيخ مجـد الـدين ذو الفنـونِ هـو ابـن عبـد الصـمد الأمـينِ

محمـد المنتسـب الأنصـاري كـالبحر فـي معرفـة الآثـارِ

رَويـتُ عنـه كـل مـا يرويـه مـن سـائر العلـوم أو يليـهِ

وشـيخنا عبـد الوهـاب بـن خلـف كـان شـبيهًا فـي السـلوك بالسـلف

لـه علـومٌ جمَّـةٌ وزُهـدُ وخشـيةٌ وورعُ وقصـدُ

وقـد صَـحِبتُ الشـرف بـن تغلـبْ ونلـت منـة جـدواه أي مطلـبْ

أفـادني فـي مـدةٍ قليلـةْ فوائـد عظيمـة جليلـةْ

والشـيخ عـز الـدين تـاج العُلمـا بـدر الزمـان إذا قـام العُلمـا

لاحـت لنـا مـن نحـوه المسـرَّةْ طـوبى لعـين نظرتـه مـرَّةْ

والعـالمُ الصـالحُ إبـراهيمُ بـن وليـد، فضـلهُ عمـيمُ

عـاش سـليمًا فـي جميـع الـرزقِ　　مســـــتغنيًا بـــــالله لا بـــــالخلقِ

ذو الخُلــق المستحســنِ الرضــيِّ　　والمنظـــر المســـتعظم البهـــيِ

عمَّــــرَ فــــي نزاهـــة وطاعـــهْ　　وعفــــــةِ تتبعُهـــــا قناعـــــةْ

وحـجَّ عـامين ثـم زار المصـطفى　　ثـم الخليـل، ذو العهـود والوفـا

فمــــات عنـــدما أتـــى الخلـــيلا　　فحــــاز ثَـــمَّ مغنمًـــا جلـــيلًا

والشــيخُ إســماعيل مــن قُطــورِ　　راوي شــــفاء غُلَّــــة الصـــدورِ

وقـد صَـحِبتُ العـالم الصـفراوي　　ثـــم الـــذكي العـــالم النشـــاوي

كـــــذا البرهـــــان بالمحلـــــةْ　　وبعـــــدُ، داودُ رقـــــىَ مَحلَّـــــهْ

كــذا الأمــام طــاهر المحلّــي　　خطيـب مصـر الظـاهر المُجَلّـي

وصــهره المجـد، هـو الأخمينـي　　المرتَضــى، ذو المــنهج القــويمِ

وشــيخه جبريــل مــن أخيــيم　　لقيُتــــــه بمصــــــر للتســــــليم

فهــــــؤلاء كلهـــــم أبـــــرار　　أئمــــــة لـــــــدينا أخيــــــار

أعطــاهم العلــم فهــم فــي سِــترِ　　فــالنجمُ لا يظهــر وقــت الظُهــرِ

لأن نـــور علمهـــم كالشـــمسِ　　وزهـــدهم مســـتتر فـــي طَمْــسِ

وفضلهم يُغني الورى عن شاهدِ ولــيس يخفيــه ســوى معانِــدِ
وإنمـــا يحتـــاجُ للكرامـــةْ مــن لــم يكــن لفضــله علامــةْ
وهـا أنـا ذا أذكـر أهـل المعرفـة ذي الصــدق والــدلائل المُشَــرِّفة
لأنهــم عاشــوا بِــأُنس الــربِّ سِـرًّا وذاقـوا مـن شـراب الحـبِّ
فهـم جلـوسُ فـي نعيم الحضـرةِ وُجُـوهِهِمُ فـي نضـرةٍ مـن نظـرةِ
وكـــلُّ مَـــنْ والاهُ ربُّ العـــزَّةْ فهـــو الـــذي يُعِـــزُّ مَـــنْ أعـــزَّهْ
وقـــد تعلَّقـــتُ بقطـــبِ العصـــرِ مـــنهم فـــنحن فـــي سَـــناهُ نســـري
شـــيخ الأنـــام أحمـــد الرفـــاعي حـــين أتانـــا مـــن حِمـــاه داعـــي
فـــنحنُ بـــين أحمـــد وأحمـــدي وشـــيخنا القطـــب الشـــريف أحمـــدِ
وشـــيخهُ وخالـــهُ منصـــورُ ثـــم علـــي الواســـطي المـــذكورُ
بعـــد الـــذكيُّ العجمـــيُّ مُمْلِـــي بعـــدُ أبـــو بكـــر المســـمى الشـــبليِ
بعـــدُ الجنيـــد العـــارف المشـــهور بعـــدُ ســـري الســـقطي المشـــهورُ
وقبلـــهُ معـــروف الكرخُـــي وقبلـــهُ الإمـــام داود الطـــائيُّ
بعـــدُ حبيـــب العجمـــيُّ الـــولي بعـــدُ الأمـــام الحســـن البَصـــريُّ

بعـــدُ الأمـــام المرتضـــى علـــيُّ   بعـــدُ النبـــي المصـــطفى الأمـــيُّ

صـــلى عليـــه الله مـــا دار فلـــكُ   ولازمَ التســـبيحَ والـــذكرَ مَلـــكُ

فهـــــذه نســـــبتنا الشـــــريفة   أكـــرم بهـــا مـــن نســـبة شـــريفةْ

وشيخنا الشيخ أبـو الفـتح الأسدْ   لنـــا بــــه إلـــى الرفـــاعي الســـندْ

لـــــه كرامـــــات وفضـــــل بـــــادي   كَثرتُهـــا جَلَّـــت عـــن التَعـــدادِ

صَـــحِبتُهُ نحـــو ثـــلاث عشْـــرا   مـــن الســـنين إذ وجـــدتُ الســـرَّا

وقـــد صـــحبتُ الســـادةَ الكبـــارا   أصـــحابه المشـــايخ الأخيـــارا

الشـــيخ تـــاج الـــدين، والســـراجا   اثنـــان أيضًـــا مقـــامهم بِلتَاجَـــا[280]

الشـــيخ عبـــد الله ذو الأحـــوالِ   والصـــدق حقًـــا والمقـــام العـــالي

وكـــان فـــي رؤيتـــه ولحظـــهِ   مـــا يمـــلأ القلـــوب قبـــل لفظـــهِ

فـــإن بـــدت ألفاظـــه الخفيـــة   فيـــا لهـــا مـــن حالـــة ســـنية

وإن بـــدا بـــالنطق فـــي الحقـــائق   دقـــق حتـــى تعجـــم الـــدقائق

وإن ســـمعتَ لفظـــه فـــي العلـــم   جـــاء بفـــتحٍ فـــاقَ أهـــلَ الفهـــمِ

---

(280) قرية بمركز قطور بالغربية الآن.

صَــحِبتُهُ نحــو الثلاثــين ســـنهْ كأنهـــا مـــن طيبهـــا كانــت سِـــنَهْ

ثــم أخــاه فــي الســلوك والسـكنْ ذا الهمة العليا الرضى أبـا الحسـن

ثـــم القليبـــي أبـــا المعـــالي عبــد الســلام الصــادق الأحــوالِ

ذا الـــنفس الطـــاهر والمحَافـــل في الخير كم أحيا بها من غافـل

ثـــم أخـــاه البَـــر إبراهيمـــا كـــان محبـــاً صـــادقاً كريمـــاً

لـــه مقـــامٌ راســـخٌ فـــي الصـــدقِ فـــي كـــل حـــالٍ صـــادعٍ بـــالحقِ

والشيخ ضرغام المسيري الرضى قـد كـان ضـرغاماً وسـيفاً منتضـى

ثـــم أبـــا بكـــر وقـــد تقـــدَّما ولـــم يـــزل فـــي فضـــله مُقـــدَّما

والعـــارف الـــدقَّاق ذو الوفـــاء والخُلُـــق المرضـــيِّ والحيـــاءِ

فهـــــؤلاء أنجـــــمُ دراري أنـــوارهم مضـــيئة للســـاري

لـم يبـق فـي السـتين والسـتمائة فــي النــاس مــن أصـحابه إلا فئـة

قليلـــةُ قـــد غلبـــت كثيـــرهُ وأظهـــرت بـــين الأنـــام نـــورهُ

وإننـــي، لفعلتـــي، أقلهـــم وقـــد تقضـــى مـــنهم أجلُّهـــم

وقــد صــحبتُ حســن الأنبــاري ذو الصــدق والأحــوال والأنــوارِ

والزهــد والعبــارة الفصــيحهْ　　والكشــف والفراســة الصــريحهْ

والنطــق فــي الحكــم والبيــانِ　　نُطــق المــراد العــالم الربــاني

قــد نلــتُ مــن صــحبته مرامــا　　فــي الخيــر نحــو أربعــين عامــا

كــذا ابــن عمــه أبــو علــي　　ذو همــة ومقصــدٍ جَلِــيْ

عُبَيْـد فـي ديصـةٍ[281] ذو الفتـوه　　والزهــد والحيــاء والمُــروَّهْ

وقــد صــحبتُ شــيخنا الــدكالي　　يعقـوب فـي عمـر البقـي الحـالي

عشرين عاماً كان لـي فـي رُؤيتـهْ　　معنــى لُقيـا البحـرِ عنـد صَـدْمتِهْ

قَــبْضٌ وَوَجْــدٌ بعــده طَــراحُ　　وكـــان بِلتـــاَج الارتيـــاحُ

والشــيخ قاســم، الــذي اجتهــادُهْ　　مشــهورٌ، وقـد بـدا لنـا اجتهـادُهْ

تلميــذ يعقــوب العظــيم القــدرِ　　قـد كـان فـي عمـري لجبـر الكسـرِ

وقــد صــحبتُ العــارِفَ الصَّــدَّيقا　　عبــد الــرحيم، مشــفقاً صَــدِيقا

وكــان ذا زهــد وعلــمٍ وعمــلْ　　صـحبتُه عشـرين عامـاً فـي مَهَـل

والشــيخ يحيــى الصــالح الســنيَّا　　والشـيخ مـرزوق الفتـى البراسـيَّا

---

(281) أي: في حضرةٍ ذو الفتوة.

والشيخ مـرزوق الرضـى السِكَيَّا ثـــم الصـــقلي قاســـم الرِضـــيًّا

ثـــم كبيـــراً وأبـــا ماضـــي معـــا خـــادم الرمـــل الـــذي ينْتَفِعـــا

ثـــم المليجـــي علـــيٌّ الصـــادق ونجلـــــــه التـــــاج واثـــــقْ

والعـــارف المحقـــق الـــدقاقا تســـبيحه علـــى الرجـــال فاقـــا

هو الـولي المرتضـى أبـو الحسن أخلاقـهُ تجلـو عـن القلـب الحَـزَنْ

قـد صـحبتُ الصـادق الغربـاوي فكـان فـوق مـا يقـول الـراوي

وقـد صـحبتُ الأفطـع المجاهـداَ محمـداً وقـد كـان فـرداً واحـداْ

صـــحبتهُ بـــالحرم الشـــريفِ ووصـــفه يَجِـلُّ عـــن تصـــنيفي

والشـيخ نصـر جاءنـا بالقـاهرة وقـــد بـــدأنا بكشـــوف ظـــاهرةْ

وبعـــدها رأيتـــه علـــى الصـــفا حتـــى إذا أضـمرتُ لقيـاهُ اختفـى

وواحـــــدا رأيتـــــه بعرفـــــهْ ســـوا إليهـــا نظـــرة مختطفـــهْ

ونلـــــتُ مـــــا يفـــــوق ظنـــــي ثـــم اختفـــى بـــلا حجـــاب عنـــي

وثانيـــة رأيتـــه فـــي وقـــتِ مخـــتلس الـــذكر بحســـن صـــمتِ

حتـى إذا أخبـرتهم عنـه احتجـب فاعجـب لأمـر خـارق ولا عجـب

وكــلُّ شــيخ نلــتُ منــه علمـــا وأدبًـــا، فهـــو إمـــامي حتمـــا

وكـــلُّ شـــيخ زرتـــهُ للبركـــه فقـد وجـدتُ ريـح تلـك الحركـه

وقـــد عُـــدتُ مـــنهُم جماعـــهْ اشـــتهروا بالفضـــل والبراعـــهْ

ومــا سـلكتُ عـن سـواهم صـدًّا ولـم أصِـق حَصْـرَ الجميـع عـدًّا

فأســـــألُ اللهَ لهـــــم رضـــــاهُ فإنـــه مـــن ارتضـــى ارتضـــاهُ

وأن يحقـــق الـــذي قصـــدتُهُ بـــذكرهم فـــي نيـــلِ مـــا أمليتـــهُ

وأن يُميتَنـــي علـــى الأيمـــانِ فـــذاك رأس المـــال والأمـــانِ

وآنَ أنْ أذكـــرَ قومـــاً درجـــوا ومـن مضـيق شـحهم قـد خرجـوا

قــد كــان لــي بأُنْسِــهم سُــلْوانُ ومـــا نســيت ذكــرهم إذ بـــانوا

وقـــد بقيـــتُ بعـــدهم فريـــدًا مُخلَّفـــاً عـــن رفقتـــي وحيـــدًا

أقطـــعُ الأوقـــاتَ بالرجـــاءِ لتَحضُـــر الوفـــاةُ بالوفـــاءِ

وفـــي الزمـــان مـــنهم بقيـــهْ قليلـــــةُ صـــالحة مرضـــيهْ

فقـــل لهـــم إذا أقـــاموا بعـــدنا يـدعو لنـا، فقـد دعونـا جُهـدَنَا

والحمـــد لله العظـــيم القـــادرِ المُـــنعمِ البَـــرِ الـــرحيمِ الغـــافرِ

ثــم الصــلاةُ والســلامُ الســرمدي ‏ ‏ علــى النبــي المصــطفى محمــدِ

ونســــألُ اللهَ قبـــولَ المعــــذرهْ ‏ ‏ والعفــو عنــا وجميــع المغفــرهْ

- **وهذه المنظومة ترشدنا إلى عدة أمور:**

الأمر الأول: أنَّ الديريني أخذ العلم عن أشياخ وأساتذة كثيرين، وأنَّ الذين ساهموا في بناءِ الشخصية الدرينية - عِلمًا وسُلوكًا - عددٌ غفير وجمعٌ كبير.

وهو مَلمَحٌ ملموسٌ في حياة كل عالم وصاحب نهضة؛ أن لا يقتصر في رحلته العلمية على شيخ أو أستاذ واحد، بل يتخذ له في مسيرته أكثر من شيخ؛ حتى تتسع مداركه، وتتنوع أفكاره، وتكتمل رؤيته للأمور؛ لأن بطبيعة الحال كل شيخ وله طريقته وكل أستاذ وله مساره الفكري ومشربه الخاص، فمَنْ يقتصر على واحد فقط؛ فقد وضعَ نفسهُ في زواية ضيقة جامدة، مع أنَّ العلمَ بابهُ واسع!!

الأمر الثاني: أن الشيخ الديريني كان وفيًّا لأساتذته، فلم ينسهم، بل ذكرهم وشكرهم ودعا لهم وعرَّف للدنيا قدرهم.

والوفاء خُلقٌ عظيم من أخلاق الإسلام التي انقرضت في عالمنا المعاصر، فقلَّما تجدُ الآن أحدًا يذكر أساتذته وأفضالهم عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأمر الثالث: أنَّ الديريني لم يصل إلى ما وصل إليه من العلم والشهرة والأخلاق في يوم وليلة، بل جدَّ واجتهد وصابر وداوم في تحصيل العلوم من مصادرها الأساسية سنوات طويلة، فسافر بين البلاد، وتنقَّل من أستاذٍ لأستاذ، يتلقَّف العلمَ من قلوب رجاله الصادقين، حتى اشتد عوده واكتمل تكوينه وأصبح الهلالُ بدرًا منيرا.

الأمر الرابع: أنَّ الديريني لم يأخذ العلم من أي شخص، ولم يقصد درسَ أيّ أستاذ تَسمَّى بالمُعلِّم وفقط، بل اختار بدقة وعناية مَنْ يأخذ عنهم العلم والأدب، فنراه أخذ العلم عن: العز بن عبد السلام، وأبو الفتح الواسطي، والإنباري، وابن تغلب، وزين الدين المحلي... وغيرهم من العلماء الأكابر.

وهذه رسالة قوية لكل طالب علم الآن؛ أن يبحث عن الأساتذة المَهَرة الأكفاء، الأقوياء في مادتهم العلمية، الأتقياء في سلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم... وألا ينخدع في كُلِّ مَنْ نصَّبَ نفسه شيخًا ومُعلِّمًا، وهو في الواقع مُدَّعٍ كذاب جاهل يُحب التصدر والظهور.

***

منظومات الدريني في المثلثات اللغوية

المثلثات اللُّغويَّة مظهر من مظاهر الذوق اللغوي عند العرب، وهي فن يجنح إليه كل من أراد أن يتخذ إلى الأدب سبيلًا.

وهي عبارة عن منظومات تعتمد فكرتها على الجمع بين ثلاث كلمات في مقاطع مسلسلة (مثلثات)، يتغيّر معنى الكلمة فيها بتغيّر تشكيل حرف واحد، بدءًا بالفتح ثم الكسر ثم الضم، فهي تقوم على دراسة لغوية دلالية للمفردات التي تتفق في البناء الصرفي من حيث ترتيب الحروف ولكن تختلف في حركاتها.

<u>مثال على ذلك:</u>

(الحَلْمُ) بفتح الحاء يعني: فسادُ الأديم، و(الحِلْمُ) بكسرها: الاحتمال، و(الحُلْمُ) بالضم: الاحتلام في النوم.

(السَبتُ) بالفتح: اليوم المعروف، و(السِبت) بالكسر: النَعال اليمانية، و(السُبت) بالضم: نوع من أنواع النبات يُغسل به الرأس.

إذن الكلمة واحدة بنفس الحروف بنفس الترتيب، لكن الفرق بينهم – فقط - يكون في تشكيل حرف واحد (فتح - كسر - ضم).

وسميّت (**مثلثات**)؛ لأنها تجمع كل ثلاث كلمات في مجموعة، تتغير معانيها حسب حركاتها.

وأول من فتح لهذا الفنّ بابهُ إمامُ اللُّغة أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت: 206هـ)[282]، حين وضع كتابًا صغيرًا منثورًا في المثلثات، كان له فيه فضيلة السبق، وليس الاستيعاب؛ ذلك أنَّ كتابه لم يحوِ أكثر من 32 مثلثًا فقط[283]، ومع ذلك فقد نال عين الرّضا عند الأئمَّة العُلماء، فتناولوه بالشَّرح والنَّظم وما إليهما، أمثال: سديدِ الدِّين البَهْنَسِيُّ، وإبراهيم الأزهري، وضياءِ الدِّين أبو العز عبد المغيث البغدادي الحنبلي، وجلال الدين السيوطي... إلخ.

---

(282) هو الإمام اللغوي أبو علي محمد بن المستنير البصري، كان من تلاميذ سيبويه، وهو الذي لقبه بقُطرب، حين وجده لا يأتيه أبدًا إلا مبكرًا في أول النهار، وكلما فتح الباب وجده، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل. والمقصود بقطرب الليل: دويبة لا تزال تدب طيلة ليلها ولا تهتدي. وفي حديث سيدنا ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول: (إن القطرب لا تستريح نهارها سعيا)، وفي ذلك يشبه عبد الله بن مسعود الرجل يسعى نهارا في حوائج دنياه فإذا أمسى أمسى كالاً تعبا، فينام ليلته حتى يصبح لا يتحرك. ومن هنا غلب عليه هذا الإسم، واشتهر به.

كان - رحمه الله - من كبار أئمة اللغة في عصره، وهو أول من وضع المثلث في اللغة العربية، وتبعه غيره، كالبطليوسي، والخطيب والبلنسي، وكان معلما لأولاد الأمير أبي دلف المجلي.

وله مؤلفات كثيرة منها: كتاب النوادر - وكتاب الأضداد - معاني القرآن الكريم - كتاب الأزمة - خلق الإنسان - غريب الحديث - كتاب العلل في النحو - كتاب الاشتقاق - كتاب القوافي - كتاب الأصول - خلق الفرس - كتاب الأصوات - كتاب الصفات - الرد على المحلقين - كتاب الفرق..... وغيرهم.

(283) وقيل: 29 مثلثا فقط كما ورد في بعض نسخ المخطوطات.

بل إنَّ من العلماء من اتَّخذ مثلث قُطرُب نواةً لتأليف كتاب كبير في المثلثات، يستوعب فيه ما أتى عليه قُطرُب، ويزيد عليه أشياء وأشياء، مثل: **المثلث** لابن السيد البطليوسي، **وإكمال الإعلام بتثليث الكلام** لابن مالك، **والمثلث المختلف المعنى** للفيروزآبادي .... الخ.

كذلك كان سيدي عبد العزيز الدريني من العلماء الكبار الذين شاركوا في هذا التراث، فعمل مُربَّعين في المثلثات اللُّغويَّة:

الأوَّل: يعرف بمنظومة المورث لمشكل المثلث.

والثاني: يعرف بمربع مثلث قطرب.

بل إن الإمام السبكي أشار إلى نظم ثالث للشيخ الديريني فيما يتعلق بالمثلثات اللغوية، رتبه أيضًا على حروف المعجم، ضم فيه ألفاظًا مُثلثة، اختارها من أُمَّهات المصادر اللُّغويَّة بعيدًا عن ألفاظ قطرب.[284]

يقول في مطلعه:

أُراعي النبت من أَبٍّ **وحَبِّ** وَأشْهد فِي الْوُجُود جمال **حِبِّي**

وأذهل سكرة من فرط **حُبِّ** وَكم أهْدى النسيم إِلَيّ عطرا

بقاعهم سُقيت غزير **قَطر** وَلَا سقيت عداتك غير **قِطر**

لقد أهْدى نسيمك كل **قُطر** فَبَثَّ مَسَرَّة وأزال عذرا

---

(284) طبقات الشافعية للسبكي (8/ 203).

المُوْرِثِ لِمُشْكِلِ الْمُثَلَّث

في هذه المنظومة [285] قام سيدي عبد العزيز الدريني ـ بعد أن افتتحها بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى – بشرح وتوضيح معاني المثلثات (الكلمة الواحدة بحركاتها الثلاثة) التي ذكرها الإمام أبو علي قُطرب النحوي في كتابه الذي ألفه عن المثلثات اللغوية.

نص المنظومة

حَمْدًا لِبَارِئِ الأَنَامْ — ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمْ

مَا نَاحَ فِي دَوْحٍ حَمَامْ — عَلَى الرَّسُولِ الْعَرَبِي

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ — وَمَنْ تَلاَ مِنْ حِزْبِهِ

سَبِيْلَهُ فِي حُبِّهِ — عَلَى مَمَرِّ الْحِقَبِ

وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ بِمَا — أوْرَدْتُهُ شَرْحًا لِمَا

قَدْ كَانَ قَبْلاً نُظِمَا — مُثَلَّثًا لِقُطْرُبِ

مُقَدِّمًا فَتْحًا عَلَى — كسرٍ وضمٍّ مُسْجَلا

---

(285) إشار إليها إسماعيل باشا البغدادي في كتابه «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» (4/ 604)، وكذلك في كتابه هدية العارفين (1/ 581)، وأكد على نسبتها لسيدي عبد العزيز الدريني.

وَهَكَـــــذَا عَلَـــــى الْــــوِلاَ نَظْمًـــــا عَلَـــــى التَّرَتُّــــبِ

فَسَــــــمِّهِ بــــــــالمُوْرِثِ لِمُشْــــــــكِلِ الْمُثَلَّـــــــــثِ

مِـــــنْ غَيْـــــرِ مَـــــا تَرَيُّـــــثِ وفُـــــــزْ بِنَيْـــــلِ الأَرَبِ

وَسَـــلْ مِـــنَ المَـــوْلَى العَلـــيِّ غُفْـــــرَانَ كُـــــلِّ الزَّلَـــــلِ

ثـــــمَّ قُبـــــولَ العمـــــلِ بالمصــــــطفى المقـــــــرَّبِ

صـــــلّى عليـــــه ذو العُـــــلا مـــــا هطلـــــتْ مـــــزْنٌ علـــــى

رَبْـــــعٍ فأضـــــحى مُـــــبقلا مـــــن كـــــلِّ نـــــوعٍ طيِّـــــبِ

فَـــــالْغَمْرُ مَـــــاءٌ غَـــــزُرَا **وَالْغِمْـــــرُ** حِقْـــــدٌ سُـــــتِرَا

وَالْغُمْـــــرُ ذُو جَهْـــــلٍ سَـــــرَى فِيْـــــهِ وَلَـــــمْ يُجَـــــرِّبِ

تَحِيَّـــــةُ الْمَـــــرْءِ **السَّـــــلاَم** وَاسْـــــمُ الْحِجَـــــارَةِ **السِّـــــلاَم**

وَالْعَـــرْفُ فِـــي الْكَـــفِّ **السُّـــلاَم** رَوَوْهُ فِـــــي لَفْـــــظِ النَّبِـــــي

أَمَّـــــا الْحَـــــدِيْثُ **فَـــــالْكَلاَم** وَالْجَـــرْحُ فِـــي الْمَـــرْءِ **الْكِـــلاَم**

وَالْمَوْضِـــعُ الصُّـــلْبُ **الْكُـــلاَمْ** لِلْيَـــــــبْسِ وَالتَّصَـــــــلُّبِ

الْحَـــــرَّةُ الْحِجَـــــارَة **وَالْحِـــــرَّةُ** الْحَـــــرَارَة

وَالْحُرَّةُ الْمُخْتَارَة — مِنْ مُحْصَنَاتِ الْعَرَبِ

والْحَلْمُ ثَقْبٌ فِي الأَدِيْم — **وَالْحِلْمُ** مِنْ خُلْقِ الْكَرِيْم

وَالْحُلْمُ فِي النَّومِ العميْم — بِالصِّدْقِ أَوْ بِالْكَذِبِ

السَّبْتُ يَوْمٌ عُهِدَا — **وَالسِّبْتُ** نَعْلٌ حُمِدَا

وَالسُّبْتُ نَبْتٌ وُجِدًا — فِي مَعْمَرٍ أَوْ سَبْسَبِ

لشِدَّة الْحَرِّ **السَّهَام** — وَلِلنِّبَالْ قُلْ **سِهَام**

وَلِضِيَا الشَّمْسِ **سُهَام** — بمَشْرِقٍ أَوْ مَغْرِبِ

وَدَعْوَةُ الْمرءِ **الدُّعَا** — **وَدِعْوَةُ** الْعبدِ **الدِّعَا**

وَدُعْوَةٌ مَا صُنِعَا — لِلأَكْلِ وَقْتَ الطَّرَبِ

فالشَّرْبُ جَمْعُ النُّدَمَا — **وَالشِّرْبُ** حَظٌّ قُسِمَا

وَالشُّرْبُ فِعْلٌ عُلِمَا — وَقِيلَ مَاءُ الْعِنَبِ

والْخَرْقُ مَا قَدْ عَظُمَا — **وَالْخِرْقُ** حُرٌّ كَرُمَا

وَالْخُرْقُ حُمْقٌ لَؤُمَا — فَمِنْهُ كُنْ ذَا هَرَبِ

عَتْبُكَ لِلْمَرْءِ **اللَّحَا** — وَقِشْرَةُ الْعُودِ **اللِحَا**

وَجَمْـــــعُ لِحْيَـــــةٍ **لُحَــــا**	بِالضَّـــمِّ وَالْكَسْـــرِ حُبِـــي
جَمَاعَـــــةُ النَّـــاسِ **الْمَـــلاَ**	وَقُـــلْ أَوَانـــيهِمْ **مِـــلاَ**
لِباسُـــهُمْ مِـــنَ **الْمُـــلاَ**	مِـــنْ عَبْقَـــرٍ مُـــذَهَّبِ
والشَّـــكْلُ عَـــيْنُ الْمِثْـــلِ	**وَالشِّـــكْلُ** حُسْـــنُ الـــدَّلِّ
وَالشُّـــكْلُ قَيْـــدُ الْغُـــلِّ	مَخَافَـــــةَ التَّوَثُّـــــبِ
قُـــلْ ثُلـــةٌ فِـــي **صَـــرَّه**	وَقِـــرَّةٌ فِـــي **صِـــرَّه**
وَخِرْقَـــةٌ فِـــي **صُـــرَّه**	مَشْـــدُودَةٌ مِـــنْ ذَهَـــبِ
والْعُشْـــبُ يُـــدْعَى **بِـــالْكَلاَ**	وَلِلْحِرَاسَـــــةِ **الْكِـــلاَ**
وَجَمْـــعُ كُلْيَـــةٍ **كُـــلاَ**	مـــن كُـــلِّ حَـــيٍّ ذِي أَبِ
الْقَسْـــطُ جَـــوْرٌ رُفِضَـــا	**وَالْقِسْـــطُ** عَـــدْلٌ فُرِضَـــا
وَالْقُسْـــطُ عُـــوْدٌ مُرْتَضَـــى	لعَرفِـــــه الْمُطَيَّـــــبِ
الْعَـــرْفُ رِيْـــحٌ طَيِّـــبُ	**وَالْعِـــرْفُ** صَـــبْرٌ يُنْـــدَبُ
وَالْعُـــرْفُ أَمْـــرٌ يَجِـــبُ	عِنْـــدَ ارْتِكَـــابِ الرِّيَـــبِ
والْجَـــدُّ وَالِـــدُ الأَبِ	**وَالْجِـــدُّ** ضِـــدُّ اللَّعِـــبِ

وَالْجُـــدُّ عِنْـــدَ الْعَـــرَبِ — اَلْبِيـــــرُ ذَاتُ الْخَــــرَبِ

جَارِيَــــةٌ إِحْـــدَى **الْجَـــوَار** — وَمَصْـــدَرُ الْجَــارِ **الْجِـــوَار**

وَرَفْـــعُ صَـــوْتٍ **الْجُـــوَار** — مِــــنْ جِـــزعٍ أَوْ حَـــرَبِ

شَـــــجَّةُ رَأْسٍ **أَمَّـــــة** — تُــــدْعَى وَقَـــالُوا **إِمَّـــة**

لِنِعْمَـــــــةٍ **وَأُمَّـــــــة** — مِـــنْ عَجَـــمٍ أو عَـــرَبِ

وَدَارُهُ قَـــــدْ **عَمَـــــرَت** — عِمَــــــارَةً **وَعَمِـــــرَت**

نَفْـــسُ الْفَتَـــى **وَعَمُـــرَت** — أَرْضُـــكَ بَعْـــدَ الْخَـــرِبِ

طَيْـــرٌ شَــهِيْرٌ **الْحَمَـــام** — وَالْمَــوْتُ فــي العُــرْفِ **الْحِمَـام**

وَعَلَمًـــا جَـــاءَ **الْحُمَـــام** — عَلَـــى فَتًـــى مُنْتَسِـــبِ

لِمِحْنَـــــةٍ قُـــلْ لَمَّـــة — وَشَـــــعْرُ رَأْسٍ لِمَّـــــة

وَجَمْـــعُ نَـــاسٍ لُمَّـــة — مَـــا بَـــيْنَ شَـــيْخٍ وَصَـــبِي

الْمَسْـــكُ جِلْـــدٌ يَـــا غُـــلاَم — **وَالْمِسْـــكُ** مِـــنْ طِيْـــبِ الْكِـــرَام

وَالْمُسْـــكُ بُلْغَـــةُ الطَّعَـــام — تَكْفِـــي الْفَتَـــى مِـــنْ نَشَـــبِ

الحَجْـــر فـــي الثـــوب الأمـــام — **والحِجـــر** بالبيـــتِ الحـــرام

وحُجْــــرُ والــــدٌ همـــــام   لامـــــرِئِ قــــيسِ العـــــربِ

ذائـــــبُ ثلـــــجٍ **سَـــــقْطُ**   وعــــينُ نـــــارٍ **سِـــــقطُ**

لولـــــدٍ قـــــلْ **سُـــــقطُ**   إنْ لـــــمْ يـــــتِمَّ فاحسِـــــبِ

مُتَّصِـــــلُ الرَّمْـــــلِ **الرَّقَـــاق**   وَفِـــي مَسِـــيلِ الْمَـــا **الرِّقَـــاق**

وَالْخُبْـــــزُ إنْ رَقَّ **الرُّقَـــاق**   يُقَـــــالُ عِنْـــــدَ الْعَـــــرَبِ

وسُـــــؤْرُ لَيْـــــثٍ **قَمَّـــــة**   وَرَأسُ طَـــــوْرٍ **قِمَّـــــة**

بِكَسْـــــرِهَا **وَالْقُمَّـــــة**   مَزْبَلَـــــةٌ لِلْقَشَـــــبِ

صـــــوتُ الحديـــــدِ **الصَّـــــلُّ**   حيَّـــــةُ الرّمـــــل **الصِّـــــلُّ**

تَغَيُّـــــرُ الْمَـــــا[286] **الصُّـــــلُّ**   فـــــلا يكـــــادُ يُشْـــــرَبِ

ظَبْـــــيٌ كَحِيْـــــلٌ **الطَّـــــلاَ**   وَالْخَمْـــــرُ قُـــــلْ فِيْـــــهِ **الطِّـــــلاَ**

وَطُلْيَـــــةٌ مِـــــنَ **الطُّـــــلاَ**   جِيْـــــدُ الْفَتَـــــى الْمُهَـــــذَّبِ

أَمَّـــــا الْغَـــــزَالُ **فَالرَّشَـــــا**   وَالْحَبْـــــلُ لِلـــــدَّلْوِ **رِشَـــــا**

وَبـــــذْلُ مَـــــالِ **الرُّشَـــــا**   لِحَـــــاكِمٍ مُسْـــــتَكْلِبِ

---

(286) أي: الماء.

حَــــبٌّ الْقَرَنْفُـــــلِ **الزَّجَــــاج** وَزُجُّ الأرْمَــــــاحِ **الزِّجَـــــاج**

وَلِلْقَــــــــوَارِيْرِ **الزُّجَـــــاج** وَهْــــــوَ سَــــــرِيْعُ الْعَطَـــــبِ

رِيْـــــقُ الْحَبِيْـــــبِ **الظَّلْـــــمُ** وَفِـــــي النَّعَـــــامِ **الظِّلْـــــمُ**

فَحْـــــلٌ وَأَمَّـــــا **الظُّلْـــــمُ** فَـــــالْجَوْرُ مِـــــنْ ذِي غَضَـــــبِ

الْمَـــــتْنُ لِلْمَـــــرْءِ **الْقَـــــرَا** نـــــزولُ ضَـــــيْفٍ **الْقِـــــرَى**

وَجَمْـــــعُ قَرْيَـــــةٍ **قُـــــرَى** كمَكَّـــــــــةٍ وَيَثْـــــــــرِبِ

الْقَطْـــــرُ غَيْـــــثٌ سَـــــاكِبُ **وَالْقِطْـــــرُ** صِـــــفْرٌ ذَائِـــــبُ

وَالْقُطْـــــرُ عُـــــودٌ جَلبُـــــوا مِـــــنْ عَـــــدَنٍ فِـــــي الْمَرْكَـــــبِ

كُنَاسَـــــةُ الْبَيْـــــتِ **اللَقَـــــا** وَالزَّحْـــــفُ لِلحَـــــرْبِ **اللِقَـــــا**

وَأَنْـــــتَ أَعْقَـــــدْتَ **اللُقَـــــا** مِـــــنْ عَسَـــــلٍ بِاللَهَـــــبِ

الْحيَّـــــةُ اسْـــــمُ **الْمَنَّـــــة** والامتنـــــــانُ **الْمِنَّـــــة**

وَالقـــــوة اسْـــــمُ **الْمُنَّـــــة** وَهْـــــيَ دَلِيْـــــلُ الْغَلَـــــبِ

هَـــــذَا تَمَـــــامُ شَـــــرْحِ مَـــــا نَظَـــــمَ مَـــــنْ تَقَـــــدَّمَا

مِـــــنْ أُدبَـــــاءِ الْعُلَمَـــــا مُثَلَّثَـــــا لقُطْـــــــرُبِ

هَذَّبَــــــــــهُ بالْحُـــــــــــبِّ	رَجَـــــاءَ عَفْـــــوِ الـــــرَّبِّ
عَمَّـــا جَنَـــى مِــــنْ ذَنْـــبِ	عَبْــــدُالْعَزِيزِ الْمَغْرِبِـــــي[287]
مُصَـــلِّيًا مُسَــــلِّمًا عَلَـــى	رَسُــــــــولِ الْكُرَمَــــــا
مُحَمَّــــدٍ مَـــنْ قَـــدْ سَــمَا	علــــى جميــــعِ العــــربِ
وَالآلِ وَالأَصْــــــــــــحَابِ	مَــــا لاَحَ بَرِيْــــقُ يَثْــــرِبِ

***

مُرَبَّع في مثلثات قطرب اللغوية

في هذه المنظومة ذكر الديريني كل مثلثة في بيتين، يُشكلان زمرةً، وفي كل شطر منهما وجه من أوجه المفردة، بادئًا **على طريقة قُطرُب** بوجه الفتح ثم الكسر ثم الضم، وبدأ كل زمرة بحرف من حروف الهجاء، **ورتَّبها على حروف المعجم**، وختم الشطر الثاني من البيت الثاني **بحرف الراء المفتوحة**، مشفوعا بألف الإطلاق رويًّا في كل الزمر.

وقد قام أحد الباحثين **(عدنان عمر الخطيب)** بتحقيق هذه القصيدة تحقيقًا علميًا دقيقًا، معتمدًا في تحقيقه على النُسخ المخطوطة والمطبوعة للقصيدة، جزاه الله خيرًا.[288]

(287) هو الإمام عبد العزيز الدريني، ولكن لقَّب نفسه هنا (بالمغربي)؛ لأنه كتب هذه الأبيات وهو في المغرب، وكما ذكرنا في بداية الترجمة أن للشيخ ألقاب مختلفة بحسب الأماكن التي كان ينزلها والله أعلم.

وهذا هو نص المنظومة كما ذكرها الباحث الكريم:

حرف الألف

إذا عاينـتَ سَـيْلَ الحُـب **غَمْـرا** وقـد مُلئـتْ بـكَ الأعـداءُ **غِمْـرا**

فلا تكُ في الهوى يا صاحِ **غُمْرا** وسِـرْ عَسْـفًا ودَعْ زيـدًا وعَمْـرا

الغَمْـرُ بـالفتح: الكثيـرُ. والغِمْـرُ بالكسـر: الحِقْـدُ. والغُمْـرُ بالضـم: الحَـدَثُ الجاهلُ بالأمور.

حرف الباء

بــه نرجــو الســلامةَ **والسَّــلاما** ويلقـــى مَـــنْ يُعنِّفُـــكَ **السِّــــلاما**

فــلا تختــرْ لقِصِــتكَ **السُّــلامى** وصَـرِّحْ باسـمِ مَـنْ تهـواهُ جَهْـرا

السَّــلامُ، بــالفتح: التحيــةُ بــين النــاس، والسِّــلام بالكســر: الحجــارة، والسُّــلامى بالضـم: عظـامُ ظهـر الكَـف، وهـي كنايـة عـن ضـرورة ألاّ تكون ضعيفًا.

حرف التاء

تعلَّـــل بالرجــاءِ **وبـــالكَلامِ** لمـــا تلْقـــاهُ مـــن ألِـــم **الكِــلامِ**

ولا تجـزعْ مـن الأرضِ **الكُـلامِ** فبعـدَ العُسْـرِ يلقـى المـرءُ يُسْـرا

---

(288) نقلا عن بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، صفحات 589- 627.

الكَـلامُ، بـالفتح: الكـلامُ المعـروفُ. والكِـلامُ، بالكسـر: الجِـراحُ. والكُـلامُ، بالضم: الأرض اليابسةُ.

حرف الثاء

ثَــواءٌ بــين كُثبــانٍ **وحَــرَّةْ**　　وطــيٌّ مَهَامــه تُطــوى **وحِــرَّةْ**

أقــلُّ أذًى يُلاقيــه ابــنُ **حُــرَّةْ**　　فصـبرًا يـا أُهَيـلَ الحُـب صـبرا

الحَـرِّة، بـالفتح: حصـى أبـيض وأسـود. والحِـرَّةُ، بالكسـر: العطـشُ. والحُرَّة بالضم: الخالصةُ من النساء.

حرف الجيم

جفـا الأحبـابِ زادَ الجسـمَ **حَلْمـا**　　ومـا أبقـى الهـوى للصـبِّ **حِلْمـا**

فلـو ذاقَ الكَـرَى أوصـابَ **حُلْمـا**　　لكـانَ لـه بـزَورِ الطيْـفِ بُشْـرا

الحَلْــمُ، بــالفتح: فســادُ الأديــم، والحِلْــمُ، بالكســر: الاحتمــال، والحُلْــمُ، بالضم: الاحتلام في النوم.

حرف الحاء

حبيـبٌ زارنـي فـي يـوِم **سَـبْتِ**　　فقُمْـتُ مُبـادرًا مـن غيـر **سِـبْتِ**

وقـد نشـرَ الربيـعُ ثيـابَ **سُـبْتِ**　　وهـبَّ نسـيمُ غُصـنِ البـان نَشْـرا

والسَـبتُ بـالفتح: اليـوم المعـروف، والسِـبت بالكسـر: النَعـال اليمانيـةُ، والسُبت بالضم: نوع من أنواع النبات يُغسل به الرأس.

حرف الخاء

خليلـــيْ إنَّ فـــي قلبـــي **سَـــهَاما** وفـــي الأحشـاءِ مِـن وَجْـدي **سِـهَاما**

كـــأن جـــوانحي ترمـــي **سُـــهَاما** فمهـــلاً قـــد أقـــامَ الحُـــبُّ عُـــذْرا

السَّــهَام بــالفتح: شــدة الحــر، والسِّــهَام بالكســر: النبــل، والسُّــهَام بالضــم: لُعابُ الشمس.

حرف الدال

دعـا داعـي سُـلُوِّي ألـفَ **دَعْـوَهْ** ومــا دَعــواهُ عنــدي غيــرُ **دِعْـوَهْ**

وقـد أعـددْتُ بـذلَ الـروح **دُعْـوَهْ** رضًـــا لمبشِّـــري بالوَصـــلِ نَـــذْرا

الـدَّعوة بـالفتح: الـدعاء، والـدِّعوة بالكسـر: أن يُـدعى الرجـلُ إلـى قـوم ليس منهم، والدُّعوة بالضم: الطعام المِدْعُوّ إليه.

حرف الذال

ذكـرْتُ زمـانَ إخـواني **وشَـرْبي** وقـد كـانَ الرضـا والقُـرْبُ **شِـرْبي**

فمـــالي قـــد مُنعْـــتُ اليـــوَمَ **شُـــربي** وهُـــمْ مـــا عَـــوَّدُوا المُشْـــتاقَ هَجْـــرا

الشَّــرْب بـــالفتح: اجتمـــاعُ القـــوم للشُّـــرب وغيـــره، والشِّـــرْب بالكســـر: النَّصيبُ، والشُّرْب بالضم: الشَّرابُ المعروف.

حرف الراء

ركبْـتُ مفـازةً وقطعْـتُ **خَرْقـا** ونِلْـتُ مَطَـالبي وصَـحِبْتُ **خِرْقـا**

وقُـــلْتُ لعـــاذلٍ قـــد لامَ **خُرْقـــا** ألا إنـــي بســـرِّ الحُـــب أدرى

الخَـرْق بـالفتح: الصـحراءُ الواسـعةُ، والخِـرْق بالكسـر: الرجـل الكامـل، والخُرْق بالضم: الجهلُ والحمقُ.

حرف الزاي

زهـا فـدَعِ **اللَّحـا** واتـرُكْ مَلامـي فقـــد بلـــغَ **اللِّحـــا** ســـيل الغَمَـــامِ

وفـي شَـيْب **اللُّحَـى** كـاسُ الحِمَـام وأصـحابُ الهـوى فـي الحُـبِّ أسـرى

اللَّحــا بــالفتح: الملاحــاة أي النــزاع والاخــتلاف، اللِّحــا بالكســر: قشْــر العـود، وهـو أيضًـا جمـعُ لِحْيَـة، واللُّحـا بالضـم: العظـمُ الـذي تنبُـتُ عليـه اللِّحْيَة.

حرف السين

سَـلُوا عنــي **المَــلا** فيهــا قَــراري وأَنْـــــهُرُها **المِــلا** منهــا عُقَــاري

وما تُغني **المُـــــلا** مـــــن الكِتمـــــان لا يحتـــــاجُ سِـــــتْرا

المَـلا بـالفتح: الجماعـةُ مـن النـاس، والمِـلا بالكسـر: جمـع مَـلآن، والمُـلا بالضم: جمع مُلاءة وهي المِلحَفة.

حرف الشين

شُـجُوني مـا لهـا فـي النَّـاسِ **شَـكْلُ** ولـــيسَ يَروقُنـــي حُـــورٌ **وشِـــكْلُ**

وكِتمـانُ الهـوى يـا صـاحِ **شُـكْلُ** فَحُـلَّ القَيْـدَ واطـرَحْ عنـكَ إصْـرا

الشَـكْل بـالفتح: الشِّـبْه، والشِـكْل بالكسـر: الـدلال، والشُـكْل بالضـم: جمـع شِكَال وهو القَيْد.

حرف الصاد

صَبَتْ شـوقًا إلـى نَـعْمَانَ **صَـرَّهْ** وَمـا التفتـوا إلـى حَـرٍّ **وصِـرَّهْ**

فَسـرْ معهـم وهَـوِّن ألـفَ **صُـرَّهْ** فبـذلُ الـرُّوحِ للمحبـوبِ أحـرى

النعمـان: هـو واد ينبـت شـجر الأراك بـين مكـة والطـائف، والصَـرَّة بـالفتح: الجماعـةُ مـن النـاس، والصِـرَّة بالكسـر: الليلـةُ البـاردةُ، والصُـرَّة بالضم: الخِرقَة المعروفة.

حرف الضاد

ضَـفَا نَـبْتُ **الكَـلا** والـرَّوضُ باسِمْ ونَحمـي **بـالكِلا** والشَّـوقُ حـاكمْ

وفـي ألـم **الكُـلا** نيـلُ المَكـارِمْ فخـاطرْ لـم تجـدْ للمـوت خَطْـرا

الكَـلا بـالفتح: النبـات، والكِـلا بالكسـر: الحِراسـة، والكُـلا بالضـم: جمـع كُلْيَة.

حرف الطاء

طِـلابُ عـواذلي جَـورٌ **وقَسْـطُ** وحُكْـمُ أحبتـي عَـدْلٌ **وقِسْـطُ**

وأنفـاسُ الحِمَـى النَّجـدي **قُسْـطُ** يَهـيمُ بعَرِفِهـا المشـتاقُ سُـكْرا

القَسْـط بـالفتح: الجَـور والظلـم، والقِسْـط بالكسـر: العـدل، والقُسْـط بالضم: نبتٌ طيبُ الرائحة.

حرف الظاء

ظِـلالُ الأيْـكِ منهـا فـاحَ **عَـرْفُ** فقلـتُ لعـاذلي لـم يبـقَ **عِـرْفُ**

وعنـدي أنَّ حُكـمَ الحُـبِّ **عُـرْفُ** ولـو ذابـتْ بـه الأجسـامُ قَـهْرا

العَـرْف بـالفتح: الرائحـةُ الطيبـة، والعِـرْف بالكسر: الصبْـر، والعُرْف بالضم: ما يتعارف عليه الناس.

حرف العين

عسـى حَـظٌّ يُسـاعدُني **وجَـدٌّ** فمـا يُغنـي بغيـرِ الجَـدِّ **جِـدُّ**

ومـا يَروي صدى المحرومِ **جُدٌّ** ولـو ألفـى جميـعَ الأرضِ نهـرا

الجَد بـالفتح: وهـو والـد الأب وأيضًـا معنـاه البخـتُ، والجِـد بالكسر: الاجتهاد، والجُد بالضم: هو البئر.

حرف الغين

غَـدَتْ زمنًـا تُغازلُنـا **الجَـواري** وفُـزْنا بالتواصـلِ **والجِـوارِ**

وبعـدَ النطْـقِ بالصـوتِ **الجُـوارِ** غَـدَتْ أطـلالُ ذاك الحـيِّ قَـفْرا

الجَـوار بـالفتح: النسـاء الأرقـاء، والجِـوار بالكسر: المجاورة، والجُـوار بالضم: الصوت الشديد.

حرف الفاء

فِـراقُ الإلـفِ أمَّ القلـبَ **أَمَّـهْ** وأقـوى رَبْـعُهُ مـن بعـدِ **إِمَّـهْ**

كذا حُكمُ الهوى في كلِّ **أُمَّـهْ** وقـد سـارتْ بـه العُشـاقُ تَـتْـرَى

أمَّـة بفتح الألف: الشجة، وإمَّـة بكسر الألف: كثرُةُ المـال، وأمَّـة بضم الألف: الجماعةُ من الناس.

حرف القاف

قِفُوا ثـمَّ اسـمعوا صـوتَ **الحَمَـامِ** ونوحُــوا مثلَهــا حتــى **الحِمَــامِ**

ونــادُوا مَعْلنًــا يــا بــنَ **الحُمَــامِ** لقـد عِشْـنا بخَفْـضِ العـيشِ دَهْـرا

الحَمَـام بـالفتح: الطـائر المعـروف، والحِمَـام بالكسـر: المـوت، والحُمَـام بالضم: اسمُ رجل.

حرف الكاف

كَفَــاني أن يَلُــمَّ الطَّيــفَ **لَمَّــهْ** ويُنْهِلُنــي ولــو بَلَــلًا **بلِمَّــهْ**

فمــالي بعــدَهُ أُنْــسٌ **بِلُمــهْ**(289) ولـو صــاحبْتُ كـل النـاس طُـرًّا

اللَّمَّــة بــالفتح: الإلتمــام، واللِّمَّــة بالكسـر: الـوَفْرةُ وجمعُهـا لِمَـمُ، واللُّمَّــة بالضم: الجماعةُ من الناس.

حرف اللام

لــهُ منــي ولاءٌ مثــلُ **مَسْــكِ** ومــن لفظــي ثنــاءٌ مِثــلُ **مِسْــكِ**

ولــم يتــرُك هــواهُ غيــرَ **مُسْــكِ** ولــي رَمَـقٌ فجُـدْ بـالعكس واقْـرا

المَسْـك بـالفتح: الجلـد، والمِـسْك بالكسـر: الطِّيْــبُ المعــروف، والمُسْك بالضم: ما مَسَكَهُ البدنُ من غذاء أو غيره.

حرف الميم

---

(289) أُنْسٌ بِلُمهْ: اسم رواية.

مَلَكْتَ القلبَ فاحكُمْ دونَ **حَجْرٍ** وهامَ بكاسِ حُبكَ كل **حِجْرٍ**

ولو ملكَ الهوى قلبُ ابن **حُجْر** لما أنشا بجَزْلِ القولِ شِعْرا

الحَجْر بالفتح: المنع، والحِجْر بالكسر: العقل، والحُجْر بالضم: يُراد به هنا امرئ القيس.

حرف النُّون

نسيمُ حِمَاكُمُ في الصدرِ **سَقْطُ** ونَفْحَةُ هجركِمْ في القلبِ **سِقْطُ**

وحُبُّ سِواكُمُ - لا شك - **سُقط** حقيرٌ يُزْدَرَى حُكمًا وذكْرا

السَّقْطُ، بفتح السين: الثلج والبرد، والسِّقْطُ بالكسر: ضياء النار ولهيبها، والسُّقْطُ بالضم: الشيء الحقيرُ الساقط.

حرف الهاء

هُيامي بين أثناءِ **الرَّقاقِ** وشُربي الماءَ من وَشَلِ **الرِّقاقِ**

وأكلُ حُثَالةٍ دونَ **الرُّقاقِ** إلى أن يقضيَ الرحمنُ أمرا

الرَّقاق بالفتح: الرمال أو الأرض اللينة، والرِّقاق بالكسر: ما انصبَّ منه الماء، والرُّقاق بالضم: الخبز المرقق.

حرف الواو

وكم سُلِبَتْ من الضِّرْغامِ **قَمَّهْ** ونيلَتْ بالعزائمِ كلُّ **قِمَّهْ**

إذا رضيَ الجبانُ بمثلِ **قُمَّهْ** فكُن رجلاً شَريفَ العَزْم حُرًّا

القَمَّــة بــالفتح: مــا أخــذه الأســدُ فــي فيــه، والقِمَّــة بالكســر: أعلــى الــرأس وأعلــى الشــيء، والقُمَّــة بالضــم: الكُنَاســة، يقــال: فلانــه تَقُــمُّ المســجد أي تكنسه وتنظفه.

حرف اللام ألف

لأصــواتِ النــدا فــي الــدارِ **صَــلُّ** يُجــاوبُني بهــا فــي الرَّسْــمِ **صِــلُّ**

ورَبْعٌ دارسُ الأطـــلال **صُـــلُّ** وهـل يشـفي النِّـدا ولْهـانَ مُغْـرَى

الصَّــلّ بــالفتح: الطنــينُ والــصليلُ، والــصِلُّ بالكــسر: حيــة صــفراءُ، والـصُلُّ بالضم: المُتَغَيـر المُنْتِن.

حرف الياء

يُنــادِمُني **الطَّــلا** فــي أرضِ نجــدِ كــأنيَ **بـــالطِّلا** ثَمِــلٌ بوَجْــدي

ومـــا مَيْـــلُ **الطُّـــلا** إلاَّ بجَهْـــدِ تميــلُ بِحِمْلِهــا الأعنــاقُ صُــغْرا

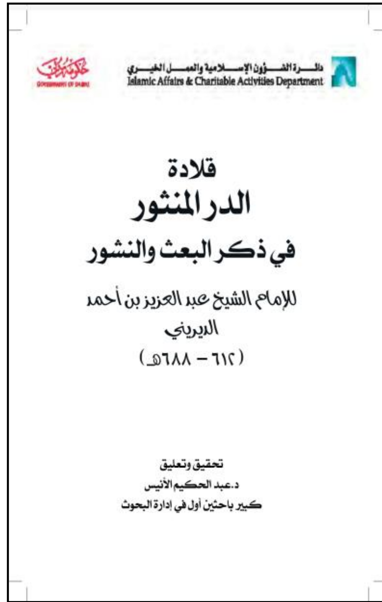
الطَّـلا، بـالفتح: ولـد الظبيـة، والطِّـلا بالكسر: مـن أسمـاء الخمـر، والطُّـلا بالضم: الأعناق.

***

قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور

قصيدة من القصائد التي تنسب لسيدي عبد العزيز الدريني، أشار لها البغدادي في هدية العارفين[290]، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي وقد ذكر لها سبع نسخ.

ولقد قامت بطباعتها دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي عام 2011م، بتحقيق وتنقيح الدكتور عبد الحكيم الأنيس.



أما عن محتوى القصيدة فهي كما يقول مدير إدارة البحوث الدكتور سيف بن راشد الحابري في افتتاحية طبعة الكتاب:

وهذه قصيدة جميلة جليلة، تألفت من (121) بيتًا، نظمها إمام رباني عالم عامل، يذكر فيها علامات الساعة، ثم يطل بنا إطلالة مؤثرة على العالم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب، وجنة ونار. وقد تجلت فيها براعته وقدرته على النظم، وظهر حسن قصده ونبل هدفه، ولهذا أدرجها ابن الوردي في كتابه **خريدة العجائب**[291]، وهي تطبع مستقلة أول مرة، محققةً على تسع نسخ

---

(290) هدية العارفين (1/ 581).

(291) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص 474.

خطيــة مــن الإمــارات ومصــر وســوريا والكويــت وتركيــا وأمريكــا واليابان. ولعلها خامس أثر يطبع للديريني إلى الآن.

ابتـدأ النــاظم قصـيدته بالثنــاء علــى الله تعــالى، والابتهــال إليــه، ثــم بـدأ يــذكر أشــراط الســاعة التــي ظهــرت، والتــي ســتظهر، وذَكَــرَ مــن العلامــات الكبــرى خــروج الــدجال، ونــزول عيســى عليــه الســلام، وخــروج يــأجوج ومــأجوج، وطلــوع الشــمس مــن مغربهــا، والدابــة والخراب والخسف والزلازل، وخروج النار.

ثــم ذكــر نفخــة الصــور الأولــى والثانيــة، وبعــثَ النــاس، وأحــوالهم فــي البعـث، وأهـوال الحشـر، وطَلَـبَ النـاس الشـفاعة مـن الأنبيـاء: آدم ونـوح وإبـراهيم وموسـى وعيسـى، وردَّهـم الأمـر فيهـا إلـى سـيدنا محمـد صـلى الله عليه وعليهم أجمعين.

واسترســل فــي وصــف الحشــر، والحســاب، ووزن الأعمــال، وأقســام المسـلمين عنـد الـوزن، وأحـوال النـاس علـى الصـراط، وشـفاعة النبـي صلى الله عليه وسلم والأنبياء، والحوض النبوي.

ثم ذكر النار، وأهلها، وطبقاتها، وعذابها، وأهوالها، وحذر منها.

ثــم الجنَّــة، وأهلهــا، ونعيمهــا، وعــددها، وطبقاتهــا، وأنهارهــا، وحورهــا، وطعامهــا، وأفــاض فــي أوصــافها وأحوالهــا، وشــوَّق إليهــا، وأثنــى علــى أهلها بأسلوب فيه تحضيض على الاقتداء بهم.

وخــتم القصــيدة بالابتهــال إلــى الله كمــا فــي البــدء. كــل ذلــك بمفــردات واضــحة ـ فــي الأغلــب ـ، وسلاســة فــي الــنظم وقــوة فــي التعبيــر والتأثير، ونفاذ إلى قلب القارئ والسامع.

وهذا يدل على صدق ناظمها، وعَمَله بما عَلِم، وإخلاصه فيما يقول، وعون الله له.[292]

نص القصيدة

اللهُ أعظمُ ممَّا جَالَ في الفِكرِ
وحُكْمُهُ في البرايا حُكمُ مُقتدرِ

مولى عظيمٌ حكيمٌ واحدٌ صمدٌ
حيٌّ قديمٌ مريدٌ فاطرُ الفِطَرِ

يا ربِّ يا سامعَ الأصواتِ صلِّ
على رسولك المجتبى من أطهر البشرِ

محمدُ المصطفى الهادي البشيرِ
هَدَى كلَّ الخلائقِ بالآيات والسورِ

وآله والصحاب الكائنين به
كأنجمٍ حول مَنْ يسمو على القمرِ

أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها
فُتورَ عزمي وما فرَّطتُ في عمري

وفرطَ ميلي إلى الدنيا وقد حسرتْ
عن ساعد الغدر في الآصال والبُكُرِ

(292) قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور ص11.

يــا ربنــا جُــد بتوفيــقٍ ومغفــرةٍ
وحُسـنِ عاقبـةٍ فـي الـوِرْدِ والصَـدرِ

قد أصبح الخلقُ في خوفٍ وفي ذُعرٍ
وزورِ لهوٍ وهُمْ في أعظَمِ الخَطَرِ

وللقيامــةِ أشــراطٌ وقــد ظهــرتْ
بعضُ العلاماتِ والبـاقي علـى الأَثـرِ

قَـلَّ الوفــاءُ فــلا عهـدٌ ولا ذمـمُ
واستَحكمَ الجهلُ في البادين والحَضَرِ

باعوا لأديانهم بالبخسِ من سُحتٍ
وأظهروا الفسقَ بالعدوان والأشرِ(293)

وجاهروا بالمعاصي وارتضوا بِدَعًا
عمَّـت فصَـاحِبُها يمشــي بـلا حَـذَرِ

وطالـبُ الحـقِ بـين النـاسِ مسـتترٌ
وصــاحبُ الإفـكِ فـيهم غيـرُ مسـتترِ

والـوزنُ بالويـل والأهـواءُ معتبـرٌ
والــوزن بــالحقّ فــيهم غيــرُ مُعتَبــرِ

وقد بدا النقصُ في الإسلام مشتهرًا

---

(293) أي: البطر والكبر.

وبُــدِّلتْ صــفوةُ الخيــرات بالكَــدَرِ

وسوف يخرجُ دجَّالُ الضلالةِ في هَرجٍ
وقحطٍ كما قد جاء في الخَبرِ

ويــدّعي أنــه ربُّ العبــادِ، وهــل
تخفى صفاتُ كذوبٍ ظاهرِ العَوَرِ؟

فنــارهُ جنّــةٌ، طــوبى لــداخلها
وزورُ جنَّتــهُ نــارٌ مــن السُّــعُرِ

شــهرٌ وعشــرُ ليــالٍ طــولُ مدّتــه
لكنهــا عَجــبٌ فــي الطــولِ والقِصَــرِ

فيبعــثُ اللهُ عيســى ناصــرًا حكمًــا
عــدلًا ويعْضُــدُهُ بالنصــرِ والظفــرِ

فيتبــعَ الكــاذبَ البــاغي ويقتُلــهُ
ويمحــقُ اللهُ أهــلَ البغــي والضــررِ

وقــام عيســى يُقــيمُ الحــقَّ مُتَّبعًــا
شريعةَ المصطفى المختارِ من مُضَرِ

في أربعين من الأعوامِ مُخصَّبةٍ
فيكســبُ المــالَ فيهــا كُــلُّ مُفتَقــرِ

وجيشُ ياجوج مع ماجوج قد خرجوا
والبغــيُ عــمَّ بســيلٍ غيــر منهمــرِ

حتـــى إذا أنفـــذ الله القضـــاء دعـــا
عيســـى فأفنـــاهم المـــولى علـــى قـــدرِ

وعـــاد للنـــاس عيـــدَ الخيـــر مكـــتملًا
حتـــى يـــتمّ لعيســـى آخـــر العمـــرِ

والشمسُ حين ترى في الغرب طالعـةً
طلوعهـا آيـة مـن أعظـم الكِبَـرِ

فعنـــد ذلـــك لا إيمـــان يُقبـــل مـــن
أهـــل الجحـــود ولا عـــذرٌ لمعتـــذرِ

ودابـــةٌ فـــي وجـــوه المـــؤمنين لهـــا
وســـمٌ مـــن النـــور والكفـــار بـــالقترِ

والخلـــفُ[294] هـــل فتنـــة الـــدّجال قبلهما
أو بعـدُ؟ قـد ورد القـولان فـي الخبـرِ

وكـم خـرابٍ وكـم خسـفٍ وزلزلـة
وفـــيح نـــار وآيـــاتٍ مـــن النّـــذرِ

ونفخـــةُ تُـــذهب الأرواحَ شـــدّتُها
إلا الـذين عُنـوا فـي سـورة الزُّمـرِ

(294) الخلف: أي اختلاف العلماء.

وأربعون مـن الأعـوام قـد حبسـت
نفخـاً تُبَـثُّ بـه الأرواح فـي الصُّـوَرِ

قـاموا حفـاةً عـراةً مثـل مـا خُلقـوا
من هول ما عاينوا سكرى بـلا سَكَرِ

قــومٌ مشــاةٌ وركبــانٌ علــى نُجَــبٍ
علــيهم حُلــلٌ أبهــى مــن الزَّهَــرِ

ويُسحبُ الظالمون الكافرون علـى
وجــوههم وتُحــيط النــارُ بالشَّــرَرِ

والشمسُ قد أُدنيت والناسُ فـي عـرقٍ
وفي زحامٍ وفي كربٍ وفي حَصَـرِ

والأرضُ قـد بُـدِّلت بيضــاءَ لـيس
لهـا خفـضٌ ولا ملجـأ يبـدو لمسـتترِ

طــال الوقــوفُ فجــاءوا آدمًــا
ورجوا شفاعةً مـن أبـيهم أول البشـرِ

فــردّ ذاك إلـــى نـــوحٍ فـــردّهم
إلــى الخليـل فأبـدى وصـفَ مُفتَقـرِ

إلــى الكلـيم، إلــى عيســى، فـردّهم

إلـى الحبيـبِ، فلبّاهـا بـلا حَصَـرِ [295]

فيسـأل المصـطفى فصـلَ القضـاء

لهم ليستريحوا من الأهـوال والخطـرِ

تُطوى السمواتُ والأمـلاكُ هابطـةٌ

حـول العبـادِ لهـولٍ مُعضـلٍ عَسَـرِ

والشمسُ قد كُوِّرت والكتبُ قد نُشرت

والأنجمُ انكـدرت ناهيـك مـن كَـدَرِ

وقـد تجلــى إلــهُ العـرش مقتــدرًا

سـبحانه جـلَّ عـن كيـفٍ وعـن فِكَـرِ

فيُأخــذُ الحــقُّ للمظلــومِ مُنتصــفًا

من ظـالمٍ جـارٍ فـي العـدوانِ والبَطَـرِ

والــوزنُ بالقســطِ والأعمــالُ قــد

ظهـرت ووزنهـا عِبـرةٌ تبـدو لمُعتَبـرِ

وكُــلُّ مَــنْ عَبـدَ الأوثــانَ يتبعهــا

بـإذن ربّـي، وصـار الكـلّ فـي سَـقَرِ

والمسلمون إلى الميزان قد قُسِّموا

ثلاثـــةً، فاســـمعوا تقســـيمَ مختصـــرِ

---

(295) بلا حصر: بلا ضيق ولا تبرم منهم.

فسـابقٌ رَجُحـتْ ميـزانُ طاعتـه
لـه الخلـود بـلا خـوفٍ ولا ذُعَـرِ

ومـذنبٌ كثُـرتْ آثامـه فلـه
شـفعٌ بـأوزاره، أو غَفْـرُ مُغتَفَـرِ

وواحد قد تساوت حالتاه، له الأعراف
حـبسٌ وبـين البِشْـرِ والخطـرِ

ويُكـرمُ اللهُ مثـواهُ بجنّتـهِ بجـودِ
فَضـلٍ عمـيمٍ غيـر مُنحصـرِ

وفي الطريق صراطٌ مُدَّ فوق لظى
كحـدِّ سـيفٍ سـطا فـي دقـة الشَّـعرِ

والناس فـي وِردهِ شـتّى، فمُستَبقٌ
كالبرقِ والطير، أو كالخيل في النظـرِ

سـاعٍ ومـاشٍ ومخـدوشٌ ومُعتلِـقٍ
نـاجٍ، وكـم سـاقطٍ فـي النـار مُنتَثـرِ

للمـؤمنين ورودٌ بَعـدَهُ صـدرٌ
والكـافرون لهـم وردٌ بـلا صَـدرِ

فيشـفعُ المصـطفى والأنبيـاء ومَنْ
يختـاره الملـكُ الـرحمنُ فـي زُمَـرِ

فــي كـل عــاصٍ لــه نفسٌ مقصّــرةٌ
وقلبهُ عن سوى الـربِّ العظـيمِ بَـرِيْ

فـــأوّلُ الشـــفعا حقًـــا وآخـــرهم
محمـــدٌ ذو البهـــاءِ الطيّـــب العَطِـــرِ

مقامـــهُ ذروة الكرســـيّ ثـــم لـــه
عقــدُ اللــواء بعــزٍ غيــرِ منحصــرِ

والحوضُ يشربُ منـه المؤمنـون غدًا
كالأرْي[296] يجري على اليـاقوت والـدّررِ

ويخلــقُ اللهُ أقوامًـــا قــد احترقــوا
كــانوا أُولــي العـزةِ الشـنعاءِ والنُّجَـرِ

والنــارُ مثــوًى لأهـل الكفـرِ كلهـمُ
طباقُهـــا ســـبعةٌ مســـودّةُ الحُفَـــرِ

جهـــنمٌ ولظـــى والحُطْـــم بينهمـــا
ثــم السـعير كمــا الأهــوال فــي سـقرِ

وتحـــت ذاك جحـــيمٌ ثـــم هاويـــةٌ
يهــوى بهـــا أبــدًا، سُــحقًا لمحتقــر

---

(296) الأرْي: العسل.

فــي كـل بــابٍ عقوبــاتٌ مضــاعفةٌ
وكــلُّ واحــدةٍ تطــوى علــى النَّفَــرِ

فيهــا غِــلاظٌ شِــدادٌ مــن ملائكــةٍ
قلــوبهمُ شــدّةً أقــوى مــن الحَجَــرِ

لهــم مقــامعٌ للتعــذيبِ مُرصَــدةٌ
وكــلُّ كَســرٍ لــديهم غيــرُ مُنجَبــرِ

ســوداءٌ مظلمــةٌ شــعثاءٌ موحشــةٌ
دهمــاءٌ محرقــةٌ لوّاحــةُ البَشَــرِ

فيهــا الجحــيمُ مُــذيبٌ للوجــوه مــع
الأمعـاء مـن شـدة الإحـراقِ والشَّـرَرِ

فيها الغُسَاقُ(297) الشديدُ البردِ يقطعهم
إذا اســتغاثوا بحــرٍّ ثَــمَّ مُســتَعرِ

فيهـا السلاسـلُ والأغـلالُ تجمعهـمُ
مــع الشــياطين قَسْــرًا جمــعَ مُنقهــرِ

فيها العقاربُ والحيَّـاتُ قد جُعِلـتْ
جلــودهم كالبغــالِ الــدُّهم والحُمُــرِ

والجوعُ والعطشُ المُضْـني ولا نَفَـسٌ

---
(297) الغساق: ما يسيل من صديد أهل النار.

فيهـــا ولا جَلَـــدٌ فيهـــا لمُصـــطَبرِ

لهـــا إذا مـــا غَلَـــتْ فـــورٌ يقلّـــبهم
مـــا بـــين مرتفـــعٍ منهـــا ومُنحَـــدرِ

جمعُ النواصي مع الأقدامِ صَيَّرهم
كـــالقوسِ محنيّـــةً مـــن شـــدةِ الـــوَتَرِ

لهـم طعـامٌ مـن الزقـومِ يَعلـقُ فـي
حُلـوقهم شـوكةً كالصَّـابِ والصَـبرِ

يا ويلهم عضَّـتْ النيـرانُ أعظمهـم
والمـوت شـهوتهم مـن شـدةِ الضـجرِ

ضجّوا وصاحوا زمانًا ليس ينفعهم
دعـــاءُ داعٍ ولا تســـليمُ مُصـــطَبرِ

وكـلُّ يـوم لهـم فـي طـول مـدّتهم
نـــوعٌ شـــديدٌ مـــن التعـــذيبِ والسُّـــعُرِ

كـــم بـــين دارِ هـــوانٍ لا انقضـــاءَ
لهـــا ودارِ أمـــنٍ وخُلـــدٍ دائـــمِ الـــدَّهَرِ

دارُ الـــذين اتّقـــوا مـــولاهم وسَـــعَوا
قصـــدًا لنيـــلِ رضـــاهُ ســـعيَ مـــؤتمرِ

وآمنـوا واسـتقاموا مثـلَ مـا أُمـروا

واستغرقوا وقتهم في الصوم والسَّهرِ

وجاهـدوا وانتهـوا عمـا يباعـدهم
عـن بابـه واسـتلانوا كُـلَّ ذي وَعَـرِ

جنَّاتُ عدنٍ لهم ما يشـتهون بهـا
في مقعدِ الصِّدقِ بين الـروضِ والزَّهَـرِ

بناؤهــا فضـــةٌ قــد زانهــا ذهــبٌ
وعينها المسكُ والحصبا من الـدّررِ

أوراقها ذهبٌ، منها الغصون دنـت
بكـلِّ نـوع مــن الرّيحـانِ والثمـرِ

أوراقهـــا حُلَـــلٌ شـــفافةً خُلقـــتْ
واللؤلؤ الرَطبُ والمرجانُ في الشَّجَرِ

دارُ النَّعـيمُ وجَنَّــاتُ الخُلــودِ لهــم
دارُ الســـلامِ لهـــم مأمونـــةُ الغِيَـــرِ

وجنَّةُ الخُلْدِ والمأوى، وكم جَمَعَتْ
جنَّاتُ عدنٍ هُم مِنْ مُونِـق(298) نَضِـرِ

طباقُهـــا درجـــاتٌ عـــدَّها مئـــةٌ
كـل اثنتـين كبُعـدِ الأرضِ والقمـرِ

---

(298) مونق: من الأناقة، والأنق هو الإعجاب بالشيء.

أعلــى منازلهــا الفــردوس عاليهــا

عــرشُ الإلــه فَسَـلْ واطمـع ولا تَـذرِ

أنهارهــا عســلٌ مــا فيــه شــائبةٌ

وخــالصُ اللــبن الجــاري بــلا كَـدَرِ

وأطيبُ الماءِ والخمرِ التـي سَلِمَتْ

مـن الصُـدَاع ونُطْـقِ اللهـو والسُـكُرِ

والكلُّ تحـت جبـال المسـك منبعهـا

يُجرونــه كيـف شـاؤوا غيـر محتجـر

فيهـــا نواهـــدٌ أبكـــارٍ مزينـــةٌ

يَبرُزْنَ مِن حُلَلٍ فِـي الْحُسْنِ والخَفَرِ

نساؤها المؤمناتُ الصابراتُ على

حفـظ العهـود مـع الإمـلاقِ والضَـررِ

كأنهنَّ بـدورٌ فـي غُصُـونِ نَقـا[299]

علـى كثيـبٍ بَدَتْ فـي ظُلْمـة السَّحَرِ

كلُّ امرئٍ منهم يُعطى قـُـوى مـئةٍ

في الأكلِ والشُّرْبِ والإفضا بلا خَوَرِ

(299) النقا: الكثيب من الرمل.

طعامهم رشحُ مسكٍ كلما عَرِقوا
عادت بطونهم في هضم منضمرِ

لا جوعَ لا بردَ لا همٌّ ولا نَصَبٌ
بل عيشهم عن جميع النائباتِ بري(300)

فيها الوصائفُ(301) والغِلمانُ تخدمهم
كلؤلؤٍ في كَمالِ الحُسنِ مُنْتَثِرِ

فيها غناءُ الجواري الغانياتِ لهم
بأحسن الذكر للمولى مع السَّمَرِ

لباسهم سندس حلّاتهمُ ذهبٌ
ولؤلؤ ونعيم غير منحصرِ

والذِّكْرُ كالنَّفَس الجاري بلا كُلَفٍ
ونُزِّهوا عن كلام اللغو والهَذَرِ

وأُكلها دائمٌ لا شيء منقطعٌ
كرِّر أحاديثها يا طيِّبَ الخبرِ

فيها من الخيرِ ما لم يجرِ في خُلدٍ
ولم يكن مدركًا للسمع والبصرِ

(300) بري: أي عيشتهم خالية من النوائب والمصائب.

(301) الوصائف: جمع وصيف وهو الخادم.

فيها رضا الملك المولى بلا غضبٍ
سبحانه ولهم نفعٌ بلا ضررِ

لهم من الله شيء لا نظير له
سماعُ تسليمهِ، والفوزُ بالنظرِ

بغير كيفٍ ولا حدٍّ ولا مَثلٍ
حقًا كما جاء في القرآن والخَبَرِ

هي الزيادةُ والحُسنى التي وردتْ
وأعظمُ الموردُ المذكورِ في الزُّبُرِ

لله قومٌ أطاعوه وما قصدوا
سواهُ إذ نظروا الأكوانَ بالعِبَرِ

وكابدوا الشوقَ والأنكادَ قوَّتهم
ولازموا الجدَّ والأذكارَ في البُكَرِ

يا مالكَ الملكِ جُدْ لي بالرضا كرمًا
فأنت لي مُحسنٌ في سائرِ العُمُرِ

عبدُ العزيزِ يرجّي العفو مُفتقرًا
وبابُ جودكَ مَلجا كلِّ مفتقرِ

يا ربِّ صلِّ على الهادي البشيرِ لنا
وآلهِ وانتصِرْ يا خيرَ مُنتَصرِ

ما هبَّ نشرُ صبا واهتز نبتُ رُبَـا
وفـاحَ طيـبُ شـذا فـي نسـمة السَّـحَرِ

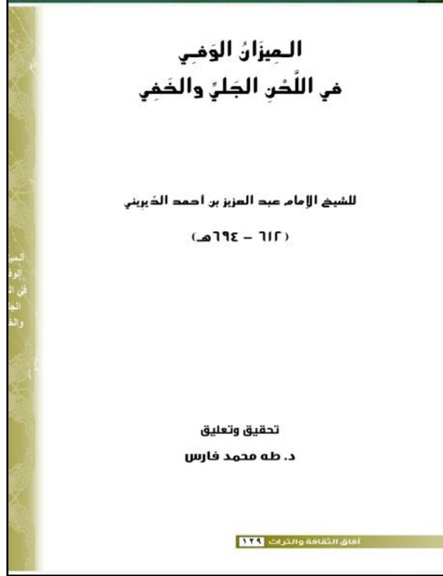
أبياتهـا تسـع عشـرٍ بعـدها مائـةٌ
كلامُهـا وعظُــه أبهــى مــن الـدُّرَرِ

انتهى النظم بعون الله تعالى

***

الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي

هي من القصائد التي وضعها الإمام الديريني في علم التجويد، والتي يدور محتواها حول أحكام اللحن الجلي والخفي في القرآن الكريم.



أشار إليها إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين[302] وأكد على نسبتها للدريني.

كذلك مما يؤكد على نسبة هذه القصيدة للإمام الديريني، ما ذكره الدريني نفسهُ في آخر الأرجوزة من قوله:

وُجُـدْ عَلَـى عُبَيْـدِكَ الـدَّيْرِيْنِي عَبْـدِ العَزِيْـزِ الوَجِـلِ المِسْـكِيْنِ

ولقد ظلت هذه الأرجوزة لقرون عديدة في بطون المخطوطات، أسيرة المتاحف والمكتبات، مدفونة في أتربة الزمان وأشغال الإنسان، حتى كتب الله لها الخروج للنور؛ فطُبعت بحمد لله ونُشرت وحُققت بيد **الدكتور طه محمد فارس** جزاه الله خيرا.[303]

---

(302) «هدية العارفين» (1/ 581).

(303) الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، عدد 97 / مجلد 25/ ص129.

ومن الجدير بالذكر أن هذه القصيدة أو الأرجوزة كانت من القصائد التي كانت مشهورة بين العلماء قديمًا، لدرجة أنهم أدرجوها ضمن المقررات الدراسية في حلقات العلم، ليدرسها الطلاب ويحفظونها ويمتحنون فيها، كما أشار لذلك الإمام السخاوي في ترجمة "يحيى بن مُوسَى العساسي السمنودي" أنه قد حفظ الْمِيزَان الوفي للدريني.(304)

نص الأرجوزة

سُــــبْحَانَ مَــــنْ بَـــيَّنَ بِالتَّنْزِيـــل	مَوَاقِـــــعَ التَّجْوِيـــــدِ والتَّرتِيْـــــلِ
فـــاعْتَبِرِ النُّطْـــقَ بِمِيْـــزَانٍ وَفـــِي	تَسْـلَمْ مِــنَ اللَّحْــنِ الجَلـيِّ والخَفِـي
أَوَّلُ مَـــا تَـــأتي بِبَـــاءِ البَسْـــمَلهْ	سَـــــرِيعَةً خَفِيْفَـــــةً مُسَـــــهَّلَهْ
أَسْـرِعْ بِهَـا وَاحْـذَرْ مِـنَ التَّشْـدِيْد	فَشَـــدُّهَا يُفْضِـــيْ إِلـــى المقْصُـــودِ
وهكــــذا إنْ تَـــأتِ بَعْـــدَ سَـــاكِنْ	وَبَعْـــــدَ إِخْفَـــاءٍ وَقَلبُـــكْ آمِـــنْ
مِـنْ بَعْدِ (أَنْبِـئْهُمْ) وَقَـالَ (اعْلَـمْ بِمَـا)	فِيْ مَذْهَبِ السُّوْسِيْ يُضَـاهِي الـمُدْغَمَا
وَأَحْــــرُفُ القَلْقَلَـــــةِ المشْــــهُوْرَهْ	فــِيْ (قُطْـبِ جَـدٍّ) قَـدْ أَتَـتْ مَعْمُـوْرَهْ
والكَـــافُ كَـــيْ لا تُرتَجَـــى كَالقَـــافِ	والطَّـــاءُ عَـــنْ تَـــاءٍ وهـــذَا كَـــاف
والبَـــاءُ عَـــنْ مِـــيْمِهِمُ وَالفَـــاءِ	والجِـــيمُ عـــن شِـــيْنٍ بِـــلا خَفَـــاءِ
وَالـدَّالُ عـن تَـاءٍ وحُسْـنُ القَلْقَلَـهْ	تقْوِيَـــــــةٌ لَطِيْفَـــــــةٌ مُسَـــــــهَّلَهْ

(304) الضوء اللامع (10/ 262).

وَالهَــاءُ فــي اسْــمِ اللهِ بَعْــدَ فَتْحَــه فــي الـــلاَّم قَــدْ أَتْبَعْتَهَـــا بِفَتْحَـــهْ
وَرُبَّمَـــا يَسْــــبِقُهَا فـــِي الرَّفْـــع واوٌ فَـــــدَافِعْهَا أَشَـــــدَّ الــــــدَّفْعِ
وَلاَتَـزِدْ فِـيْ الَّـلاَّمِ مَـدًّا عَـنْ أَلِـف وَالـــوَاوُ واليَـــا مِثْلُهَـــا لاَ تَخْتَلِـــف
وَلاَ تَـــزِدْ حُـــرُوْفَ مَـــدٍّ مَـــدَّا قَـــالُوا وَ(سِـــيْرُوا) فَـــاعْتَبِرْهُ حَـــدَّا
إِلاَّ الَّـذِيْ فِـي الوَقْـفِ قَـدْ يُـزَادُ وقَبْــــلَ هَمْــــزٍ مَــــدُّهُ المُــــرَادُ
وَالــــرَّاءُ حَيْـــثُ وَرَدَتْ مُشَــــدَّدَهْ إِيَّــــاكَ أَنْ تَجْعَلَهَــــا مُرَعَّــــدَهْ
أَوْ أَنْ تَـــزِدْ فـــِي مَـــدِّهَا إِفْرَاطَـــا حَتَّـــى تَظُـــنَّ النَّـــاسُ أَنَّهَـــا طَـــا
وَالعَــيْنُ فـــِي الفَــتْحِ وَلاَ يُفَخَّـــمْ وَلاَ تُمَــــالُ بَــــلْ بِفَــــتْحٍ يَسْــــلَمْ
كَالعَالـــَمِيْنَ، وَالحُـــرُوْفُ العَالِيَـــه (قِــظْ خُــصَّ ضَــغْطٍ) فُخِّمَــتْ عَلانِيَــهْ
وَالــــرَّاءُ بـــــالتَّفْخِيْمِ لاَ مَحَالَـــــهْ إِلاَّ مَــــعَ التَّرْقِيْــــقِ وَالإمَالَـــــهْ
وَلاَ تُفَخِّـــمْ مَـــا حَيِيْـــتَ الحَـــاءَ والهـــاءَ فَـــادْعُ اللهَ والـــزَمْ هَـــاءَ
وَ(مَـــا) وَ(بَـــا) وَشِـــبْهُهَا تُحَقَّـــق مِـــنْ غَيْـــرِ تَفْخِـــيْمٍ وَلاَ تُرَقَّـــقْ
وَالنَّــــارُ وَالنَّاقَــــةُ لاَ تَفْخِــــيْم كَنَاقَــــــةٍ وَنَــــامَ يَسْــــتَقِيْمُ
وَكُــلُّ يَــاءٍ شُــدِّدَتْ قَبْــلَ الألــفْ كَأَنَّهَـــا يَـــاءَانِ أَصْـــلٌ قَـــدْ عُـــرِفْ
وَكُلُّمَــــا شُــــدِّدَ بِــــالإطْلاَقِ فَأَصْـــــلُهُ حَرْفَـــــان باتِّفَـــــاقِ
(إِيَّـــاكَ) إِنْ حَقَّقْتَهَـــا فَـــوَهْنُ وَإِنْ تَـــزِدْ فـــِيْشَدِّهَا فَلَحْـــنُ

يُخْرِجُهَــا إِلَــى مَكَــانِ الكَــافِ فَــالْزَمْ بِهَــا أَصْـلَ المـَكَانِ الكَافِــي

(نَعْبُـدُ) ضَـمُّ البَـاءِ ثُـمَّ الـدَّالِ مِــنْ غَيْــرِ تَنْقِــيْصٍ والاســتثْقَالِ

وَالــواوُ بَعْــدَهَا فَــلا تُشَــدِّدْ فَتُشْــبِهُ الإدْغَــامَ إِذْ تُرَعَّــد

والحَركَــاتُ كُلُّهَــا تُلَخَّــصُ عَــنِ الزِّيَــادَاتِ وَلا تُــنَقَّصُ

وَقَــالَ حَمْــزَةُ الإمَــامُ يشْــتَرط مَــا زَادَ فِــي تجعِيْــدِهِ فَهْــوَ قَطَــطْ

فَــلا تُوَافِــقْ مَوْهِنًــا مُفَرِّطَــا وَلاَ عَسُــوفًا(305) بِالتَّعَالــي مُفْرِطَــا

يَعْتَقِــدُ التَّجْوِيْــدَ نَفْــخَ الحَلْــق لِشِــدَّةٍ وَقُــوَّةٍ كَــالخَنْق

وإنمــا التَّجْوِيْــدُ ضَــبْطُ الأَحْــرُفِ مِــنْ غَيْــرِ تَفْــرِيْطٍ وَلاَ تَكَلُّــفِ

(علــيهمُ) وَكُــلُّ يَــاءٍ سَــاكِنَهْ مِــنْ بَعْـدِ فَـتْحٍ كَيْـفَ ضِـيْفَ كَامِنَـهْ

فَــلاَ تَمُــدَّهَا فَتَــزْدَادُ الأَلِــف مِــن قَبْلِهَــا فَاسْـمَعْ مَقَـالَ المـُعْتَرِفْ

فَــإِنَّنِي أَعْجَــزُ فِــيْ أَحْيَانِــي عَــنْ ضَــبْطِهَا لِضَــعْفِ اعْتَرَانِــي

وَالضَّــادُ لاَ تَــأْتِ بِهَــا كَالظَّــاء فَيَبْطُــلَ المعْنَــى بِــلاَ امْتِــرَاءِ

فَالظَّــاءُ مِــنْ بَــيْنِ الثَّنَايَــا تَخْـرُجُ وَالضَّــادُ عَــنْ مَخْرَجِهَــا تَعَــرَّجُ

لــِمَا يَلِــي الأَضْــرَاسَ بِاللِّسَــان مِــنْ غَيْــرِ تَثْقِيْــلٍ وَلاَ تَوَانِــي

---

(305) العسوف: هو الجائر الظالم.

بـــل مُسْــتَطِيْلا مُطْبَقًــا ذَا جَهْــرِ وَإِنَّمَـــا يُتْقِنُـــهُ مَـــنْ يَـــدْرِي

كَـــمْ رَامَـــهُ قَـــوْمٌ فَصَـــيَّرُوهُ لاَمًـــا بِتَفْخِــــيْمٍ وَغَيَّـــرُوهُ

وَرُبَّمَـــا تَعْسُـــرُ عِنْـــدَ أَحْـــرُفِ فَاصْـــغِ إِلَـــى مِثَالِـــهَا لِتَكْتَفِـــي

أَفَضْــتُم واَضْــطُرَّمع يَحِضْــنَّ(306) نَقَــضَ ظَهْــرَكَ(307) اعْتَبِــرْ وخُضــنا

وَالـــمَدُّ لِلتَّشْــدِيْدِ مِـــنْ بَعْـدِالأَلِفْ فـــِيْ آخِـــرِ السُّـوْرَةِ مَـدًّا قَـدْ أُلِـفْ

مُطَّـــرِدًا فـــِي كُــلِّ مَـــا يُمَاثِلُـــهْ مُعْتَـــدِلاً فـــِيْ كُـــلِّ مَـــا يُشَـــاكِلُهْ

مِـــنْ غَيْـــرِ تَقْصِـــيْرٍ وَلاَ تَطْوِيْـــلِ كَمُـــدَّةِ الوَقْـــفِ بِـــلاَ تَبْـــدِيْلِ

وَاليَـــا إِذَا افْتَتَحْـــتَ بَعْـــدَ الكَسْـــرِ كَـــ (دِيَـــةٍ)(308) وَشِـيَـةٍ(309) إِذْ تَجْـرِيْ

---

(306) أَفَضۡتُم يقصد بها: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة 198]

اضطر يقصد بها: ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة 173]

يحضنا يقصد بها: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق 4]

(307) ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح 3]

(308) ﴿وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ [النساء 92]

(309) ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البقرة 71]

وَالـــوَاوُ بَعْـــدَ ضَـــمَّةٍ إِذْ تُفْـــتَح	كهُـــوَّ خَفِّـــفْ دُوْنَ مَـــدٍّ يَسْـــبَحُ
وَالـــوَاوُ وَاليَـــا حَالَـــةَ التَّسْـــكِيْنِ	بَعْدَهُـــــمَا المَفْتُـــــوحُ بِـــــاليَقِيْنِ
تُمَكِّــــنُ الأُوْلَــــى وَلاَ تُــــدْغِمُهَا	كَـ (هَـاجَرُوا وَجَاهَـدُوا)[310] فَاعْلَمْهَـا
وَمِثْـــلُ (فِـــيْ يَـــوْمٍ)[311] وَبَعْـدَ الفَـــــــــــتْحِ[312]	(عَفَواْ وَّقَـالُواْ)[313] مُدْغَمًا فِـي الشَّرْح
وَالـــدَّالُ إِذْ تَسْـــكُنُ قَبْـــلَ الخَـــاءِ	نَحْـوُ (ادْخُلُـوا) فَـاخْشَ التِبَـاسَ التَّـاءِ
وَبَعْـــدَ جِـــيْمِ (فَتَهَجَّـــدْ) تَحْـــذَر	مِـــنَ التِبَـــاسِ التَّـــاءِ حِـــيْنَ تُـــذْكَرُ
وَالعَـيْنُ وَالخَـا قَبْـلَ شِـيْن (يَغْشَـى)	فَـــاخْشَ التِبَاسَـــهَا وَقَبْـــلَ (يَخْشَـــى)
وَالجِـيْمُ فِـي (اجْتَبَـاهُ) قَبْـلَ التَّـاءِ	وَنَحْـوُ (وَجْهِـيْ) احْفَظْـهُ قَبْـلَ الهَـاءِ
وَالصَّـــادُ إِنْ تَسْـــكُنُ قَبْـــلَ الـــدَّالِ	مِثَالُـــهَا (يَصْـــدُرُ) فِـــي الزِّلْـــزَالِ
خَلِّـصْ عَـنِ الـدَّالِ انطِبَـاقَ الصَّـادِ	وَالطَّـــاءَ عَـــنْ تَـــاءٍ بِنُطْـــقٍ بَـــادِيْ
إِلاَّ عَلَـــى رِوَايَـــةِ الكِسَـــائِيْ	وَحَمْـــــزَةٍ إِشْـــــمَامُهَا بِـــــالزَّاي

(310) ﴿ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ [البقرة: 218 - الأنفال: 74، 72، 75 - التوبة: 20]

(311) ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ [البلد 14]

(312) أي: الواو التي تأتي بعد الفتح، وفي هذه الحالة تكون الواو حرف لين.

(313) ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ﴾ [الأعراف 95]

وَالسِّـــيْنُ وَالصَّـــادُ القَرِيْبَتَـــانِ مَيِّزْهُمَـــا وَفَصِّـــلِ الـــمَبَانِي

وَاخـــشَ التِبَـــاسَ دَالٍ بِتَـــاءِ وَالــــذَّالُ إِهْمَالـــــُهَا كَالثَّـــاءِ

وَالصَّــادُ وَالضَّــادُ بِجَنْــبِ الطَّــاءِ نَحْـوُ (اصْـطَفَى) وَ(اضْـطُرَّ) بِاسْـتِعْلَاءِ

سَـكِّنْهُمَا وَاجْهَـرْ بِحَـرْفِ القَلْقَلَـهْ فَرُبَّمـــا عَـــزَّتْ وَكَانَـــتْ مُشْـــكِلَهْ

وَالقَـافَ خَفِّـفْ بَعْـدَ نُـونٍ سَـاكِنَهْ فِـي مِثْلِ (أَنْ قَالُوا)(314) بِلاَ مَغَلْبَنَـهْ(315)

وَالَّـلاَّمُ قَبْـلَ النُّـوْنِ نَحْـوُ: (قُلْنَـا) مُحَقَّـــقٌ وَمِثْلُـــهُ: (أَنْزَلْنَـــا)

فَاحْـذَرْ مِـنَ التَّحْرِيْـكِ وَالتَّرْعِيْـدِ فِيْهَـــا أَوِ الإِخْفَـــاءِ بِالتَّقِيِيْـــدِ

وَالصَّـــادَ فِـــي (حَرَصْـتُمْ) بَيِّنْهَـا وَظَـــا (وَعَظْـــتَ) لاَ تَعَـــرَّجْ عَنْهَـــا

(فَرَّطْـتُ) مُـدْغَمٌ وَخُـشَّ الطَّـاءِ فِـــي اللَّفْـظِ بَـاقٍ مَـعْ ظُهُـوْرِ التَّـاءِ

وَقُـــلْ (أَحَـــلَّ اللهُ) لاَمٌ رُقِّقَـــتْ كَـــذَا (أَضَـــلَّ اللهُ) أيضًـــا حُقِّقَـــتْ

وَبَعْـدَهَا التَّفْخِـيْمُ فِـي اسْـمِ اللهِ مَيِّزْهُمَـــا حَـــذَارِ الاشْـــتِبَاهِ

وَفِـي (اسْتَوَى) وَ(اسْتَغْلَظَ) السِّيْنَانِ قَـــدْ حُقِّقَـــتْ وَخَفَّـــتِ المَبَـــانِي

---

(314) من قوله تعالى: (إلاَّ أَنْ قَالُوا) (آل عمران: 14)، و(الأنعام: 23)، و(الأعراف: 82)، و(الإسراء: 94)، و(النمل: 51)، والجاثية: 25).

(315) مُغَلْبَنَة: مصدر من غَلَبَ، ووزنه: مُفَعْلَنَة، ولعله يقصد: أنه لا يغلب أحد الحرفين على الآخر حتى يصير من جنسه.

والَلَّكْـزُ(316) فـِيْ الهَمْـزِ قَبِـيْحٌ جِـدًا يَقْـــبُحُ إِفْـــرَاطٌ يُضَـــاهِي الرَّعْـــدَا
(سِـيءَ) وَ(سُـوْءٌ) وَمَـا فـِي بَابِهَـا أَخَـــفُّ فـــِي صَـــدْرِكَ إِذْ يُـــؤْتَىْ بِهَـــا
وَالمِـــيْمُ قَبْـلَ الفَـــا وقَبْــلَ الـــواوِ (هُـــمْ فــــي) وَ(إِنَّكُـــمْ وَمَـــا) يُســـاوِي
بِحُسْــــنِ لُطْـــفٍ قَـــدْرُهَا مُحَـــدَّدُ يَظْهَــــــرُ لاَ تُخْفِـــــي وَلاَ تُرَعِّــــــدُ
وَالفَـــاءُ وَالبَـــا فِيْـــهِ هَـــذَا الحُكْـــمُ وَفِيْهِمَـــا اخْـــتِلاَفُ أُوْلـــِي العِلْـــمِ
أفــــرْغ ولاَ تُــــزِغْ قُلُوبَنَـــــا مُفَصَّـــــلاً نِلْنَـــا بِـــهِ مَطْلُوْبَنَـــا
وَاللَّحْـنُ قَـدْ يَعْـرِضُ فـِي التَّكْبِيْـرِ كَمَـــدِّهِ فـــِيْ لَفْظِـــهِ المَقْصُـــوْرِ
حَتَّـــى يَصِـــيْرَ لَفْظُـــهُ اسْـــتِفْهَامَا وذَاكَ جَهْـــــلٌ يُفْسِـــــدُ المَرَامَـــــا
وَيُكْــــرَهُ الإِفْـــرَاطُ بَعْـــدَ الَّـــلاَّم عَـــنْ أَلِـــفٍ تَجْـــرِي عَلَـــى الـــدَّوَامِ
وَلاَ تَزِيْـــدَ الهَـــاءَ وَاوًا جَهْـــلًا ولاَ تَـــمُدَّ البَـــاءَ فِيْـــهِ أَصْـــلا
يَـــا خيْـــرَ مَـــوْلىً قَلِّـــبِ القُلُوْبَـــا مِنَّـــا وَأَصْـــلِحْ وَاغْفِـــرِ الـــذُّنُوْبَا
وَصَـــلِّ يـــا رب عَلَـــى الرَّسُـــول مـــُحَمَّدٍ ذِي المَنْصِـــبِ الجَلِيْـــل
وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ وَمَـــنْ تَبِـــعْ هُـــدَاهُمُ يَـــا خَيْـــرَ مَـــدْعُوٍ سَـــمِعْ
وَجُـــدْ عَلَـــى عُبَيْـــدِكَ الـــدَّيْرِيْنِي عَبْـــدِ العَزِيْـــزِ الوَجِـــلِ المِسْـــكِيْن

---

(316) اللكز في اللغة: هو الضرب بالجُمْعِ في الصدر، وقيل: في جميع الجسد.

بِـــالعَفْوِ مِنْـــكَ وَشُـــمُوْلِ المَغْفِـــرَهْ فَأَنْـــــتَ أَهْـــــلٌ لِقَبُـــوْلِ المَعْـــــذِرَه

****

المقاصد الناصحة في تجويد الفاتحة

هـي منظومـة شـعرية بسيطة وضـعها الإمـام الـديريني فـي علـم التجويـد وخاصــة فــي تجويـد وأحكـام سـورة الفاتحــة، وقـد بلـغ عـدد أبياتهـا (32) بيتًا.

بـدأها الشـيخ بالحمـد لله والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا رسـول اللهﷺ، ثـم بـيَّن سـبب تأليفـه لهـذه المنظومـة، بأنهـا تـأتي جوابًـا عـن سـؤال قـد وجهـهُ إليـه أحـد النـاس فيمـا يتعلـق بـاللحن الخفـي، ثـم أرشـد الشـيخ إلـى بعـض أمثلتـه التـي يمكـن أن تقـع فـي سـورة الفاتحـة فقـال موجهـا كلامـه لسـائله: إنـه عنـد الاسـتعاذة يجـب عليـه أن يقـف علـى كلمـة (الـرجيم) ويقطعهـا عـن البسـملة، وعلَّـل ذلـك بأنهـا لـم تكتـب فـي المصـحف، وأن يثبـت ويحقــق الهمــزة مــن كلمــة أعــوذ، وأن لا ينطــق الــراء مــن كلمتــي (الـرحمن الـرحيم) كـالفين، وأن يبـين الـدال مـن كلمتـي (الحمـد والـدين) حتـى لا تشـبه التـاء، وأن يحـذف الألـف مـن كلمـة (مالـك) إلـى غيـر ذلـك من الأحكام التي تتعلق بتجويد وقراءة سورة الفاتحة قراءة صحيحة.

ولقـد كانـت هـذه الرسـالة فـي مجمـوع المخطوطـات التـي لـم تطبـع بعـد، حتــى أعــان الله ووفَّــق **أســتاذنا الــدكتور علــي رمضــان الأزهــري** -

عضـــو هيئـــة التـــدريس بكليـــة أصـــول الـــدين جامعـــة الأزهـــر بأســـيوط - فقام بدراسة وتحقيق هذه الرسالة وإخراجها على الوجه اللائق.

ولقـد أغمرنـــي بكرمـــه الفيـــاض وأعطـــاني هـــذه القصـــيدة عنـــدما طلبتهـــا منــه إثــر ســماعي بهــا قبــل أن يطبعهــا فجــزاه الله خيــر الجــزاء وتقبــل منــه جهده وعمله.

***

وهذا هو نص القصيدة:

أوَّلُ مـــا نســـتفتحُ المقـــالا   بـــذكرِ حَمْـــد ربِّنـــا تعـــالى

فالحمـــدُ للهِ علـــى الإســـلامِ   والشـــكرُ للهِ علـــى الإنعـــامِ

ثـــمَّ صـــلاةٍ الملـــك القـــديرِ   علـى النبـيِّ المصـطفى الكـريمِ

ثـــمَّ علـــى أصـــحابه وآلـــه   مـا صـدق المـؤمنُ فـي مقالـه

ســألتَني وفَّقــكَ الــربُّ الــوفي   أن أكشُفَ السِترَ عن اللحن الخفي

والآن يــا ســائلي قــد أجبتُكَــا   فاصـغِ وكـنْ لمـا أقـولُ مُـدركا

إذا اســـتعذتَ قبـــلَ (بســـم الله)   فقـفْ علـى (الـرجيم) وانـهَ الـلاه

لأنهـــا لـــم تـــك قبـــل البســـملة   مسطورة في مصحف بـلْ مُهملـة

كمـــا روينـــا عـــن ذوي الألبـــابِ   فالوصـل لـم يكـن مـن الصـوابِ

وحقِّـــق الهمـــزةَ مـــن أعـــوذُ ونَعِّـــمِ العـــينَ فـــذا مجـــذوذُ

أجـــل ولا تُشـــبِّعِ ضـــم الـــذالِ فينشـــأ الـــواوُ بـــلا إشـــكالِ

وشنشن(317) الشين من الشيطانِ وطـنطن الطـاء بـلا تـوانِ(318)

واعلم بأن البـاءَ من اسم الصمد خفيفـــة فلـــم يَشـــدُدها أحـــد

لأنهـــا ثقيلـــة فـــي نفســـها فـــلا تشـــددها تـــزد فـــي ثقلهـــا

والـــراءُ لا تنطـــق بهـــا كـــالغين فمـــا رأينـــا مثلـــه مـــن شـــين

كقولـــه الـــرحمن والـــرحيم جـــلَّ عـــن التشـــبيه والتجســـيم

اقصـــدُ بهـــا التفخـــيم والترقيقـــا قصـــدًا وحقِّـــق لفظهـــا تحقيقـــا

والحمـــد والـــدين فبـــيِّن دَالـــهُ واحـــذر مـــن التـــاء ووفِّ مالـــهُ

واحْـذِقَنْ مـن مالـك حـرف الألـف فقـــد ذكرنـــاه لفـــظ مؤتلـــف

---

(317) شنشـن القرطـاس أو الثـوب الجديـد ونحـوه: تحـرك فصـوَّت صـوتاً خفيفـاً، فهـو مـن الحـروف المهموسـة، وفيـه التفشـي، وهـو كثـرة خـروج بـين اللسـان والحنـك وانبسـاطه فـي الخـروج عنـد النطـق بهـا حتـى يتصـل الحـرف بمخـرج غيـره، والهمـس والجهر من الصفات التي امتاز بهما عن الياء والجيم.

(318) الطنطنة: كثرة الكلام والتصويت به، أي: اضغط عليه حتى يخرج لها صوت قوي.

واليــاء مــن إيــاك بــيِّن فتحهــا ... مــن بعــد تشــديدٍ ولا تَمُــدَّها

ولا تمُــدّ الكــافَ مــن إيــاك ... أسرِع بهـا فـي اللفـظ وارع فالـكَ

مــن غيــر تشــديد ولا تَمُــدَّها ... والـواو مـن وَإيـاكَ بَـيِّن فَتْحَهَـا

مــن بعــد أن نضــم دال نعبــدْ ... ضــمًا خفيفًــا تهتــدي وتَســعُدْ

وَمُــدَّ إنْ وَقَفْــتَ نَســتَعِينُ ... وســكِّن النــونَ فــذا تبــينُ

وبَــيِّن الهــاء تَكُــنْ فقيهــا ... مــن اهــدِنَا وَثُــمَّ مَــنْ يُخْفِيهَــا

وخلــص الصــاد مــن الخــلاف ... طــنطن الطــاء بــلا إســراف

كقولــه ربِّ اهــدنا الصــراطَ ... واغفــر لنــا بفضــلك الإفــراطَ

والقــافُ لا تنطــق بهــا كالكــافِ ... مــن مســتقيمِ فهــو عيــبٌ وافــي

ونــوِّنُ أَنْعَمْــتَ بــلا محالــه ... ســاكنةً وفَتْحُهــا ضــلاله

وبَــيِّن الضــادُ مــن المغضــوبِ ... فتركُهــا مــن أقــبح العيــوبِ

والضــادُ يــا أخــي حــدِّد حــدَّها ... مــن اليمــين واليســار مُــدَّها

ومثلــهُ (يــوم يعــضُّ الظــالم) ... فقــس عليــه فهــو أثــر لازم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

أرجوزة الديريني في ترتيب المكي والمدني

إحدى الرسائل العلمية التي وضعها الإمام الديريني في صورة منظومة شعرية للحديث عن ترتيب نزول القرآن والمكي والمدني، كما أنها تلقي الضوء على جانب من جهود العلماء في التصنيف في القرن السابع الهجري، وعلى إسهامات العلامة الديريني وتنوع ثقافته وثرائها.



وقد بلغ عدد أبيات هذه المنظومة (44) بيتًا، وتظهر قيمة هذه الرسالة -على قصرها- في أن العلامة السيوطي ذكرها ضمن المؤلفات التي تناولت قضايا المكي والمدني وترتيب النزول في القرآن الكريم.

ويظهر من خلال مطالعتها أن الشيخ يعالج فيها أربع قضايا:

القضية الأولى: السور المكية التي نزلت بمكة وترتيبها.

القضية الثانية: السور المدنية التي نزلت بالمدينة وترتيبها.

القضية الثالثة: السور التي وقع الخلاف فيها بين العلماء وهل هي مكية أو مدنية.

القضية الرابعة: الآيات المدنية في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية.

وقد قدَّم الشيخ بين يدي حديثه بأمرين:

الأول: أن هذا الذي سيذكره فيما سيأتي نقله مِنْ كُتُبِ مَنْ سبقه من العلماء الذين عُرفوا بالبحث في هذا المجال، وذلك ما يفيده قوله: (فهاك نَقْلَ الكُتْبِ فيما شُهِرَا).

الأمر الثاني: أن هذا أمر اجتهادي ولا يقطع فيه برأي؛ لأنه لم ينقل فيه خبر يعتمد عليه، وذلك ما يفيده قوله: (**نقلًا من الترتيب حين حُزِرَا**).

ويختم الشيخ منظومته بأمر في غاية الأهمية والخطورة وهو التأكيد على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، وأنه وإن تنزل به جبريل على النبي ﷺ منجمًا حسب الوقائع والأحداث، فإن الآيات في سورها مرتبة كما هي في اللوح المحفوظ، ولا دخل لأحد من البشر في ترتيب آياته، وأنَّ مَنْ يقول أن عثمان بن عفان هو من قد رتَّب الآيات من تلقاء نفسه فهو كاذب متكبر؛ فلم يكن لعثمان من دخل سوى ترتيب سور القرآن وجمعها في مصحف واحد؛ على قول الجمهور بأن ترتيب السور اجتهادي، وإن كان عدد منهم ذهب إلى أن ترتيب سوره توقيفي كترتيب آياته.

أشار إليها كلا من الإمام الزركشي في «البرهان في علوم القرآن»[319]، ومن بعده السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن»[320]، وأيضًا من المتقدمين محمد شفاعت رباني في كتابه «المكي والمدني»[321].

ولقد قام الدكتور **علي رمضان الأزهري** بتحقيق مخطوط هذه الأرجوزة، وهي الآن في طريقها للطبع والنشر، ولكنه تفضَّل عليَّ وأعطاني نص هذه الأرجوزة – قبل طبعها - عندما طلبتها منه لإدراجها في هذا الكتاب فجزاه الله خيرًا.

ومن توفيق الله وفضله أنني أثناء نسخي وتحقيقي لمنظومة (الشجرة في ذكر أفضال النبي وأصحابة العشرة) للإمام الدريني؛ وجدتُ هذه الأبيات ضمنها وبين ثناياها.

نص الأرجوزة

فهاك نَقْلَ الكُتْبِ فيما شُهِرَا ... نقلاً من الترتيبِ حين حُزِرَا

فأوَّلُ المكيِّ خمسٌ فالعلقْ ... نونٌ وقل مدثر كما اتفقْ

تبَّت وكورت أَتَتْ وسَبِّح ... ليلٌ وفَجرٌ بالمقامِ صَرِّح

---

(319) البرهان في علوم القرآن للزركشي (1/ 369).

(320) الإتقان في علوم القرآن (1/ 36).

(321) كتاب المكي والمدني، لمحمد شفاعت رباني، ص5، المكتبة الشاملة الالكترونية.

ضُحىٰ بـروجٌ عصـرُها وكـوثرُ		ألهـــاكمُ والكـــافرونَ تُـــذكَرُ

والفيلُ والإخلاصُ والنجمُ وعبسْ		والشمسُ والتـينُ قـريشٌ تقتـبسْ

قارعـــةٌ قيامـــةٌ عَصـــفٌ ظَهَـــرْ		قـافُ البلـدْ وطـارقٌ ثُـمَّ القمـرْ

صـــادٌ وأعـــرافٌ وجِـــنٌّ ســـاتِرْ		يـــسُ والفرقـــانُ ثـــم فـــاطِرْ

مـــريمُ طـــه واقعـــةٌ والشُـــعَرا		ثنتان من بعدُ وأسْرى مَنْ سرى

ويـــونسٌ ويوســـفٌ والحِجـــرْ		وســـورةُ الأنعـــامِ ثـــم الزَّجْـــرْ

لقمـــانُ ثـــم سَـــبَأْ ثـــم الزُمـــرْ		ثـــم الحـــواميمُ كترتيـــبٍ ظهَـــرْ

والـــذارياتُ الغاشـــيةُ والكهـــفُ		والنحـلُ قـل نـوحٌ عداها الخُلـفُ

وبعـــدُ إبـــراهيمُ ثـــم الأنبيـــاءْ		وقـــل فـــلاحٌ ســـجدةٌ للأنقيـــاءْ

والـــرومُ ثـــم الملـــكُ والـــوتينْ		معـــــارجٌ والنبـــــأُ اليقـــــينْ

والنازعـــاتُ انفطـــرت وانشـــقَّتِ		والعنكبـــوتُ أُخِّـــرا بوقـــتِ

وعـــلا فـــي المكِّيـــةِ المُـــزَّملا		قـــد نَســـخَ الأخيـــرُ منهـــا الأوَّلَا

ترتيب المدني

ورتِّـــبْ النـــزولَ بالمدينـــهْ		بقـــــرةٌ أنفالهـــــا مُبِيْنَـــــهْ

وآل عمــرانَ وقــلْ الأحــزابُ   والامتحــانُ والنســا صَــوَابُ

زُلزلــت الحديــدُ والقتـــالُ   والرعــدُ والطــلاقُ لا إِشــكالُ

ولـم يَكـنْ حَشـرٌ ونصـرٌ نـورٌ   حِـــجُّ ظِهـــارٌ حُجــراتٌ دُورُ

وجُمعـــةٌ تغـــابنٌ وَفَـــتْحُ   وتوبـــةٌ ومائـــدةٌ تَصـــحُّ

والمـــدنيُّ باتفـــاقٍ أذْكُـــرهُ   وبعـدَ الخُلْـفِ الـذي سـأُظْهِرُهْ

الأربـــعُ الأوائـــلُ الطِـــوَالُ   وبعـــدها التوبـــةُ والأنفـــالُ

والنـــورُ والأحـــزابُ والقِتـــالُ   وبعـــدها اثنتـــان لاتـــزالُ

ثـــم الحديـــدُ وثـــلاثُ تَتْبَـــعُ   وجُمعـــةٌ وتحتهـــا لا تُـــدفَعُ

يأيهـــا اثنتـــان ثـــمَّ لـــمْ يكـــنْ   والنصرُ ثم العوْذتانِ احفظْ وصُنْ

الخلُفُ بين المكي والمدني

والخلُفُ[322] في عشرٍ فعُدّ الفاتحـهْ   قـدرٌ وإخـلاصٌ وصَـفٌّ واضـحهْ

والرعـــدُ ثُـــمَّ ســـورة الـــرحمٰنِ   والصـبحِ والتَطَفِيـفِ والإنســانِ

والحـــج إن تعُـــدَّها فـــي المَكّـــيِ   فاسْـتَثْنِ هـذانِ[323] بغيـر شَـكِّ

(322) أي الاختلاف.

والعكسُ واستَثْنِ ومـا أرسلنَا[324] مكيـــــةٌ فيهـــا إذا تَمَنْــــىٰ

والرعــد إن نعُــدُّها فــي المَــدَنيْ ولا يــزالُ وهــو مكــيٌّ هَنــيْ

اليــوم أكملــتُ[325] أتــت مكيــهْ يــوم وداع الحجــة الهنيــهْ

السورة التي بعضها مكي وبعضها مدني

وآخــرُ النحــلِ وإنْ عــاقبتمْ[326] في حمزةٍ[327] وهو الشهيدُ المُكـرَمْ

وأربــعٌ فــي المــؤمنين للشُــعَرَاءِ يعــدّها فــي الشُــعرَا بــلا مِــراء

والعنكبــوتُ قبــلَ عشــرٍ أوَّلَــهْ فــي المــدني قتــادةٌ قــد نقَلَــهْ

قل يا عبادي قيل جاءت في الزمر بشــرى لمــنْ آمــن بعــد أن كَفَــرْ

خــتم التغــابن الــذي فــي الأشــجَع عوفِ بنِ مالكٍ إلـى الحـربِ دُعِـي

---

(323) ﴿هَـٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ [الحج 19]

(324) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج 52]

(325) ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة3]

(326) ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل 126]

(327) حمزة سيد الشهداء عم سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ففندتـــــهُ أهلُـــــهُ تفنيـــــدًا فـــاقرأ ثلاثًـــا عـــدَّها تقييـــدًا

والخلــفُ فــي أولِهــا إلــى هُنــا وظــاهرُ المكــيِّ مشــهورٌ دَنَــا

وســـورةُ المـــاعونِ قُـــلْ مَكّيـــهْ منهـــا ثُـــلاثُ أولًا مَرضِـــيَّهْ

وأربـــــعٌ آخرُهـــــا مُبيْنَـــــهْ فـــي فرقـــةِ النفـــاقِ بالمَدِينـــهْ

وكَمُلَـــتْ بـــالوحيِّ كُـــلُّ سُـــورهْ وتُليَـــتْ معلومـــةً مشـــــهورهْ

ومـــا أتـــى مُفـــرَّقُ التنزيـــل رتَّبَـــهُ الـــرحمنُ مَـــعْ جِبْرِيـــلِ

ومَــنْ يَقُــلْ ترتيــبُ آيــاتِ السُــوَ مِــن فعــلِ عثمــانَ فعَمْــرِ ذو أشــرْ

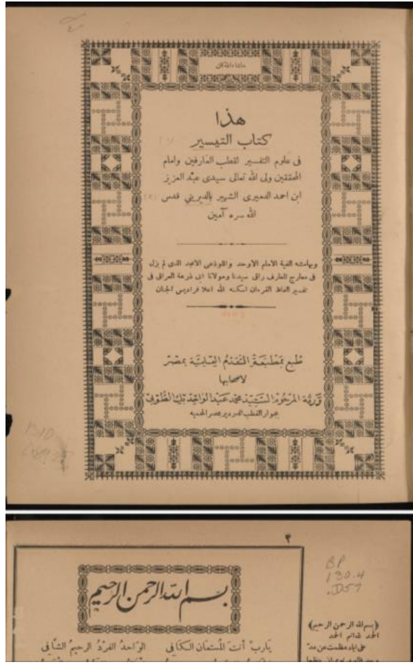
وإنَّمـــا رتَّـــب عُثمـــانُ السُّـــوَرْ أوَّلَـــةً ثانيـــةً كمـــا اســـتَقَرْ

***

التيسير في علم التفسير

هي منظومة شعرية يبلغ عدد أبياتها 3200 بيتًا تقريبًا، نظمها سيدي عبد العزيز الدريني عام 673 هـ في تفسير القرآن الكريم، وبهذا يُعد الإمام الدريني هو الوحيد الذي فسَّرَ القرآن في صورة نظم شعري.

وقد طبع هذا التفسير تحت عنوان: **التيسير في علوم التفسير** في مطبعة التقدم العلمية بالقاهرة سنة 1310هـ /1893م، وبهامشة: ألفية أبي زرعة العراقي، وبآخره: تقريب المأمول في ترتيب النزول نظم الإمام الجعبريّ، وبتصحيح محمد كامل الأسيوطي الأزهري. كما طبع في العام نفسه - وبالترتيب المُشار إليه قبلُ - في مطبعة الحجر - القاهرة.(328)


هذا
كتاب التيسير
فى علوم التفسير لقطب العارفين وامام
المحققين ولى الله تعالى سيدى عبد العزيز
ابن احمد الدميرى الشهير بالديرينى قدس
الله سره آمين

وبهامشه الفية الامام الاوحد والهوذعى الاعد الذى لم يزل
فى معارج المعارف راق سيدنا ومولانا ابى زرعة العراقى فى
تفسير الفاظ القرءان اسكنه الله اعلا فراديس الجنان

طبع بمطبعة التقدم العلمية بمصر
لاصحابها
ورثة المرحوم السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى
بجوار القطب الدرديرى بمصر المحمية

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

يارب أنت المستعان الكافي الواحد الفرد الرحيم الشافي

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله دائم الحمد

ومن الجدير بالذكر أن هذه المنظومة المعروفة بـ (التيسير في علوم التفسير) لقطب العارفين وإمام المحققين الشيخ عبد العزيز الديريني قد سُجلت ونوقشت فيها **حوالي**

(328) نقلا عن بحث بعنوان (مربع في مثلثات قطرب اللغوية لسيدي عبد العزيز الدريني)، لعدنان عمر الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)، الجزء (3)، صفحات 589- 627.

6 رسائل دكتوراة بقسم التفسير في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط، وذلك على النحو التالي:

- **الرسالة الأولى:** شملت تحقيق ودراسة من أول سورة الأعراف إلى نهاية سورة الكهف، تحقيق: دكتور محمد جاد عبد الراضي سليمان، إشراف: د. مجاهد محمد هريدي حسن، 2002م. (896 صفحة)
- **الرسالة الثانية:** من أول سورة القلم حتى آخر القرآن الكريم شرحا ودراسة. تحقيق: د. مجدي عبد الستار أحمد. إشراف: د.مجاهد محمد هريدي حسن، 2002م. (998 صفحة)
- **الرسالة الثالثة:** من أول سورة الصافات الى آخر سورة الملك شرحا ودراسة. تحقيق: د. علي رمضان عبد المجيد، إشراف: د. مجاهد محمد هريدي حسن، 2004م. (792 صفحة)
- **الرسالة الرابعة:** من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة البقرة شرحا ودراسة. تحقيق: د. محمد قرني حسين، إشراف: د. علي محمد نصر، 2005م. (1027 صفحة)
- **الرسالة الخامسة:** من أول سورة مريم الى آخر سورة يس شرحا ودراسة. تحقيق: د. أحمد محمد توفيق، إشراف: د. مجاهد محمد هريدي، 2005م. (1199 صفحة)
- **الرسالة السادسة:** من أول سورة آل عمران إلى آخر سورة الأنعام شرحًا ودراسة. تحقيق: د. عمر خليفة محمد، إشراف: د. أحمد صالح سيد، 2007م. (549 صفحة)

***

بـدأ الإمـام الـدريني منظومتـه بالحمـد والثنـاء لله، والصـلاة والسـلام على سيدنا رسول الله، فقال:

يَـا ربّ انـتَ المسـتعان الكـافي　　　الوَاحـدُ الفـردُ الـرحيمُ الشّـافي

الخَـالـــقُ المصَـــورُ القديـــرُ　　　الـعَالـــمُ الـميسِّـــرُ الـخبـــيرُ

مُـنـــزِّل الـكتَـــابِ لِلِشّفَـــاء　　　علـى لسـان العَـرب العَرْبَـاء

مـعجــزة للـمـصطفـــى محمـــد　　　واضحـــةً تقْمَـــعُ كـــل مُـعْتِــدِ

إذ عجـزُوا فيـه عَـن المعَارَضَـةْ　　　وَلَـم يَـرَوْا بَابـاً إلـى المناقضَـةْ

مَـــدْلُولهَا أن الكـــتابَ مُنْـــزَلُ　　　مِـنْ رَبّنَـا وَهُـوَ الحـكيم المُـرْسِلُ

عَلَـى النبـي الهاشِـميّ المرسَـل　　　المُصْـطَفَـى الـمدّثّـرِ الـمزمّـل

صَـلى عليْـه اللهُ مَـا هَبَّـتْ صَـبَا　　　وَحَـنَّتِ النجـب إلـى أرض قُـبَا

ثـــم علـــى أصحـابـــه وآلِـــهِ　　　وعُـمَنْـــا بالبِـــرِّ مـــن نَـــوالِهِ

(وبعــد) فَالتفسـيرُ أقـوى سَـبَبِ　　　إلـــى العُلـــوم وابتغَـــاءِ الأرَبِ

وكـــل علـــمٍ فمِـــن القـــرآنِ　　　وَفـــيهِ أصْـــلُ سَـــائر المَعَانـــي

وعلـــمٍ تفســير الكتـــاب أعلـــى　　　مَـــا يعتنـــي المـــرءُ بـــه وَأجْلـــى

لأنــــه فـــهْمُ خطـــاب المولـــى فـــكَان أوْفـــى مَطْلــب وأولـــى

وهـــو عَلـــى أربعـــةٍ يُفـــصَّلُ قِسْـــمٌ جَلـــيٌّ ظـــاهرٌ لا يُـجْـــهَلُ

ثــم الغريــب مــن كــلام العــرب يَعْـرفـــه أهـــلُ النهَـــى والأدبِ

والثالـــث لمشـــكل حـــظ العلَمـــا وهـــمُ رجـــالٌ أوضـــحُوهُ مَعلَمـــاَ

والرابـــع المشـــتبه الخفـــي يعلمـــــهُ المهـــيمنُ العلـــــي

وحظنـــا مـــن علمـــه التعظـــيم وصـــحة الإيمـــان والتســـليم

كذا أتـى عـن ابـن عبـاس الرضـى وكـان فـي التفسير سيفا ينتضـى

وقـد عزمـت واسـتخرت ربـي فهـو معينـــي وحـــده وحسـبي

فـي جمـع تفسـيرٍ غريـب اللفـظ مُرَجَّـــزًا مُيسَّـــرا للحفـــظِ

ومـا يَليـه مـن بيـان المشـكل والكشف عـن تفصيل لفظ مجمل

ممـــا روتـــه الســـادة الأئمـــة وحرَّرَتـــــهُ علمـــــاء الأمـــــة

كـــالطبري والثعلبـــي ومكـــي أئمـــة التفســـير دون شـــكِ

والهـــروي الحبـــر والقتيبـــي إذ نقلـــوا الغريـــب دون ريـــبِ

والواحـــدي جـــامع البســـيطِ وواضـــع الـــوجيز والوســـيطِ

والمهدوي البحرذي الفضل الجلـي　　　والــدامغاني والقشــيري الــولي

وغيـرهم مـن أهـل هـذا الشــانِ　　　أهــل النهــى والعلــم بــالقرآنِ

وإننــي قـد سِـرت خلـف السـاقة　　　ملتحفــا شــعار أهــل الفاقــة

ملازمــا للبحـــث والمراجعـــة　　　وكثـــرة التكـــرار والمطالعـــة

أتخــــذُ القـــرآن لـــي إمَامًـــا　　　فــي العلـم نحـو أربعـين عَامًـا

ويَسّــــرَ الله لـــــي الكفايــــة　　　ملخّصـــــاً فوائــــد الهدَايَــــة

وأســأل الــرحمن تحقيــق الأمــل　　　وحُسْـن قصـد سـالم مَـنْ الـذّلل

فهــو معــين المســتعين الراجــي　　　وهــو مجيــر المســتجير اللاجــي

***

ثـم بعد ذلـك خصـص لكـل سـورة مـن سـور القـرآن (114) قطعـة مـن الشِـعر يشـرح ويفسـر فيهـا المعـاني القرآنيـة، فبـدأ أولًا بفاتحـة الكتـاب فقال:

أبــــدأ أولًا بــــذكر الأســــمَا　　　فمَــــا أَجَــلَّ ذِكْرَهَــا وَأَسْــمَا

الاســـمُ مُشـــتقُ مِـــنَ السُـــمُّوِ　　　أو سِـــمَةِ الجـــلالِ والعلـــوِ

ويجمـــع اســـمُ اللهِ كـــلَّ معنـــى　　　مـن الصـفاتِ والأسـامي الحُسنى

إذ الإلـــهُ مَـــنْ لـــه الكمـــالُ والكبريـــاءُ والعـــزُّ والجـــلالُ

وقيــل هــذا اســمُ بــلا تفســيرِ كـــالعَلَمِ المُعتَبـــرِ المشـــهورِ

إن قِيــلَ مَــنْ خَالُقنــا والــرازقِ مَــنْ القــديمِ والعلــيمِ الصــادقِ

فقـــل هـــو اللهُ ولا يُفسَّـــرُ بغيـــرهِ فهـــو العظـــيمُ الأكبـــرُ

***

ثـم دخـل فـي سـورة البقـرة، ثـم آل عمـران، ثـم النسـاء.....وهكذا حتـى وصل إلى سورة الناس، وشرحها بقوله:

وصاحب الوسواس من يوسوسُ مِــن الشــياطين وطــوْرًا يخــنسُ

خُنوسُـــه تـــأخُرُ الوســـواسِ بالـــذكر وهـــو غالِـــبٌ لِلنَّـــاسِ

ثـــم الشـــياطينُ مـــن الجنســـينِ جـــنٍ وإنـــسٍ فاحـــذر الصـــنفينِ

***

وأخيرًا اختتم هذه المنظومة القرآنية بقوله:

يقـول راجـي المسـتعانِ الصـمدِ عبـدُ العزيـز الحامـدُ بـنُ أحمـدِ

قـــد يسَّـــر الله بغيـــر كَلفَـــهْ تمـــام نظمـــي لا عـــدمتُ لُطفَـــهْ

عـــام ثـــلاث قبلهـــا ســـبعونَ مـــن بعـــد ســـتمائة ســـنينَ

نظمتـــهُ فـــي أربعـــين يومًـــا ميقـــات إتمـــام الكلـــيم الصُّـــوما

وكنــتُ أرجــو أن يكــونَ ألفًــا　　فــزاد ضِــعفًا ثــمَّ زادَ ضِــعفا

وزاد حتـــى خفـــتِ أن أُكثِـــرا　　فصــرتُ أطــوي نشــره مُقصِّــرا

ومــا شــفى لــي نظمــهُ غلــيلا　　لأنـــــي رأيتــــهُ قليــــــلا

لكــن رجــوتُ أن يكــونَ بابًــا　　مُوصِّــــلًا يســــتفتحُ الأبوابــــا

وحيــث جــاء هينًــا مختصــرًا　　مُمهـــدًا للمُبْتَـــدِئ مُيسَّـــرًا

ســميتهُ التيســيرَ فــي التفســيرِ　　مُعترفًـــا بـــالعجزِ والتقصـــيرِ

وأســـأل الله الكـــريم العفـــوا　　فإنـــه يعلـــمُ سِـــرَّ النجـــوى

والحمـــدُ للهِ علـــى مـــا أولـــى　　فإنـــه حســـبي ونعـــم المـــولى

ثُـمَّ الصــلاةُ والســلامُ الســرمدي　　علــى النبــيِّ المصــطفى مُحمــدِ

خيـــر البرايـــا ســـيدُ الأنـــامِ　　خـــاتم رُســـل المَلـــك العـــلَّامِ

وآلـــه وصـــحبهِ المـــوفين　　وعِمَنْـــا بالفضـــلِ أجمعـــين

***

قصائد متنوعة للدريني

أورد ابـن السـبكي فـي «طبقـات الشـافعية»[329] بعضًـا مـن أشـعار سيدي عبد العزيز الدريني، وهي:

اقتصـــــد فِـــي كـــل حَـــال ... واجتنـــب شُـــحًّا وغُرمَـــا

لَا تكـــن حُلـــوًا فتؤكـــل ... لَا وَلَا مُـــرًّا فتُرمـــى

***

الله رَبِّـــي وحســـبي ... الله أَرْجُـــو وَأحمـــد

وشـــافعي يَـــوْم حشـــري ... خيـــر الْخَلَائـــق أَحْمـــد

صـــلى عَلَيْـــهِ إلهـــي ... أوفـــى صَـــلَاة وَأحمـــد

وَمَالـــك والحنيفـــي ... وَالشَّـــافِعِيّ وَأحمـــد

وســـيدي ابْـــن الرِّفَـــاعِي ... قطـــب الْحَقِيقَـــة أَحْمـــد

هَـــذَا مقَـــال الـــدَّمِيرِيّ ... عبـــد الْعَزِيـــز بـــن أَحْمـــد

***

(329) طبقات الشافعية السبكي (8/ 201).

إِذا مَـــا مَـــاتَ ذُو علـــم وتقـــوى

فقـــد ثلمـــت مـــن الْإِسْـــلَام ثُلمَـــهْ

وَمَـــوْت الْعَـــادِل الْملـــك المرجَّـــى

حَكِـــيم الْحـــق منقصـــة ووصـــمهْ

وَمَـــوْت الصَّـــالح المرضـــي نقـــصٌ

فَفِـــي مـــرآه لِلْإِسْـــلَامِ نســـمهْ

وَمَـــوْت الْفَـــارِس الضـــرغام ضـــعفٌ

فكـم شـهِدتْ لَـهُ فِـي النَّصـر عزمـهْ

وَمَـــوْت فَتـــى كثيـــر الْجُـــود مَحـــل

فَـــإِن بَقَـــاءَهُ خصـــبٌ ونعمـــهْ

فحســـبك خَمْسَـــة تبْكـــي عَلَـــيْهِم

وَمَـــوْت الْغَيْـــر تَخْفيـــف ورحمـــهْ

***

ودعـوا التـعلل والفتور وَصَابِرُوا

وتـراكـضوا خيـل الشَّبَاب وَبَـادرُوا

وتـرقـبـوا قــرب الرحـيــل وحــاذروا

فَـــوت المـــرام فـــللورود مصَـــادر

****

وَإِذا رضـيت الحُكـم عِشْـت مُكرَّمًـا   وَإِذا رَجَـوْت المســتحيل فَإِنَّمَــا

أعمــاركم تمْضِـــي بســـوف وَرُبمَــا   لَا تغنمون سوى عَســى ولعلَّمـا

طـَمَـسَ الزَّمَـانُ مـعـاهـدًا ومـعــالمًا   ومـحـا بـغـيـهـبهِ البهـيمِ مكارمـا

***

ازهــد فَكــل الـــراغبين عبيــدها   والزاهـد الحبـر التقـي سـعيدها

وَلَقَــد تشـــابه وعــدها ووعيــدها   طبعـت علـى كـدر وَأَنـت تريـدها

لَا تغتـــرر بوميضـــها وخـــداعها   فـوراء مبسـمها نيـوب سـباعها

***

ومن شعره أيضًا (330):

وَعَـن صُـحْبَة الإخـوان والكيميـاء   خـذ يَمِينـا فَمَـا مـن كيميـاء وَلَا خـلِ

لقـد درت أَطْـرَاف الْـبِلَاد بأسـرها   وعانيت من شغل وعاينت مـن شـكلِ

---

(330) الوافي بالوفيات (18/ 284).

وَلــم أر أحلــى مــن تفــرد سَــاعَة   مَــعَ الله خَــالِي البــال والسـر والشـغلِ

أناجيــه فِــي ســري وأتلــو كِتَابــه   فَأشْهد مَا يسلي عَن المَــال والأهـلِ

***

الفصل الخامس: شخصية الدريني ومنهجه التجديدي

السِمات العلمية في الشخصية الدرينية

إن مَنْ يطَّلع على كتابات سيدي عبد العزيز الدريني يجد - بلا مشقة – أنه كان يتسم بخصائص كثيرة منها:

(1) **كان من أهل القرآن،** عالمًا بأسراره، رائدًا في تفسيره، مُتقِنًا لأحكامه، واعيًا لقراءاته ولهجاته، فوضع فيه مؤلفات ورسائل تفردت عما سواها في كثرة الفوائد.

- **فله في علوم القرآن:** كتاب عن المكي والمدني من سور القرآن الكريم.
- **وله في التفسير:** منظومة التَّيْسِير فِي علم التَّفْسِير، وكتاب الأنوار الْوَاضِحَة فِي مَعَاني الْفَاتِحَة، وتفسيره الشهير المسمَّى «المصباح المنير في علم التفسير» في مجلدين، في صورة نظم شعري، وتفسير الكفاية ...

بل تم تصنيفه كواحد من أئمة التفسير واللغة، وذلك في «الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة» لمجموعة من المؤلفين، والتي صدرت هَذِه السلسلة عَن مجلة الْحِكْمَة الصادرة فِي بريطانيا عام 2003م.[331]

(331) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (2/ 1235).

- **لـه فـي التجويـد:** كتـاب الميـزَان الـوفي فِـي معرفَـة اللّحـن الخفـي، ورســالة فــي مخــارج الحــروف، والزوائــد، وشــرح الشــاطبية، ورسالة في المقصور والممدود ...

(2) كـان حافظًـا للسـنة النبويـة: وتؤكـد لنـا ذلـك مؤلفاتـه الزاخـرة والعـامرة بـألآف الأحاديـث النبويـة والآثـار والأخبـار، إذ يكـاد لا تخلو عبارة إلا وهي مدعمة بكلام الله ورسوله.

(3) كـان عالمًـا بأسـرار اللغـة العربيـة، شـعرًا ونثـرًا، وأُسلُوبه يـوحي بأنـه كـان يمتلـك حصـيلة كبيـرة مـن المفـردات والتراكيـب، وأنـه كـان في درجـة عاليـة جدًا مـن الإلمـام بعلـم البلاغـة والـتمكن فـي أسـرارها وآدابها.

ومـن مؤلفاتـه فـي اللغـة: الملحـة والنحـو والقريبـة ، ومنظومـة شـعرية فـي مرسـوم الخـط، ومخمسـة فـي الْعَرَبِيَّـة، وأرجـوزة فـي (الفـرق بـين الضاد والظاء).

(4) كـان فقيهًـا لا يُشـق لـه غبـار، مـن فقهـاء الشـافعية، كمـا وصـفه بذلك الزِّرِكْلي والسبكي وغيرهما ممن ترجموا له.

ويؤكـد ذلـك مؤلفاتـه فـي الفقـه الشـافعي، مثـل: نظمـه لكتـابي «الـوجيز» و«الوسـيط» للغزالـي، وشـرح التَّعْجِيـز مُخْتَصـر الْـوَجِيز لابـن منعـة، ونظم لكتاب «التَّنْبِيه» للشيرازي.

(5) كــان مــن علمــاء الكــلام، وكــان رائــدًا فــي المنــاظرات مــع النصـارى، ولـه فـي ذلـك كتـاب (إرشـاد الحيـارى فِـي ردع مـن مَـارى فِي أدلة التَّوْحِيد ورد النَّصَارَى).

كـذلك مـن مؤلفاتــه فــي علــم التوحيــد والعقيــدة: كتــاب «الوســائل والرســائل» فــي التوحيــد، وكتــاب مقدمــة فــي العقائــد، وكتــاب "أركــان الإسلام في التوحيد والأحكام".

(6) **كـان شـاعرًا مـن الطـراز الأول الفريـد**، ووجـه إبداعـه فـي هـذا البـاب أنــه اسـتطاع أن يجمـع بـين أسـرار الشـعر وأحكامـه اللغويـة الدقيقة وبين معاني العلوم المختلفة دون أن يختل المعنى.

ومــن قصــائده: القصــيدة اللاميــة، والمُــوُرث لمُشــكل المثلــث، ومنظوماته الشعرية في علم التفسير والفقه واللغة كما ذكرنا آنفًا.

(7) **كــان عالمًــا بالتصــوف الإســلامي**، مُطبِّقًــا لمفهومــه، مُتحليًــا بأخلاقـه، وهـذا مـا نلحظـه فـي كـل كتاباتـه وخاصـة كتـاب «طهـارة القلـوب والخضـوع لعـلام الغيـوب»، وكتـاب «الرَّوْضَـة الأنيقـة فِـي بَيَـان الشَّـرِيعَة والْحَقِيقَـة»، و كتــاب «المقصـد الأسـنى فـي شـرح الأسـماء الحسـنى»، وكتــاب «أنـوار المعـارف وأسـرار العـوارف»، وكتاب «مختصر رسالة القشيري».

(8) **كـان عالمًـا بالتـاريخ الإسـلامي والسـيرة النبويـة**، وذلـك أمـر ملحـوظ جـدًا فـي استشـهاداته الكثيـرة بمواقـف مـن التـاريخ الإسـلامي، واسـتدلالاته بسـيرة النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – وكذلك له أيضًا نظم في «السّيرة النبويّة».

(9) **كـان رجـلًا صـالحًا**، نظيـف القلـب، عفيـف اللسـان، كـريم الطبـع، جميـل الخُلـق، وهـذا مـا ينجلـي لنـا مـن ثنـاء العلمـاء الأكـابر عليـه؛ وشهادة العلماء حق ووصفهم صدق.

(10) **كـان رقيـق القلـب**، سـريع الـدمع، قائمًـا لله بـين الخـوف والرجـاء، وهـذا هـو الإحسـاس الـذي يشـعر بـه كُـل مَـنْ قـرأ أوراده ومناجاتـه التـي كـان يخاطـب بـه مـولاه سـبحانه وتعـالى، ولعـل هـذا مـن سـر إخلاصه لله.

(11) **كـان مـن العلمـاء الـذين جمعـوا بـين علـوم الشـريعة وعلـوم الطبيعـة**؛ لأنـه كمـا كتـب فـي الفقـه والتفسير واللغـة وعلـوم الـدين ... كتـب أيضًـا فـي علـوم الفلـك والكيميـاء كمـا رأينـا فـي قائمـة مؤلفاتـه التي عرضناها.

***

مفتاح شخصية الدريني

مفتـاح الشخصـية هـو تعبيـر أدبـي، كثيـرًا مـا نقـرأه فـي كتابـات الأسـتاذ الكبيـر عبـاس محمـود العقـاد عليـه رحمـة الله، ولعلـه مـن مسـتحدثاته، وهـو مصـطلح يهـتم بالبحـث عن أبـرز صـفة يتسم بهـا الشـخص، لتكـون هـذه الصـفة هـي المفتـاح الـذي تـدخل بـه جـوهر الشخصـية فتتعـرف عليها بعمق.

بمعنــى أنَّ كــل إنســان منّــا يتمتــع بمجموعــة كبيــرة مــن الصــفات والأخــلاق، لكــن حتمًــا أن هنــاك صــفة معينــة تطغــى علــى الصــفات الأخرى وتتوفر بزيادة أكبر من الباقي.

والأمـر فـي اختيـار هـذه الصـفة لـيس سـهلا، بـل يحتـاج لتحليـل عميـق ووعي دقيق ومعايشة حقيقية للشخصية.

وعلى هذا، فإننا إذا ما أردنا أن نعرف مفتاح شخصية الإمام عبد العزيز الدريني، فإن ذلك يحتاج لقراءات متأنية دقيقة وعميقة بكل الحواس والأدوات التي يمكن أن تصل بنا لهذا المراد، سواء لِما كتبهُ الدريني بنفسه أو ما كُتبَ عنه من قِبل تلاميذه وأقرانه أو ما شَهدَ له به العلماء والمؤرخون.

وجدير بالذكر أن مفتاح الشخصية (الصفة المميزة) لا يكون ثابتًا عند كل النُقَّاد والمُحلِّلين، بل يختلف باختلاف نسبة التعايش والإلمام بزوايا هذه الشخصية.

ومن وجهة نظري المتواضعة، والتي قد تكونتْ بعد معايشة للدريني طول هذه المدة - التي مكثتُ فيها على جمع مادة هذا الكتاب ووضعها وتنظيمها ومراجعتها - والتي تقترب من العام، فإنني يمكنني القول بأن مفتاح شخصية الإمام الدريني هو **«التيسير»!!.**

نعم، التيسير هي الصفة المميزة في الإمام الدريني وهي التي دفعته إلى كل هذه المؤلفات والمصنفات.

انظر إلى كل منظوماته التي قام فيها بنَظم كتب التراث (الفقه والعقيدة والتصوف واللغة) في صورة شعر.

انظر إلى اختصاراته لمؤلفات السابقين كتفسير الكفاية.

انظر إلى شروحه وحواشيه على كتب التراث.

ما الذي دفعهُ إلى ذلك؟ ما الفائدة التي جناها من هذا؟

إنــه التيســير، أراد أن يُيسـر ويُبسِّـط تلـك الكتـب للقـارئ، أراد أن يُقـدِّم المعرفـة التــي تتضـمنها تلـك الكتـب الزاخـرة فـي شـكل سـهل وبسـيط وسـلس يتناسـب مـع كافـة الأعمـار، ويتوافـق مـع المهـارات المتباينـة والمستويات المختلفة.

إنهـا صـفة (التيسـير) التـي تلاحظهـا فـي كـل كتاباتـه ومنظوماتـه وأقوالـه بكل وضوح.

إنهــا الصــفة التــي جعلــت أي إنســان - مــن الخــواص أو العــوام - يسـتطيع أن يقـرأ فـي كتابـات الـدريني ويفهـم ويسـتوعب ويـربط بـين الموضـوعات وبعضـها، بـل وتتـأثر روحـه بمـا يقـرأ ويشـعر بالسـكينة وانشــراح الصــدر، وهــي خصــلة ليســت موجــودة إلا فــي كتابــات النادرة.

إنهــا الصــفة التــي ميَّــزت فكــره ومنهجــه واختياراتــه وترجيحاتــه بالمرونة والوسطية والاعتدال.

والحـقُّ أننـي لـم أختـر هـذه الصـفة (التيسـير) بـذاتها نتيجـة لقراءاتـي فقـط، بـل لِمـا حـدث معـي مـن تجـارب ومواقـف - أثنـاء جمـع هـذه الترجمة الحافلة - كان يحيطها التيسير ويرعاها التوفيق.

وأشـهدُ الله أننـي وجـدتُ فـي إعـداد هـذا الكتـاب مـن التيسـير والتوفيـق والتسهيل الرباني ما لم أرهُ في كتاباتي الأخرى.

كــان هنــاك تيسـير فــي الوصـول للمصــادر والمراجـع ... تيسـير فــي الإعـداد والاختيـار والكتابـة ... تيسـير فـي التنظـيم وترتيـب الكتـاب ... تيسير في المراجعة ... تيسير في التدقيق ... تيسير في كل شيء.

وهذا ما جعلني أقول بكل تأكيد أن الإمام الدريني هو رمز للتيسير؛ في النظم والأسلوب والعرض والمنهج والفكر، فرحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً وجزاهُ خيرًا على ما قدَّم ونفعنا به اللهم آمين.

***

ملامح المنهج التجديدي عند الدريني

كان الإمام الدريني من العلماء المجددين، الذين يظهرون على فترات متباعدة، ولعل محور التجديد في مدرسة الدريني تتمثل في هذه الأركان:

1- **المعرفية**: وهي التعمق في طبيعة العلم. ومَنْ يطَّلع على مؤلفاته يجده فعلًا متبحرًا في العلم واللغة والدين. كل عبارة من عباراته وكل كلمة من كلماته توحي بأنه شخصية فذة جمعت بين دور العقل والقلب، بين المتطلبات المادية والمتطلبات المعنوية الروحية.

2- **المنهجية**: وهي معرفة طريق التفكير المستقيم، التي تنتج من خلال اكتمال العملية التعليمية الحقيقية (الأستاذ – التلميذ – الكتاب – المنهج الدراسي – البيئة العلمية).

لذا تعلم الدريني على يد العلماء الثقات وصَحِب الأساتيذ الأكابر، وكرَّس رسالته وحياته في نشر تعاليم الإسلام الصحيحة الوسطية، واهتم بتربية النفوس وضبط السلوك وتهذيب القلوب، وجعل من

مؤلفاتـه وسـيلة لعمـارة الأرض وخدمـة الإنسـانية، فكـان يحمـل بـذلك منهج الصلاح والإصلاح.

3- **إدراك الواقـع:** لـم يكـن الـدريني مـن الـدراويش الـذين دفنـوا حيـاتهم فـي خلـوتهم، فـي معـزل عـن الواقـع، ومـا يـدور فـي الحيـاة مـن تغيـرات ماديـة وسـلوكية ونفسـية لـدى المجتمـع، بـل اهـتم بـالمجتمع وسـلوكياته، ونـزل ميـدان الحيـاة ليحـارب كـل فكـر دخيـل وبغـيض، وليشـارك فـي خدمـة المجتمـع مـن خـلال تربيـة أفـراده بالتـدريس والتأليف والتوجيه.

4- **الاهتمـام بـالتراث:** اعتنـى بتـراث العلمـاء المسـلمين أبلـغ العنايـة وأولاه غايـة الاهتمـام؛ فكانـت تعليقاتـه وشـروحه ومنظوماتـه علـى كتـب التـراث مثـل: التنبيـه للشـيرازي، والـوجيز والوسـيط للغزالـي، والـوجيز لابـن منعـة الموصـلي، ورسـالة القشـيري......وقبل كـل هذا اهتمامه بالقرآن والسنة.

5- **الموسـوعية:** وهـذا مـا نلمسـه فـي مؤلفاتـه التـي ذكرناهـا، حيـث نجـده قـد كتـب فـي الفقـه والحـديث والتفسـير وعلـوم القـرآن والقراءات والسيرة النبوية والتصوف والشعر والنحو.....إلخ.

وهـذا يفيـدنا بأنـه – رحمـه الله – كـان متعـدد الراوفـد الثقافيـة والمنـابع المعرفية، واسع الاطلاع، غزير المعرفة، موسوعي الفكر.

6- **خدمـة التـراث الإسـلامي:** ويقصـد بـالتراث الإسـلامي القـرآن والسـنة وأقـوال الصـحابة ومـا تركـه لنـا علمـاء الإسـلام الأوائـل مـن

مؤلفات ومصنفات خادمة للدين.... فاهتم الشيخ بالتراث تصنيفًا وتحقيقًا وشرحًا وتوضيحًا.

7- **الاهتمام بالأخلاق:** لأنه كان على علم بأن الأخلاق هي الغاية العظمى من أحكام الشريعة، وأنها جوهر الإسلام، والهدف الأسمى من مبعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففاحت كتاباته بالأخلاق الإسلامية والمبادئ والقيم الإنسانية النبيلة، التي تبني الإنسان وتُعمِّر الأكوان.

8- **الاهتمام باللغة العربية:** فألَّف في النحو واللغة، وقَرض الأشعار، واهتم في كتاباته بالعبارات والمعاني، لأنه كان على دراية بأن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، وأن اللغة هي طريق الوصول للفكر.

9- **تبسيط وتسهيل العملية التعليمية:** وهي من أبرز معالم مشروع الدريني الفكري، فما وضع المنظومات ولا الشروح والحواشي إلا من أجل تبسيط العلوم والمعرفة للقارئ، وتسهيلها لطلبة العلم.

كذلك يتميز الإمام الدريني بأنه:

10- **أول مَنْ فسَّر القرآن الكريم في صورة نَظم**: المصباح المنير في علم التفسير.

11- كان من أوائل – إن لم يكن أولهم - مَنْ أفرد سورة الفاتحة بالتأليف وخصصها بالتصنيف: وذلك في كتابه (الأنوار الواضحة في تفسير سورة الفاتحة).[332]

12- هو ثاني مَنْ أفرد مسألة القرآن المكي والمدني بالتصنيف بعد الإمام (مكي بن أبي طالب)، كما ذكر ذلك السيوطي في الإتقان حين قال: "النوع الأول في معرفة المكي والمدني: وأَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مَكِّيٌّ وَالْعِزُّ الدَّيْرِينِيُّ"[333].

13- هو أول مَن صاغ السيرة النبوية في قالب شعري منظوم، في منظومته الشهيرة (الشجرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة) والتي قد حققتها لتنشر لأول مرة بإذن الله.[334]

---

(332) ثم أتت بعده المؤلفات الأتية تباعا: الواضحة في تجويد الفاتحة للجعبري (ت: 732هـ). & الفوائد اللائحة من معاني الفاتحة لبدر الدين ابن جماعة (ت: 733هـ). & النسمات الفائحة في آيات الفاتحة لابن الدريهم الموصلي (ت: 762هـ). & تسيير فائحة الأناب في تفسير فاتحة الكتاب للفيروزآبادي (ت: 817 هـ). & الطيبة الرائحة في تفسير سورة الفاتحة لابن خطيب الناصرية (ت: 843 هـ). & الغرة الواضحة في تفسير سورة الفاتحة للكافيجي الحِنفي (ت: 879 هـ). & الأزهار الفائحة في شرح الفاتحة للسيوطي (ت: 911هـ). & النفحة الفائحة في تفسير سورة الفاتحة لعبد الباسط الملطي الحنفي (ت: 932هـ). & البلابل الصادحة على أغصان سورة الفاتحة لعبد الله باشعيب (ت 1118هـ).

(333) الإتقان في علوم القرآن (1/ 36).

(334) وجدير بالذكر أن هذه المنظومة سبقت ألفية الإمام العراقي في السيرة النبوية؛ حيث مات الدريني سنة 697هـ والعراقي ولد عام 725هـ، يعني ولد بعد وفاة الدريني بأكثر من ربع قرن!!.

الفصل السادس: مسك الختام

ملخص الكتاب

يمكن تلخيص هذا الكتاب في عدة نقاط رئيسية وهي:

1- كان الإمام عبد العزيز الدريني واحدًا من كبار العلماء والأولياء في مصر بل والعالم كله.

2- كان من العلماء الموسوعيين الذين كتبوا في المجالات العلمية المختلفة من لغة وشعر وفقه وأصول وتصوف وعقيدة وتفسير وحديث وتجويد وغير ذلك من العلوم المختلفة.

3- كان واحدًا من العلماء الذين جمعوا بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة وعلوم الطبيعة، فكما كتب في الفقه والسلوك كتب أيضًا في الطب والفلك والكيمياء.

4- نال الشيخ الدريني مكانة علمية كبيرة بين علماء عصره ومَن تبعهم، بل وإلى يومنا هذا ما زالت الأبحاث مستمرة على تراثه ورصيده العلمي الزاخر.

5- كان من الذين ساهموا بشكل كبير في تبسيط وتلخيص وتيسير العلوم والمعارف للناس على محتلف الأصعدة.

***

واجبنا تجاه الشيخ الدريني

في الختام وبعد هذه القراءات الماتعة في سيرة ومسيرة الشيخ الدريني، وبعد أن تعرفنا على هذه الجهود المشرقة التي سخرها لخدمة دينه وتراثه وأمته؛ ينبغي علينا أن نوفيَه حقه وأن نشكره؛ لأن ديننا الحنيف أمرنا أن نقول لمن أحسن أحسنت.

قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾. (الرحمن : 60)

ووجَّهنا رسول الله ﷺ أن نكافئ كل مَنْ أسدى إلينا معروفًا أو قدَّم لنا نفعًا، فإن لم نستطع فندعو الله له بالخير... فقال ﷺ: «مَنْ صَنَع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإنْ لم تَجِدوا ما تكافِئونَه فادْعُوا له حتى تَرَوا أنَّكم قد كافَأْتُموه».[335]

وقال رسول الله ﷺ: «لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ».[336]

ومن هذا المنطلق الإيماني كان واجبًا علينا أن نشكر الشيخ الدريني على جهده العلمي والدعوي المشكور وسعيه المبرور... ولكن كيف نشكره؟

نشكره بأن نذكره ونذكر سيرته ومسيرته ونُذكِّر بها الناس جميعًا...

---

(335) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (5109)، والنسائي (2567)، وأحمد (5365).

(336) صحيح أبو داود رقم (4811).

نشــكره بالقيــام علــى خدمــة تراثــه وإرثــه العلمــي الثمــين؛ بــأن نحققــه وننقِّحه ونقرِّظه ونبسطه ونهيئة لكل الناس ...

نشـكره بـأن نعيـد طباعـة كتبـه ومؤلفاتـه مـرات أخـرى ونوزعهـا بـين الناس ...

نشــكره بــأن نــدعوا الله لــه بالرحمــة والمغفـرة وأن يســكنه الفـردوس الأعلى ..

***

في حب الدريني أَقُولُ

بعد أن أتم الله علينا نعمته وفضله بإتمام هذا البحث، لا يسعنا إلا أن نشكر الله سبحانه وتعالى، ثم نتوجه إلى مقام الإمام الدريني ـ سائلين الله له الرحمة والرضوان ـ ونقول له[337]:

أبا الضياءِ أسوقُ إليكَ تحيةً ... مِن صَدرِ عَبدٍ مُتيَّمٍ وَلهَانِ

رأى إنجازًا ما كان يُدرَك مثلهُ ... في السابقين ولا في عصرٍ ثانِ

في كُلِّ عِلْمٍ، في كُلِّ فَنٍ كُنتَ ... إمامَهمُ بلا مُبالغةٍ ولا إحسَانِ

قَدَّمتَ لِلقرآنِ جُهدًا في الورى ... أضحى فَخَارًا لِلعَالِمِ المُتفاني

شَرحًا وتيسيرًا أنَّى بمثلهِ شَبَهًا ... في الكاتبينَ و«الكفايةُ»[338] غانِ

كذا «التيسيرُ» نَظمُ ألفِ مُثلَّثٍ ... في التفسيرِ والتأصيلِ والتبيَانِ[339]

و«مصباحُ» الهُدى في الصبحِ قد ... بَدَا نَظمًا قرآنيًا متلألأً نُوراني

وفي التجويدِ «رَسَائِلٌ لمخَارج» ... و«زوائدُ أبي عمرو» لضبطِ اللّسانِ

(337) ناظم الأبيات: محمد حمادة الشافعي (مؤلف الكتاب)، وجدير بالذكر أن المؤلف له عدة دواوين شعرية لم تطبع بعد.

(338) كل ما يوجد بين هذين العلامتين «.....» أسماء لمؤلفات الدريني.

(339) يعني عدد أبيات المنظومة ثلاث آلاف بيت.

واللحـنُ الخفـيِّ أزالَ اللـبسَ عنـهُ **في نَظْمٍ رائقٍ يُعرفَ بـ «الميـزانِ»**

وأقرضتَ في الفقهِ «الوجيزَ» كذا **«التنبيـــــهَ» فمَـــــنْ ذا يُـــــدَاني**

وأرشدتَ «الحيارىٰ» وأردعتَ مَنْ **مَـارَىٰ فـي أدلـة التوحيد والأركـانِ**

وشرحتَ أسماءِ العزيز جلَّ ثنـاؤهُ **شَـرحًا جَامعًـا «أسـنىٰ» المعـاني**

و«رسـائلٌ ووسـائلٌ» قـد أُلِّفـتْ **مـن غَيْـرَةِ القلـبِ علـى الإيمـانِ**

و«قـلادةُ الـدُرِّ فـي ذكـر البعـثِ» **هَـولٌ شَـديدٌ مـن عَسـرَةٍ وهـوَانِ**

وفـي التصـوف، لـهُ كتـبٌ تسـيلُ **عسـلًا مُصـفًّى لحضـرتِ الرحمـانِ**

مـا كَـلَّ جَهـدًا أن يعـيشَ مُربِّيًـا **أبـدًا الحيـاةِ ولا فـي العُمـر الثـاني**

مـاتَ، ومـا زالـت أثـارهُ تحيـا فـي **كُتُـبٍ، أمسـتْ كالشـمس للأبـدانِ**

«فطهـارة القلـوب» نجـمٌ سـاطعٌ **فـي دنيـا التـأليف عبـر الزمـانِ**

كـذا «مـدخل الفقـه واللسـانِ **إلـى ميـدان المحبـة والعرفـانِ»**

ولـه مـن الأدعيـةِ مـا جُمعتْ هنـا **فـارجع إليهـا، وادعـو ولا تنسـاني**

وإذا أردتْ أن تسـتزيدَ مـن النـدى **فاقصـد حمـاهُ بــ«الحرز اليمـاني»**

فقهٌ وتربيةٌ أنَّى تلتقي، رَبطٌ وثيـقٌ **تجـدهُ فـي «التنبيـه الحِسـانِ»**

والـنَظمُ حَـدِّثْ كمـا شِـئتَ فإنـهُ عُـدَّ مِـن واضـعيهِ والعظـيمِ الشـانِ
لم ينسَ يومًـا أشياخَهُ ولا مَن لـه فضـلٌ عليـه ولا ذو عرفـانِ
فهـذه «البهجـة الصـغرى» لمـآثر شـيخهِ عبـد القـادر الجيلانـي
وذاك «غايـة التحريـر» فـي ذكـر إمامنـا الرفـاعي غـوث الزمـانِ
ثـم «الأرجـوزة الـوجيزة» لـردِّ الجَميـل والشـكر والامتنـانِ
لكـل مَـن صـحبهم مـن الأسـاتيذ والأشـياخ فـي كـل وقـتٍ وآنِ
يـا سـائلي عـن عبـد العزيـز فإنـهُ بحـرٌ زاخـرٌ بـالفيض الربـاني
فقيـهٌ أديـبٌ أريـبٌ شـاعرٌ هـو فـي البلاغـة قـادرٌ جُرجَـاني
هـو فـي العلـوم واسـعٌ متبحِّـرٌ فـي كـل فـنٍّ متفـردٌ بمكـانِ
فـإذا أردت النحـو كـان إمامَـهُ وإذا أردت لطـائفَ القـرآنِ
فاقصد «درين» ونادِ في شوارعها أيـنَ عبـدُ العزيـز أبـو الفتيـانِ
فخـرٌ لمثلـي أن يجـاورَ مِثْلَـهُ ليـتَ الجـوارَ يـوم الحشـرِ يرعـاني
وفـي الخِتـامِ أُكـرر حَمـدي ثانيـة للحـقِ الواحـدِ المُتَفضِّـل المَنَّـانِ
فلولا الله ما كُنا لحـرفٍ نـرى، مـن سـيرةِ الشـيخ الإمـامِ العَلَـمِ البَـاني

ثـم الصـلاةُ علـى الحبيـبِ محمـدٍ مَــــن باســـمه والــــدي سَــــمَّاني

أمـلَ الشـفاعةِ يـومَ الحـقِ تَنْشـلُني من زَجرٍ وعقابٍ إلـى قُـربٍ وجِنـانِ

يا ربِّ صِلني بحُسن الظن يا أملي وجُدْ لي بكرمك بلا نقصٍ ولا حرمانِ

وارحــم عُبيــدك الــدريني إمامنــا عبـــد العزيـــز العــــالم الربـــاني

واجعـل بكـل حـرفٍ قدَّمــهُ ــ قـولًا وفعـــلًا ـ فـــي خدمـــة الإنســـانِ

عفــوًا ومغفــرةً وجنــاتٍ وارضــهِ واكسهِ من حُلـل الكرامـةِ والتيجـانِ

***

تحميل بعض مؤلفاته من خلال الباركود



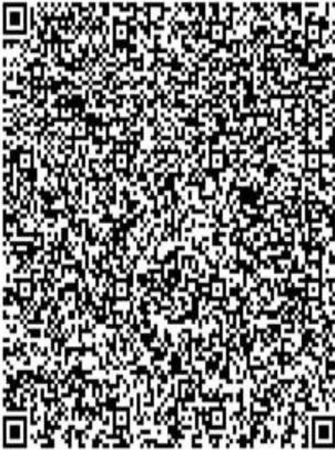
الكفاية في تفسير القرآن د. صالح بن فلاح



الكفاية في تفسير القرآن د. عبد القادر



الكفاية في تفسير القرآن د. المحيميد



الكفاية في تفسير القرآن د. أمين المزيني



مربع في مثلث قطرب



طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب



المقاصد الناصحة في تجويد الفاتحة



قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور



منظومة التيسير في علوم التفسير



أرجوزة في ترتيب المكي والمدني



الميزان الوفي في اللحن الخفي والجلي



أرجوزة إرشاد الحيارى في الرد على النصارى



الأنوار الواضحة في تفسير الفاتحة



التنبيهات الحسان فى معاني الإحسان

دعاء الختام

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

فاللهم إنا نسألك يا ربنا أن تتجاوز عن تقصيرنا وأن تغفر زلاتنا، فأنت الغني ونحن الفقراء إليك، وأن تجعل هذا العمل خالصًا لوجهك ومرضاتك، وأن تجعلنا من أهلك وورثة نبيك الكريم؛ بسر الفاتحة، اللهم آمين.

وجزى اللهُ خيرًا مَنْ تأمَّلَ تأليفي — وقابلَ بالإغضاء وضَعْي وتَصنيفي

فما ليَ شيء غيرَ أني جمعتُهُ — وحَرَّرتهُ من غير شَيْنٍ وتحريفِ

وضمَّنتُه علمًا نفيسًا وكنتُ في — مناقشتي كشَّافًا عن كلِّ ذي زيفِ

وقمتُ على ساقِ التقشُّفِ ضارعًا — إلى الله في الأسحارِ بالذُّلِ والخُوُفِ

عسى خالقي يمحو ذنوبي بمَنِّهِ — ويمنحُني الرضوانَ من غيرِ تَعْنيفِ

(الأبيات للإمام السفاريني رضي الله عنه)

وصلى الله وسلم وبارك على سر الأسرار، ونور الأنوار، مفتاح باب اليسار سيدنا محمد المختار، وعلى آله الأبرار وأصحابه الأخيار، صلاة وسلامًا ما تعاقبَ الليل والنهار.

الفقير إلى عفو ربه/ محمد حمادة الشافعي

تم تدقيق الكتاب لغويًا بواسطة الشاعر الكبير الأستاذ بدري البشيهي.

المراجع

(تم ترتيب هذه القائمة حسب تاريخ الوفيات من الأقدم للأحدث).

- **الإمام عبد العزيز الدريني:**

1- طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، تأليف: سيدي عبد العزيز الدريني، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، عام 2003م.

2- المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، تحقيق: أ. سعيد عبد السميع قطيفة، دار الكتب العلمية بيروت.

3- الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي، تحقيق: د. طه محمد فارس، مجلة أفاق الثقافة والتراث، الإمارات، 2017م. تم تنزيله من شبكة الألوكة.

4- قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور، تحقيق: الدكتور عبد الحكيم الأنيس، طبعة دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، الطبعة الأولى 2011م.

- **ابن تيمية:** مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد، المدينة المنورة عام 2004م.

- **الذهبي:** تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1993هـ.

- **صلاح الدين الصفدي:** الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، مطبوع سنة 2000م.
- **العبادي**: ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، تحقيق: الدكتور أحمد عمر هاشم والدكتور محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1989م.
- **تاج الدين السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمد الطناحي - د. عبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1413هـ.
- **ابن رافع السلامي:** تاريخ بغداد المسمى منتخب المختار، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الثانية عام 2000م.
- **ابن حبيب الحلبي:** تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، مطبعة دار الكتب المصرية، 1976م.
- **ابن الملقن:** طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبة الأزهري، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1994م.

<u>وكذلك:</u> العقد المُذَهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1997م.

- **ابن قاضي شُهْبَة:** طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، 1407م.

- **بـدر الـدين العينــي:** عقـد الجمـان فـي تـاريخ أهـل زمـان، تحقيـق: د. محمــد محمــد أمــين، مطبعـــة دار الكتـــب والوثـــائق القوميـــة، عـــام 2010م.
- **ابـن تغـري بـردي:** المنهـل الصـافي والمسـتوفى بعـد الـوافي، تحقيـق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م.
- **الســخاوي:** الضَّــوْء اللامــع لأهــل الْقــرن التَّاسِــع، منشــورات دار مكتبة الحياة بيروت، 1991م.
- **جلال الدين السيوطي:**

حســن المحاضــرة فـــي أخبـــار مصـــر والقـــاهرة، دار إحيـــاء الكتـــب العربية، مصر، الطبعة الأولى 1967م.

الإتقـان فـي علـوم القـرآن، تحقيـق: محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم، الهيئـة المصرية العامة للكتاب 1974م.

- **العلامــة الــداوودي**: طبقـات المفسـرين، دار الكتـب العلميـة بيـروت، بدون تاريخ ولا رقم الطبع.
- **عبـد الوهـاب الشـعراني:** الطبقـات الكبـرى، تحقيـق: د. أحمـد عبـد الــرحيم الســايح، والمستشــار توفيــق علــي وهبــة، مكتبــة الثقافــة الدينية، الطبعة الأولى 2005م.
- **أبـو محمـد مكـي بـن أبـي طالـب**: الهدايـة إلـى بلـوغ النهايـة، مجموعـة رســائل جامعيــة بكليــة الدراســات العليــا والبحــث العلمــي - جامعــة

الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولى 2008م.

- **الإمام المناوي:** الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر بيروت.
- **حاجي خليفة:** كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1941م.
- **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير بدمشق، الطبعة الأولى 1986م.
- **محمد بن حميد المشتولي**: سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان، بدون تفاصيل للنشر، المكتبة الشاملة الحديثة.
- **ابن الغزي:** ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1990م.
- **الأدنه وي الرومي:** طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم بالسعودية، الطبعة الأولى 1997م.
- **المرتضى الزبيدي:** تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء، المجلس الوطني للثقافة، الكويت 2001م.

- **علي باشا مبارك:** الخطط التوفيقية، المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى سنة 1305 هـ.
- **إسماعيل باشا البغدادي:**

- هَدِيَّة العارفين أَسمَاء المؤلفين وآثار المصنفين، المطبعة البهية لوكَالَة المعارف فِي اسطانبول 1951م.
- أيضًاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، المكتبة الشاملة بدون سنة النشر.

- **الشيخ يوسف النبهاني:** جامع كرامات الأولياء، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، طبعة مركز أهل سنت بركات رضا، الهند، الطبعة الأولى 2001م.
- **الإمام خير الدين الزِّرِكْلي:** الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002م.
- **عبد الحليم محمود:** من أقطاب التصوف السيد البدوي، دار المعارف، الطبعة الرابعة 1993م.
- **عَادِل نويهض:** مُعْجَم الْمُفَسّرين «مِن صَدر الْإِسْلَام وَحَتَّى الْعَصْر الْحَاضِر»، تقديم مفتي لبنان الشَّيْخ حَسَن خَالِد، مؤسَّسة نويهض الثقَافيَّة للتَأليف والترجَمة وَالنشر، الطبعة الثالثة 1988م.

- **عمر رضا كحالة:** معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- **شوقي ضيف:** تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الأولى 1960م.
- **محمد الراوندي:** «أبو الفتح اليعمري: حياته وآثاره وتحقيق أجوبته»، الجزء الثاني، طبعة وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية 1990م.
- **مجموعة من المؤلفين:** «الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة»، مجلة الْحِكْمَة، بريطانيا، الطبعة الأولى عام 2003م.
- **جميل بن مصطفى بك العظم:** المسارعة إلى قيد أوابد المطالعة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى 2003م.
- **أ.د. أحمد الأمير جاهين:** نُكات التأليف في فاتحة الكتاب الشريف، مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، العدد السادس، إصدار يونيو 2023م.
- **أمين بن عائش المزيني:** الكفاية في تفسير القرآن للدريني **من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الحجر دراسة وتحقيقًا**، رسالة دكتوراة، إشراف أ.د. ملفي بن ناعم الصاعدي، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام 2010.

- **صالح بن محمد بن فلاح الحربي:** الكفاية في تفسير القرآن، **من أول سورة الفرقان إلى آخر سورة ص دراسة وتحقيقًا**، إشراف: د. ملفي بن ناعم الصاعدي. رسالة دكتوراه، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2010م. (655 صفحة)

- **عبد الرحمان بن صالح المحيميد:** الكفاية في تفسير القرآن: **من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء دراسة وتحقيقًا**، رسالة دكتوراة، إشراف: د. عبدالرحمن بن صالح بن سليمان، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام 2011م.

- **عبد القدير بن ناصر بن علي الشيخ:** الكفاية في تفسير القرآن للدريني **من أول سورة النحل إلى آخر سورة النور دراسة وتحقيقًا**، رسالة دكتوراة، إشراف د. عبيد بن علي العبيد، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عام 2013م.

- **محمد امبالو فال:** الكفاية في تفسير القرآن، للإمام عبد العزيز بن أحمد الديرين، **من أول سورة الزمر إلى آخر سورة الناس: دراسة وتحقيقًا**، إشراف: د. عبيد بن علي بن عبيد. رسالة دكتوراة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2013م. (717 صفحة)

الكاتب في سطور

- محمد حماده الشافعي، كيميائي وبويحث في تاريخ وفلسفة علوم الحضارة الإسلامية.
- حاصل على شهادة البكالوريوس من قسم الكيمياء بكلية العلوم جامعة الأزهر الشريف فرع أسيوط عام 2021م، بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف.
- حاصل على دبلوم التربية العام من كلية التربية جامعة الأزهر بتقدير جيد جدًا.
- كاتب محتوى بالعديد من المنصات العلمية الإلكترونية، مثل: ساينسوفيليا ، تاميكوم ...
- **من مؤلفاته:**

1- الكيمياء عند المصريين القدماء.

2- تاريخ اكتشاف الجدول الدوري.

3- علماء بالوراثة.

4- رحلة الكيمياء في الحضارة الإسلامية.

5- مصر في أقوال المحبين.

6- نظرة كيميائية للآيات القرآنية.

7- رؤساء لكنهم علماء.

8- وشهد شاهد من عدوها.

الفهرس